
جبل ضرم
ببلاد بَلْلَّسْمَر
تأليف
إبراهيم بن راشد آل غرامة الأسمري

جبل ضرم

ببلاد بَلْلَّسْمَر

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الأسمري، إبراهيم راشد آل غرامة
جبل ضرم ببلاد بللسمر. / إبراهيم راشد آل غرامة
الرياض، ١٤٣٥هـ
٢٧٠ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم.
ردمك: ٥-٤٣٦٦-٠١-٦٠٣-٩٧٨
١ - الجبال - السعودية ٢ - بللسمر (السعودية)
- وصف ورحلات أ. العنوان
ديوي ٩١٥,٣٠٠١ ١٤٣٤/٢١٦٣

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٢١٦٣
ردمك: ٥-٤٣٦٦-٠١-٦٠٣-٩٧٨



تصميم الخطيب
0554267436

بسم الله الرحمن الرحيم



الإهــداء

إلى روح والدتي غاليتي

- رحمها الله -

إلى والدي العزيز راشد بن حسين

- حفظه الله -

إلى أهالي جبل ضِرْم

أهدي لكم هذا الكتاب.



المحتوى

مقدمة	١٣
الفصل الأول: التعريف باسم الكتاب «جبل ضِرْم»	**١٧**
التعريف باسم الكتاب	١٩
التسمية واللفظ	٢٢
جبل ضِرْم في كتب المؤلفين	٢٢
الفصل الثاني: ناحية النسب والتاريخ	**٢٧**
المبحث الأول: نسبة أهل جبل ضِرْم وأصولهم	٣٠
المبحث الثاني: قصة التوطن بجبل ضِرْم	٣٤
المبحث الثالث: دخولهم في الإسلام	٤٦
المبحث الرابع: نشأة القرى بجبل ضِرْم	٤٩
المبحث الخامس: فضائل الأزد ومديح بَلْلَّسْمَر	٥٢
الفصل الثالث: الآثار القديمة بجبل ضرم	**٥٧**
الآثار الموجودة بجبل ضِرْم:	٥٩
الفصل الرابع: المظاهر الطبيعية	**٧٧**
المبحث الأول: الموقع والحدود	٨١
الموقع	٨١

الحدود ٨١
المبحث الثاني: نشأة جبل ضِرْم ٨٣
المبحث الثالث: نشأة الأودية ٨٤
المبحث الرابع: المناخ ٨٥
المبحث الخامس: التضاريس ٨٩
الجبل ٨٩
السهل ٩١
الأودية ٩٢
المبحث السادس: التربة ٩٥
المبحث السابع: مصادر المياه ٩٨
المبحث الثامن: النباتات الطبيعية ١٠٢
فمن هذه النباتات المتواجدة بجبل ضِرْم: ١٠٣
المبحث التاسع: الحيوانات ١١٢
الفصل الخامس: الناحية العمرانية ١١٥
قرى جبل ضِرْم ١١٧
التطور العمراني ١٣٨
الفصل السادس: الخدمات والمظاهر البشرية ١٤٥
المبحث الأول: الناحية الصحية ١٤٨

المبحث الثاني: النقل و المواصلات ١٥١

المبحث الثالث: الطاقة والوقود ١٥٥

المبحث الرابع: السـيــاحــــة ١٥٧

المبحث الخامس: النـاحية التعليميـة ١٦٢

المبحث السادس: الهجرة من جبل ضرم ١٦٩

الفصل السابع: الأنشطة الاقتصادية ١٧٣

الزراعــة ١٧٥

الرعــي ١٨٦

إنتاج السمن واللبن ١٨٩

تربية النحل وإنتاج العسل ١٩١

التجــارة ١٩٤

الوظائف الحكومية ١٩٦

الفصل الثامن: الناحية الاجتماعية ١٩٧

المبحث الأول: الأسرة والقبيلة ١٩٩

المبحث الثاني: العادات والتقاليد ٢٠١

تقاليد الضيافة والكرم ٢٠١

تقاليد الزواج ٢٠٤

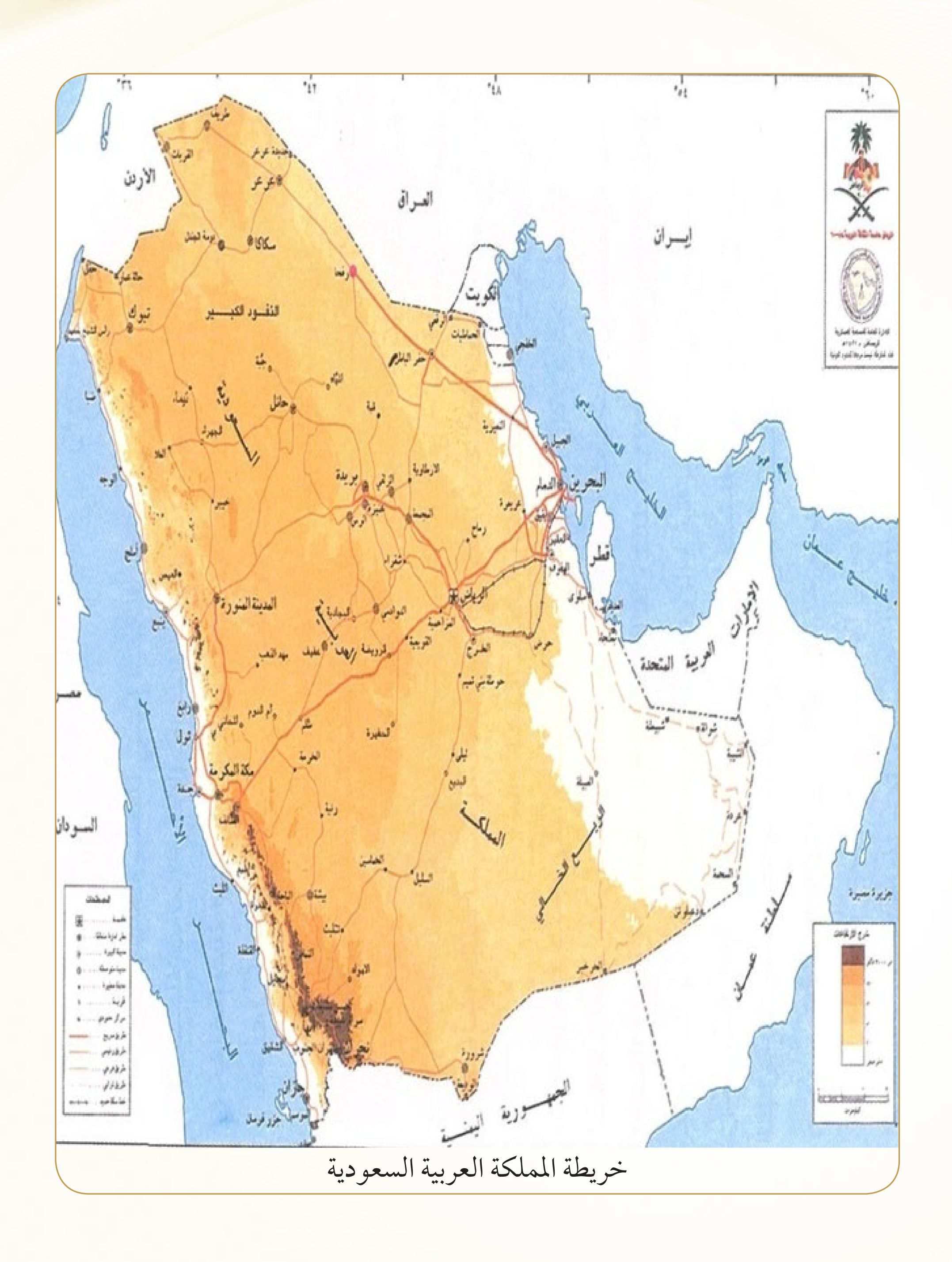
الـخِتَان ٢٠٨

السُّمُوَة	٢٠٨
الـدَّوَل	٢٠٩
الفَرْقَة	٢٠٩
الرِفْدَة	٢١٠
الشجاعة	٢١٠
الوجـــه	٢١١
الجـــوار	٢١١
العـــوض	٢١١
الكســـوة	٢١١
تبادل العلوم (الأخبار)	٢١٢
الصلح والخسارة	٢١٢
المـزاور	٢١٣
المعايدة	٢١٣
اقتناء السلاح	٢١٣
الفنون الشعبية	٢١٤
الفصل التاسع: الموروثات الشعبية	**٢١٥**
الأكلات الشعبية	٢١٧
أدوات الطبخ	٢٢١

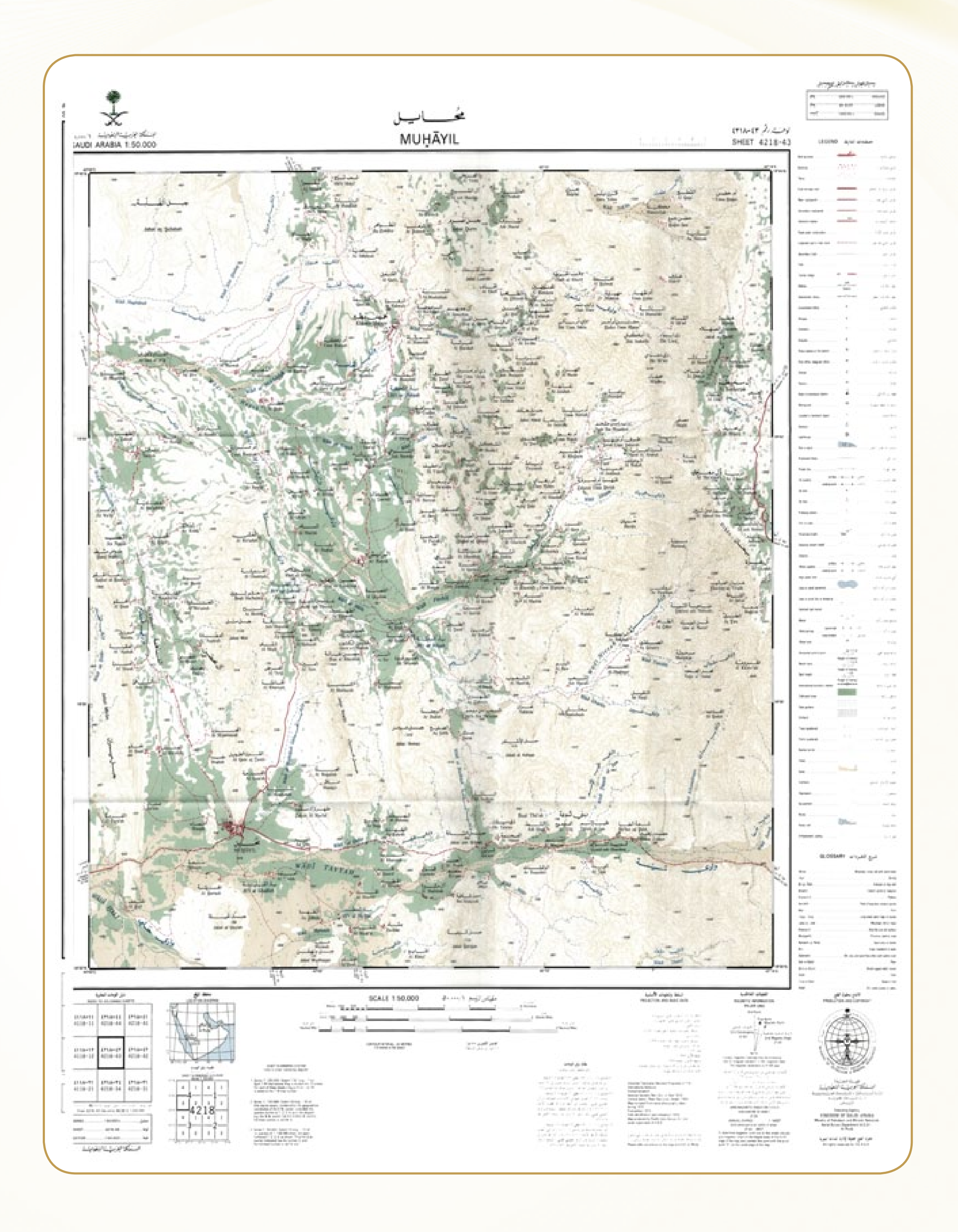
وأما أدوات الشرب فتتمثل في	٢٢١
وهناك الأدوات التي يحضر فيها الطعام وتتمثل في التالي	٢٢٢
أدوات صنع القهوة	٢٢٣
أدوات المياه	٢٢٣
أدوات النظافة	٢٢٣
أثاث البيت	٢٢٤
اللباس والزينة	٢٢٥
الأمثال الشعبية	٢٢٧
الفصل العاشر: الناحية اللغوية	**٢٣٩**
المبحث الأول: أصالة اللهجة	٢٤١
المبحث الثاني: أصالة اللغة	٢٤٤
الخاتمة	٢٦٣
المراجع والمصادر	٢٦٥







خريطة المملكة العربية السعودية



مخايل
MUHĀYIL
SAUDI ARABIA 1:50.000
SHEET 4218-43

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم– وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

يسرني أن أقدم للقارئ الكريم كتابي هذا المسمى بـــ «جبل ضرم ببلاد بللسمر» الواقع بمركز بللسمر وبللحمر تهامة بمحافظة محايل عسير بمنطقة عسير في المملكة العربية السعودية.أحد جبال تهامة [١] بللسمر الموازي لسفوح السراة الغربية (سراة بللسمر)، جمعت فيه مادةً وصفيةً وموضوعيةً رغبةً في التعريف والتعرف على جبل ضرم وأهله من قبائل بللسمر من أبناء الحجر من الأزد. مادةٌ لطالما اعتنيت بجمعها في فترةٍ مضت عند الاطلاع على المصادر المختلفة، وعند الاحتكاك الميداني المباشر، وبعد النظر على الطروحات التي عكست واقع المدن والمناطق بطرق منظمة شمولية، ومعمقة علمية، فأخرج ببضاعةٍ قيمة تشكل فيها بعد خلفية لتصور العديد من المواقع على وجه البسيطة.

كانت الكتابات النظرية التي اطلعت عليها وسيلة للإدراك، والوعي المتكامل، وبناء التصورات، فعند تصور الأماكن بما فيها من مقومات وثروات وتراث أستشعر

---

(١) يطلق الدكتور عبدالله الوليعي (عالم الجغرافيا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) على جبال تهامة أسماء أخرى كـ الجبال التهامية والجبال السفحية في كتابه (جيولوجية وجيومورفولوجية المملكة العربية السعودية) يقول: ((الجبال التهامية : هذه المنطقة يمكن تسميتها بالجبال التهامية حيث أنها تقع في سهول تهامة أو إلى الشرق منها،كما يمكن تسميتها بالجبال السفحية إذ أنها تقع في سفوح حافة مرتفعات السروات التي تقع على ارتفاع ٢٠٠٠ متر أو أكثر. وهي تلال وجبال نشأت نتيجة للانكسارات السلمية التي صاحبت حركة انفصال شبه الجزيرة العربية عن افريقيا.ولهذا نجد هناك بعض فرائد الجبال ذات الارتفاعات الشاهقة التي تماثل ارتفاع مرتفعات السروات الواقعة إلى الشرق منها،وحولها منخفضات سحيقة واسعة تشغلها القرى وتعبرها الطرق والأودية وقد يصل الفرق بين قمم الجبال والأرض المحيطة بها إلى ١٠٠٠ متر أو أكثر)) ص٢١٨.

الحاجة للمزيد من الكتابات للمواقع المنسية التي لا تقل أهمية عن غيرها من المواقع الكبيرة؛ لوجود العديد من عناصر الخصوصية، وأستشعر الحاجة للدراسات المتخصصة التي تظهر الملامح البشرية التي ترتبط بتأثير الإنسان، والملامح الطبيعية التي وهبها الله للمكان، والملامح المختلفة التاريخية والاجتماعية وغيرها، وذلك لمزيد من الوعي، ولمزيد من العناية والتنمية.

في مملكتنا الغالية كانت العناية الكبيرة بالتأليف، ودراسة المدن والمناطق، من خلال الجامعات و المؤسسات الحكومية، فكانت الكثير من المؤلفات التي أعطتنا صورة واقعية، ومعلومات قيمة، تفيد المُطلع والمتشوق، وتعكس مقومات وحالة المدن، والمناطق الكبيرة كمنطقة عسير وغيرها، وقد رأيت أن هذه المناطق بها العديد من التفاصيل التي تتطلب دراسات وصفية وموضوعية أكثر تخصصية، تهتم بالدوائر الأصغر في المناطق، لنستطيع الإلمام بالمزيد من التفاصيل المهمة، والفروقات الحاصلة، والشمول المرغوب. هذه البحوث والكتابات في مكتبتنا الإسلامية والوطنية، شجعت المؤلف لدراسة «جبل ضِرْم ببلاد بللسمر ». الجبل الأشم كما وصفه أحد الباحثين [1] ، والذي حوى جمال الطبيعة، وحياة الأجداد؛ لوصف هذا الجزء الغالي من بلادنا، وللتعريف بأهله الكرام الأنجاد. فكان الباعث على كتابة هذا البحث، الإيمان بأهمية الدراسة الوصفية والموضوعية التي تسعى لمعرفة الجوانب المختلفة لعكس طبيعة وواقع جبل ضرم، وليتهيأ للقارئ التعرف والتصور الشامل.

مع ما في الكتابة عن جبل ضرم من صعوبة تتعلق بندرة المصادر وشح المعلومة شرعت في البحث مستعيناً بالله، واخترت أن لا أتكلف الصياغة، وأن أعتني بوضوح العبارة، وأن أتوسط بين الإسهاب الممل، والاختصار المقل، وقد جاء البحث في عشرة فصول: الفصل الأول عن التعريف باسم الكتاب، وفيه سبب التسمية، و جبل ضرم في كتب المؤلفين. وجاء الفصل الثاني عن النسب والتاريخ، وفيه نسب أهل جبل

(١) وصفه بذلك الوصف الدكتور عمر بن غرامة العمروي حفظه الله في كتابه «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية-بلاد رجال الحجر».

ضرم وأصولهم، وقصة التوطن بجبل ضرم، والدخول في الإسلام، ونشأة القرى، وفضائل القوم. وأما الفصل الثالث فعن الآثار القديمة من قلاع، وحصون، ومنازل، ومدرجات زراعية، وآبار، والنقوش القديمة. وجاء الفصل الرابع للحديث عن المظاهر الطبيعية، وفيه الموقع والحدود الطبيعية، ونشأة الجبل ونشأة الأودية، والمناخ، والتضاريس المختلفة، والتربة، ومصادر المياه، والنباتات الطبيعية، والحيوانات. وغطى الفصل الخامس الناحية العمرانية، باستعراض معلومات عن قرى الجبل، ووصف التطور العمراني فيه. وناقش الفصل السادس الناحية البشرية من صحة، ونقل، ومواصلات، وطاقة ووقود، وسياحة، وتعليم، وهجرة. ووصف الفصل السابع الأنشطة الاقتصادية كالزراعة، والرعي، وتربية النحل وإنتاج العسل، والتجارة، والوظائف الحكومية. وأما الفصل الثامن فكان لشرح الناحية الاجتماعية، والعادات والتقاليد، ومنه الأسرة والقبيلة، وتقاليد الضيافة، وتقاليد الزواج، والسموه، والدول، والفرقة وغيرها. وجاء الفصل التاسع للكلام عن الموروثات الشعبية، كالأكلات، والأدوات المختلفة، واللباس، والأمثال الشعبية. فيما اهتم الفصل العاشر والأخير بالناحية اللغوية عبر الحديث عن أصالة اللهجة، وأصالة اللغة.

أتمنى لهذا العمل أن يوفق لإيصال صورة واضحة، وماتعة، ومفيدة عن هذه البقعة الغالية من بلادنا، ومظاهرها، وخصائصها المختلفة في الماضي والحاضر، كما آمل أن يحوز الكتاب على رضا القارئ الكريم، والله ولي التوفيـــــق،،،

المؤلف

إبراهيم بن راشد آل غرامة الأسمري







الفصل الأول

التعريف باسم الكتاب «جبل ضِرّم»

- جبل عند الجغرافيين .
- ضرم عند أهل اللغة .
- ضرم عند أهل النبات .
- التسمية واللفظ .
- جبل ضِرْم في كتب المؤلفين.



الفصل الأول

التعريف باسم الكتاب « جبل ضِرْم »

جَبَل في اللغة: اسم لكل وتدٍ من أوتاد الأرض إذا عظم وطال من الأعلام والأطواد والشناخيب، وأما ماصغر فهو من القِنان والفور والأكم، والجمع أجْبُل وأجْبال وجِبال[1].

والجبل في الجغرافيا: الأرض العالية التي ترتفع لبضع مئات أو آلاف من الأمتار، ويكون له جوانب شديدة الانحدار، وقمم عديدة شامخة[2].

وضرم في اللغة: بضم الضاء أو بكسرها وتسكين الراء، شجر طيب الرائحة ثمره كالبلوط وزهره كزهر الصعتر[3]. وجاء في لسان العرب: ضَرْم الأسد إذا اشتد حر جوفه من الجوع، وكذلك كل شيء اشتد جوعه من اللواحم..وجاء فيه: الضِّرْم والضَّرِمُ: فرخ العقاب.. والضَّرْم: ضربان من الشجر، قال أبوحنيفة: الضُّرْمُ شجر طيب الريح، وكذلك دخانه طيب..، وقال مرة: الضُّرْمُ شجر أغبر الورق ورقه شبيه بورق الشيح، وله ثمر أشباه البلوط، حمر إلى السواد، وله ورد أبيض صغير كثير العسل[4].

وجاء في تاج العروس: الضرم (بالضم وبالكسر) والأخير هو المعروف شجر طيب الريح يكون بجبال الطائف واليمن ثمره كالبلوط وزهره كزهر السعتر ترعاه

---

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة ضرم.

(٢) أ.د الوليعي عبدالله بن ناصر، المدخل إلى الجغرافيا الطبيعية والبشرية،الطبعة الثالثة،٢٧-١٤٢٨هـ،توزيع الدار الصولتية للتربية. بتصرف، ص ١١٩ .

(٣) مسعود ، جُبران ،الرائد معجم ألفبائي في اللغة والأعلام ،الطبعة الأولى ، شباط/ فبراير ٢٠٠٣م ،دار العلم للملايين،بيروت-لبنان . ص ٥٦٤.

(٤) ابن منظور، الإمام العلامة ابي الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم.كتاب لسان العرب.دار صادر،بيروت.المجلد التاسع.الطبعة الرابعة ٢٠٠٥م.ص٤٠-٤١.

النحل ولعسله فضل يسمى عسل الضِرْمة[١].

والضرم عند الباحثين في النبات: اسمه العلمي هو(lavandula dentate) من العائلة الشفوية (labiatae)، يصل طوله نحو متر..وهو نبات صغير أزهاره بيضاء ثم تصبح بنفسجية اللون وثمره ذا لون أحمر غامق والرائحة الزكية تنبعث من أزهاره وأوراقه[٢].

وهو ينبت فوق المرتفعات من المنطقة الجنوبية، وتستعمل أوراقة ككمادات لعلاج الصداع وروماتيزم المفاصل، ويستعمل مغلي الأوراق في التخفيف من أمراض السكر، وتأكله الأغنام وتعافه الإبل، وله ثمر يشبه البلوط[٣].

جاء في جريدة الرياض، العدد رقم ١٣٤٠٥:

اللاوندة أو الضرم Lavander

«الضرم ويُعرف أيضاً بالخزامى المخزنية، وهو نبات جذاب بأزهاره البنفسجية الجميلة رائحة النبات نفاثة عطرية والطعم حار ومر، وينمو عادة في الهضاب وفي المناطق الصخرية، وهو نبات عشبي معمر يصل ارتفاعه إلى حوالي متر له أوراق متطاولة خشنة الملمس وأزهار سنبلية بنفسجية اللون جميلة المنظر ولها رائحة عطرية جذابة، ويعرف بالفكس وحوض فاطمة ويعرف في بعض الدول العربية بالخزامى مع أن الخزامى في السعودية يختلف عن هذا النبات تماما، ويوجد منه خمسة أنواع تنمو في المناطق الباردة من جنوب المملكة. ولكن النوع الذي يعرف علمياً باسم (Lavandula dentate)هو الشهير ويتميز برائحته العطرية القوية.

(١) تاج العروس من جواهر القاموس (مادة ضرم)، لمؤلفه: الحسيني، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي المتوفى عام ١٢٠٥هـ.بواسطة محرك البحث قوقل .

(٢) الراشد، حسين، إلى من يقرأ عن النبات ،الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، مطابع البتراء.ص ١٠٠ .بتصرف.

(٣) د. القحطاني، عبدالله سالم ،التراث الشعبي في منطقة عسير ،الطبعة الأولى ،١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م ، ص ٤٦٣.

وصفها: نبتة ترتفع عن الأرض قرابة المتر أو أكثر قليلاً، سوقها ناعم، وكل ساق على حدة وذلك من أصل الجذر يتخللها أوراق خضراء قانية كأوراق الشِّيح، على شكل الرقم ثمانية، وهذا اللون للأوراق في أوج نموها، ثمّ ينقلب لونها بعد أن تكبر النبتة نحو الغبرة. يبدأ نموها في أوائل فصل الربيع، وتبدأ في الذبول في أواخر الصيف. أما ثمرتها فذات لون وردي، يخالطها سواد لمن رآها عن بعد، وبياض يميل إلى الإصفرار، لها رائحة عطرية ذكية. يضعها بعض أبناء المنطقة على اللبن ليذكي طعمه.

أماكن وجودها: توجد بكثرة في أعالي الجبال، وبين الصخور، وحول شجر العرعر، وكذلك على جنبات السفوح والوديان في المناطق الباردة.

الاستعمالات الطبية: لقد أثبتت الأبحاث العلمية أن زيت اللاوندة (الضرم) يملك قدرة كبيرة على قتل البكتيريا وأيضاً كمادة مطهرة وتخفيض الألم ونفرزة الأعصاب، كما يخفف شد العضلات ويزيل المغص ويطرد الغازات من المعدة، كما أنه يستخدم خارجياً كقاتل للحشرات وكمنفط ويستخدم في علاج بعض الأمراض الجلدية، كما أثبتت الدراسات أنه يخفف آلام الصداع وكذلك الصداع النصفي ويقلل من القلق والكآبة والإجهاد. ومن أهم استعمالات هذا النبات وقف تطبل المعدة وتيسير الهضم وتخفيف آلام القولون العصبي. كما أنه يخفف كثيراً من آلام بعض أنواع الربو. أما الزيت الطيار المستخلص من الأزهار فقد وجد أنه من الوصفات المميزة كمادة مطهرة ويساعد كثيراً في تعجيل شفاء الجروح والحروق والكدمات.

وتستخدم عشبة الضرم على نطاق واسع فهي تستخدم في تحضير كثير من العطور العالمية. وقد وصفها العشاب جون بارلكسون بأنها مفيدة على وجه الخصوص لكل آلام وأحزان الرأس والعقل. كما أنها تستخدم على نطاق واسع كطاردة للأرياح، وتفرج تشنج العضلات ومضادة للاكتئاب ومطهرة ومضادة للجراثيم وتنبه تدفق الدم»[1].

---

(١) نقلاً عن جريدة الرياض الاثنين ٢٦ محرم ١٤٢٦هـ – ٧ مارس ٢٠٠٥م – العدد ١٣٤٠٥ ،والموقع التالي: http: / /www.khayma.com /hawaj /thorm.htm

التسمية واللفظ:

تعود تسمية جبل ضِرْم بـ ضِرْم نسبة إلى شُجيرة الضِرْم التي تنبت وتعيش بهذا الجبل، والتي تقدم ذكرها في المعنى اللغوي وعند المتخصصين في النبات، وهذا أرجح الظن. إلا أن بعض من أوردنا نقولهم عدوها من الشجر وهي في الواقع شجيرة ويصدق عليها وصف نبتة الضِرْم.

في محاولتي معرفة سبب تسمية الجبل بجبل ضِرْم أو نسبته من الأهالي، كانت الإجابة الوحيدة بظنية النسبة إلى شجيرة الضِرْم.وأما المعاجم ففيها عدد من المعاني أقربها للقبول ما اخترناه.

وقد لاحظت أن مسمى ضِرْم بكسر الضاد هو الدارج عند الأغلب من الأهالي، وعند قلة بضم الضاد. وأما الكُتَّاب والمؤلفون فقد اختلف ضبطهم لكلمة «ضِرْم»، فمنهم من قام بضبط بعض حروف الكلمة كالراء فجعله بالسكون، ومنهم من كسر الضاد والراء، ومنهم من كسر الضاد فقط، ومنهم من ضم الضاد وفتح الراء، ومنهم من تركها بلا ضبط.إلا أن الاسم الصحيح هو«ضِرْم» بكسر الضاد أو ضمها وتسكين الراء، لاعتقادي بنسبة التسمية لشجيرة أو نبتة الضِرْم، والتي جاءت بكسر الضاد أو بضمها مع تسكين الراء.

جبل ضِرْم في كتب المؤلفين

جاء في «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية -بلاد رجال الحجر» لعمر غرامة العمروي:

((جبل ضِرْم: جبل أشم، يقع في تهامة (بَلْلَّسْمَر)وإلى الشمال من جبل هادا،

يسكنه آل سَعْدٍ من بَلْلَّسْمَر تهامة، ويقع غربه مركز خميس مُطير [١] الإداري، ويبلغ ارتفاعه حوالي ٢٢٠٠ متر وهو وعر المسالك، كثير الحاصلات الزراعية والأشجار المنوعة، وفيه العسل بأنواعه، والبن والفواكه المنوعة والرياحين: كالكادي والشيح والبرك وغيرها، والزيتون البري والعيون الجارية.ومن مزروعاته: الحنطة، الدخن، الشعير، السمسم، الذرة بأنواعها)) [٢] .

وجاء في كتاب «جغرافية المملكة العربية السعودية(الجزء الثاني)إقليم جنوب غرب المملكة» لعبدالرحمن الشريف:

((ويتبع بلاد بللسمر[٣] من ناحية إدارية وعشائرية نحو اثنتا عشرة عشيرة تعيش في تهامة، خاصة في مناطق إصدار بللسمر منهم: آل مطير سكان الخميس وحول جبال مناطق الإصدار العالية مثل جبل هادا وضِرْم))[٤].

جاء في «معجم جبال الجزيرة» لابن خميس:

((وجبل ضِرْم هو أحد الجبال الواقعة في إمارة تهامة بَلْلَّسْمَر وبَلْلَّحْمَر من منطقة عسير))[٥].

---

(١) الصواب: خميس آل إمْ طِيرْ ،نسبة إلى السوق،والذي كان يقام قديماً بالمركز كل يوم خميس ،وبالنسبة لآل إمْ طِير: يقال أن مجموعة من الباعة والمتسوقين قديماً اجتمعوا تحت شجرة عندما أرادوا أن يوجدوا لهم نقطة للالتقاء، والتبادل الاقتصادي،وكانت مليئة بالطيور ،وعندما نزل الناس الموضع شاهدوا وفرة الطيور فأُطلق على الموقع خميس آل إمْ طِير.

(٢) العمروي، عمر غرامة. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ص ١٠.

(٣) الصواب: بعد نقاش واطلاع (بَلْلَّسْمَر) هكذا، والله تعالى أعلم .

(٤) أ.د الشريف،عبدالرحمن صادق.جغرافية المملكة العربية السعودية،الجزء الثاني إقليم جنوب غرب المملكة.دار المريخ.طبعة قديمة.الرياض.ص٣٢٤.(مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود).

(٥) خميس،عبدالله بن محمد،معجم جبال الجزيرة ،الجزء الثالث (ر– ظ)،طبع على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز،الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م، صفحة٣٥٩ .

وجاء في «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية -منطقة عسير» للحربي:

((جبل ضِرْم: وهو جبل أسود شاهق الارتفاع أشم يقع.. إلى الشمال من جبل هادا يسكنه آل سَعْدٍ من بَلْلَّسْمَر، ويقع في سفحه الغربي مركز إمارة تهامة بَلْلَّسْمَر - خميس مطير- ويبلغ ارتفاعه عن سطح البحر حوالي ٢٢٠٠متر، وهو وعر المسالك كثير الحاصلات الزراعية والأشجار المتنوعة وفيه العسل بأنواعه المتنوعة والبن والفواكه والرياحين: كالكادي والشيح والبرك والزيتون البري والعيون الجارية، ومن مزروعاته: الحنطة، والدخن، والشعير، والسمسم، والذرة بأنواعها))[١].

وجاء في كتاب «تاريخ رجال الحجر » للشيخ سعيد آل رداد الأسمري:

((بالعذمة في تهامة وهم سكان جبل ضِرْم وينتسبون على قبيلتين كبيرتين هما آل السعيدي ولهم خمسة أقسام منتشرون في حوالي أربعين قرية، أما آل غراء فهم سبعة أقسام يقطنون حوالي خمسين قرية.وقاعدة بَلْلَّسْمَر في تهامة خميس آل مطير وفيه جميع الدوائر الحكومية والمتطلبات العصرية والأسواق التجارية))[٢].

وجاء في كتاب « أسر تحضرت في الجزيرة العربية » لعبد الكريم الحقيل:

((آل سَعْدٍالأماكن التي اشتهروا فيها: جبل ضِرْم من جميع جهاته بتهامة.القبيلة الرئيسية: باللسمر))[٣].

وجاء في «تاريخ عسير في الماضي والحاضر» لهاشم النعمي:

((جبل ضِرْم ويقع على سمت جبل هادا من الشمال ليس بينهما سوى عرض

---

(١) الحربي،علي بن ابراهيم بن ناصر،المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ،منطقة عسير،الجزء الثاني،أبها ١٤١٧هـ، صفحة ٣٩٣.

(٢) الأسمري، سعيد بن عوض آل رداد.«تاريخ رجال الحجر» ص١٠٤.

(٣) الحقيل،عبدالكريم بن حمد.أسر تحضرت في الجزيرة العربية.الجزء الأول .الطبعة الثانية.١٤١٩هـ-الموافق١٩٩٨م.ص٨٦.

وادي الخميس، وجبل ضِرْم يفوق جبل هادا ارتفاعاً ومساحة وسكاناً، وهو منيع جدًا، قل أن يؤتى إليه إلا مشيًا على الأقدام، أما الحاملات فقل أن تطلع على سطحه لصعوبة مسالكه، وساكنوه من بني الأسمر من بني الحجر بن الهنو بن الأزد من القحطانية.ومن حاصلاته: البن، والعسل، والفواكه، والرياحين على اختلاف أنواعها وأفخرها: الكادي، والريحان، والعرقة، والشيح، والبرك، والزيتون، والقيصوم، والرند، والسكب، والقرمل، إلى غير ذلك من الأشجار ذات الرائحة الذكية، ويزرع الذرة والشعيروالدخن والسمسم، وفيه الزيتون البري بيد أنه يحتاج إلى تلقيح))[1].

وجاء في كتاب «بَلْلَّسْمَر» من سلسلة هذه بلادنا لـ الأستاذ عبدالله بن حسن الأسمري:

((التضاريس: تظهر المنطقة – منطقة بَلْلَّسْمَر عامة – ككل بشكل متوازي أضلاع به مظاهر مختلفة وتضاريس متباينة، ففي تهامة سهول ذات انبساط مع وجود بعض الارتفاعات الجبلية مثل جبل هادا، وجبل ضِرْم وجبل خطمة وغيرها من الجبال، والمركز الإداري لهذا الإقليم (خميس مطير) وهو إلى الشمال من مدينة محايل على بعد حوالي ٢٧ كم))[2]. ((ومن أشهر الجبال في تهامة جبل هادا حيث تبلغ أعلى قمة له ١٩٢٧م عن مستوى سطح البحر وكذلك جبل ضِرْم))[3].كما جاء ذكر جبل ضِرْم في مواضع أخرى من الكتاب.

(١) النعمي،هاشم بن سعيد،تاريخ عسير في الماضي والحاضر،طبعة الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة،١٤١٩هـ-١٩٩٩م،ص٦٤.

(٢) الأسمري، عبد الله بن حسن.كتاب بَلْلَّسْمَر .من سلسلة هذه بلادنا. مطابع جامعة الملك سعود. ص٢١.

(٣) نفس الكتاب ص ٢٢ .

وجاء في «موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية» (الجزء الثاني):

((الاسم بالعربي: جبل ضرم، والاسم باللاتيني JABAL DURM.دائرة العرض: ٠٠ ٤٤َ ١٨ْ.خط الطول: ٠٠ ٠٩َ ٤٢ْ.التصنيف: جبلية.رقم الخريطة: ٤٣-٤٢١٨.المنطقة: عسير))[1].



(١) موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية.هيئة المساحة الجيولوجية السعودية. طبعة دارة الملك عبدالعزيز.الجزء الثاني.الطبعة الأولى١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.ص٢٨٦.



الفصل الثاني

ناحية النسب والتاريخ

- نسب سكان جبل ضرم.
- قصة التوطن بجبل ضرم.
- دخولهم في الإسلام.
- نشأة القرى بجبل ضرم.
- فضائل الأزد ومديح بَلْلَّسْمَر.



الفصل الثاني
ناحية النسب و التاريخ

إن كل ما يتعلق بالماضي من ثقافة وتراث، معنوي أو حسي، هو ثروة يجدر بنا المحافظة عليها والوعي بها، وتسخير كل ما يمكن أن يسهم في توظيفها لمصلحة الفرد، والجماعة من وقت وجهد ومال. وشيءٌ كالتاريخ والنسب والآثار هو جزء في الحقيقة من هوية الإنسان، وهو امتداد لوجوده الحالي، وإلهام لحاضره ومستقبله، وهو واجب شرعي في بعض منه.

ولذا فنحن في هذا الفصل سنتجه لإيراد جوانب من التاريخ والنسب والآثار، والتي تطل بنا على تاريخ ذي علاقة، ونسب يتوجب علينا شرعاً الاهتمام به[1]، إذ أن حفظ الأنساب من مقاصد الشريعة، التي جاءت لتعليمها وتعزيزها، وآثار لا يحسن بنا الغفلة عنها أو إضاعتها، فهي تروي للأجيال ملحمة كفاح إنساني نبيل.

وفي شأن التاريخ أحب أن أبين أنني في هذا الكتاب لم أذكر إلا جزءاً بسيطاً من التاريخ المتعلق بالمنطقة، ولا أزعم أن هذا كل التاريخ الذي نعرفه عنها، فالمنطقة لها تاريخ كبير وحافل، وأنا أبرئ نفسي من تهمة الاختزال، فقد عنيت في هذا الفصل بذكر شيء من التاريخ المتعلق بالارتباط بالمكان، ونشأة القرى، وهو الحديث عن رحلة الأزد وشيء مما قيل فيها بشكل مختصر، ولم أشأ الخوض الكبير في التاريخ ؛لأن ذلك يحتاج لبحث مستقل ومتكامل، وعناية خاصة.

---

(١) عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ((ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، ومن ادعى قوماً ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار)).صحيح البخاري:كتاب المناقب. ولافرق بين الانتساب إلى جد قريب أو بعيد،فكل ذلك محرم كما هو مبين في الحديث. والأصل في النسب الاستفاضة أو الشهرة،وليست دعاوى الناس التي يدعونها بدون بينة. للاستزادة انظر كتاب :تحفة النبيه فيمن ادعى لغير قبيلته وأبيه. لـ د .عبدالعزيز الفريح.

المبحث الأول:
نسبة أهل جبل ضِرْم وأصولهم

سكان جبل ضِرْم هم من قبيلة بَلْلَّسْمَر من بني الحجر بن الهنو بن الأزد من القحطانية [١]، ويمثلون مع إخوانهم من بني الأسمر في تهامة الجزء التهامي من قبيلة بَلْلَّسْمَر عامة، فقبيلة بَلْلَّسْمَر قبيلة كبيرة، جزء منهم في السراة، وجزء منهم في الشرق وهم البادية، وجزء في الجانب الغربي من السراة وهم القسم الذي سكن تهامة. سموا « بَلْلَّسْمَر» نسبة إلى جد القبيلة واسمه أسمر[٢] وهو من نسل الحجر بن الهنو بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن إرم بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو إدريس بن يرد بن مهلاييل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم أب البشر عليه السلام [٣].

وينطق الاسم بَلْلَّسْمَر (بنو الأسمر) وقد يكتب خطأ (بَلَّسْمَر) إحدى قبائل الْحَجْر، والنسبة إليها أَسْمرِيٌّ. وقد قطن أسمر السراة وسميت البلاد التي يسكنها

---

(١) النعمي،هاشم بن سعيد، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، طبعة الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة،١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ص٦٤.

(٢) ويرى الشيخ سعيد آل رداد الأسمري صاحب كتاب(تاريخ رجال الحجر) بأن أسمر هو من نسل الحجر وليس ابناً له،كما أنها صفة وليست اسماً ، لما يعتقد بإنه رجل اسمه مالك ،وقد أكد ذلك وبرهن عليه بما ذكره العوتبي في كتابه الأنساب للعوتبي ،والذي أشار فيه بأن أسمر هو رجل اسمه مالك،وقد ذكر ذلك في مكالمة هاتفية أجريتها معه،كما أنه ذكر ذلك في كتابه الموسوم بـ«تاريخ رجال الحجر المسمى نافذة الفكر على وطن ونسب رجال الحجر» صفحة ٩٠ ، وجاء فيه ((وقد ذكر سلمة بن مسلم العوتبي في كتابه الأنساب أن أسمر اسمه مالك فيكون اشتهر بصفته دون اسمه)).
وقد بحثت عن كلام العوتبي في كتابه الأنساب فلم أجده.

(٣) الأسمري، سعيد بن عوض آل رداد.«تاريخ رجال الحجر» ص٣٦.

بنوه باسمه وتنطق محلياً باسم [بَلْلَّسْمَر] [(١)] ، وتوزع أفراد قبيلة بَلْلَّسْمَر بين القرى الزراعية المنتشرة على السفوح العليا وفي الوديان، وبين البادية الواقعة إلى الشرق، وفي الأغوار حتى سهول تهامة[(٢)] ، وفي الجبال التهامية الواقعة غرب السراة، كجبل ضِرْم وجبل هادا.

وبَلْلَّسْمَر قبيلة واحدة ولكن انقسمت إلى فرعين أساسيين هما: بالعذمة وبنو منبح، فبالعذمة يعودون إلى سلامان، وبنو منبح إلى بني أثلة، وهما القسمان الرئيسان لقبائل بَلْلَّسْمَر.

وينقسم هذان القسمان إلى ثلاثة أقسام بحسب موقع البلاد هي:-

١- بنو الأسمر في السراة.

٢- بنو الأسمر في البادية.

٣- بنو الأسمر في تهامة [(٣)].

وبنو الأسمر في تهامة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام رئيسة: -

أ- آل سَعْدٍ (سكان جبل ضِرْم).

ب- بنو مَالِك تهامة.(سكان السهل).

ج- بنو مُعْتِبٍ (سكان جبل هادا) [(٤)].

---

(١) الشريف، عبدالرحمن صادق.جغرافية المملكة العربية السعودية،الجزء الثاني إقليم جنوب غرب المملكة.دار المريخ.ص٣٢١-٣٢٢.بتصرف يسير.

(٢) نفس المرجع .

(٣) العمروي، عمر غرامة. بلاد رجال الحجر، الجزء الثالث، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الطبعة الأولى عام ٩٧-١٣٩٨هـ ،ص٤٧.

(٤) نفس المرجع. ص٧٤.

فجبل ضِرْم محل بحثنا يسكنه آل سَعْدٍ

وهم من بالعُذَمَة – سلامان- إحدى فرعي قبيلة بَلْلَّسْمَر الرئيسة، وهم ينتسبون إلى قبيلتين كبيرتين هما:

١- آل السِّعَيْدِي: بكسر السين المشددة وفتح العين: وتنقسم إلى خمسة أقسام وتتكون قراها من أربعين قرية تنتشر على جانبي الجبل(جبل ضِرْم) الشرقي والغربي بالاشتراك مع إخوانهم آل غَرَاء..

٢- آل غَرَّاء: بفتح الغين المعجمة والراء المشددة: وتمثل ثلثي سكان الجبل وهم سبعة أقسام ولهم تسع وأربعون قرية تنتشر على جانبي الجبل من غربه وجنوبه[١].

وآل سَعْدٍ تنتشر قراهم على جبل ضِرْم من – معظم – جهاته ومن أعلاه إلى أسفله[٢]. كما يسكن جبل ضِرْم آل ثمران من بنو مالك بَلْلَّسْمَر، وهم يسكنون قرية ثمران، وهي من قرى الجبل الجميلة والتي تطل على وادي ثمران ذا الآثار القديمة، والغابات النباتية.

(١) العمروي، عمر غرامة. بلاد رجال الحجر ، الجزء الثالث، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الطبعة الأولى عام ٩٧-١٣٩٨هـ ،ص٤٧.

(٢) العمروي، عمر بن غرامة. قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام. من إصدارات نادي أبها الأدبي. ص١٤٢. بتصرف يسير.

رسم توضيحي يبين التقسيمات لقبيلة بللسمر وعشائرها

- بللسمر
  - بللسمر السراة
    - بنو منبع الشام
      - آل حوراء
        - آل محرز
        - وآل عتمة
        - آل مارد
        - آل بشة
        - آل الصدر
      - آل زيد
      - آل لفيج
      - آل سريع
    - بنو منبع اليمن
      - آل مغيفاة
      - آل عبيد
        - آل عبيد السراة
        - آل عبيد تهامة
    - بالعذمة
      - آل خريم
      - بنو قاعد
        - الشعف
        - السقف
  - بللسمر البادية
    - آل جبل
    - آل حمامة
    - آل عباء
  - بللسمر تهامة
    - آل سعد
      - آل السعيدي
      - آل غراء
    - بنو مالك
      - نمران
      - المجنب
      - آل مطير
      - آل الناس
    - بنو معتب
      - الضحي
      - آل علي
      - العمرة
      - آل قابل

رسم توضيحي يبين تقسيمات قبيلة بَلْلَّسْمَر[1].



(١) الأسمري، عبد الله بن حسن.كتاب بَلْلَّسْمَر .من سلسلة هذه بلادنا. مطابع جامعة الملك سعود. ص٤٥.

المبحث الثاني:
قصة التوطن بجبل ضِرْم

نتعرف على قصة التوطن بجبل ضِرْم، من خلال قصة خروج الأزد من مأرب وتفرقهم في البلدان، فإذا علمنا بأن سكان جبل ضِرْم يعودون إلى بَلَّسْمَر، وعلمنا أن أسمر من نسل الحجر، والحجر ابن للهنو، والهنو ابن للأزد. أمكننا أن نتعرف بذلك على قصة توطن القبيلة بجبل ضِرْم، فهم من الأزد القبيلة العربية الكبيرة، التي سكنت اليمن ثم خرجت منه في قصة مشهورة، وسكنت أرجاء الجزيرة العربية وجبال السروات، ونتطرق إلى هذا حتى نقترب من قصة التوطن بجبل ضِرْم من خلال خروج الأزد من مأرب وتفرقهم في البلدان.

وقد اختلف الباحثون في خروج الأزد من مأرب فمنهم من رجح خروجهم قبل انهيار السد، ومنهم من رأى بأنهم نزحوا بعد انهيار السد.

وقد ذكر الدكتور أحمد سعيد قشاش في بحثه «الأزد ومكانتهم في العربية» أن أكثر المؤرخين يرون أن نزوح الأزد من مأرب كان قبيل انهيار السد بزمن قليل في عهد عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن. ومن المؤرخين من يرى أنهم نزحوا جميعاً عن مأرب في عهد عمرو المذكور- ابن عامر- بعد خراب السد، وغرق جناتهم، وذهاب أشجارهم، وإبدالهم خمطاً وأثلاً وشيئاً من سدر قليل[1].

وعلى القول بأن نزوح الأزد من مأرب كان قبيل انهيار سد مأرب، نورد قصة انهيار السد وتفرق الأزد في البلدان، ومنها السراة ثم إلى تهامة (بما فيها جبل ضِرْم)، ونضيف ونعلق.

كان الأزد يسكنون مأرب، وكانوا في رغد من العيش وقد وصف المسعودي أرضهم فقال: ((كانت من أخصب أرض اليمن، وأثراها، وأغرقها، وأكثرها جناناً

---

(١) قشاش، أحمد بن سعيد بن محمد، الأزد ومكانتهم في العربية. ص٢.

وغيظاناً، وأفسحها مروجاً، مع بنيان حسن، وشجر مصفوف ومساكب للماء متكاتفة، وأنهار وأزهار متفرقة))[١].

((وإن كان الإنسان ليدخل الجنتين، فيمسك القفة على رأسه فيخرج حين يخرج وقد امتلأت تلك القفة من أنواع الفاكهة ولم يتناول منها شيئاً بيده، والسد يسقيها))[٢].

((ولما أراد الله سبحانه وتعالى أن يغير على مأرب وأهله حالهم، بعد عتوهم وبطرهم وإعراضهم، فأبدل أمنهم خوفاً، ورغد العيش جوعاً، وخصب الأرض جدباً، ومروجها وأنهارها غوراً، وجناها جدباً وجفافاً، وذلك فيما أخبر سبحانه عنهم في قوله تعالى: (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور* فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل) سورة سبأ: الآيات (١٥-١٩).

وقبل خراب السد بقليل، أخبرت كاهنة، وقيل كاهن، عمرو بن عامر بدنو خراب سد مأرب وجاءته تندب وتستنجد وتقول: لها وللملك الويل، مما يجيء به السيل، فألقى عمرو نفسه على الفراش وهو يقول ما هذه ياطريفة ؟ قالت: هو خطب جلل، وحزن طويل وخلف قليل، والقليل خير من تركه، قال عمرو: وما علامة ذلك؟ قالت: تذهب إلى السد، فإذا رأيت جرذاً يكثر بيديه في السفر الحفر، ويقلب برجليه من الجبل الصخر، فاعلم أن النقر عقر، وأنه وقع الأمر، قال: وما هذا الأمر الذي يقع؟

قالت: وعد من الله نزل، وباطل بطل، نكال بنا نزل، فبغيرك يا عمرو فليكن الثكل، فانطلق عمرو إلى السد يحرسه، فإذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها

---

(١) مكانة الأزد في العربية، لقشاش.

(٢) قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام، للعمروي،ص٧١.

خمسون رجلاً فرجع إلى طريفة فأخبرها الخبر وهو يقول: -

أبـــصرت أمـــراً عـــادني مـنـه ألم
وهـــاج لي مـن هـولـه بـرح السقم
مـن جـرذ كـفـحـل خـنـزيـر الأجـم
أو تـيـس مـرج مـن أفـاريـق الغنم
يـسـحـب صـخـراً مـن خـلاميـد الـعـرم
لـه مخـالـيـب وأنـيـاب قـضـم
مـا فـاتـه سـحـلاً مـن الـصـخـر قصم
كـأنـما يـرعـى حـطـيراً مـن سلم

فكتم (عمرو) ذلك وأخفاه وأجمع أن يبيع كل شيء له بأرض سبأ، ويخرج منها هو وولده، ثم خشى أن يستنكر الناس أمره))[1]. ((فيقال: إن عمرو بن عامر أولم وليمة، جمع فيها أهل بيته ووجوه عشيرته، وقد تقدم إلى ابنه ثعلبة بن عمرو، فقال له: يابني، قد علمت ما أشرفنا عليه من خراب هذا السد وذهاب هاتين الجنتين. وقد عزمت على بيع الذي لنا فيهما، وليس أحد يشتريه مني إلا بحيلة أحتالها. وأعلم أني سأخاشنك في الكلام بحضرة وجوه العشيرة من حمير وكهلان، فكلما كلمتك بكلمة شكعة [2] فاردد عليّ بمثلها أو بأشكع منها، وإذا رأيتني رفعت يدي لأضربك بها فارفع يدك عليّ، تُرِي الناس أنك أردت ضربي بها، حتى أحلف على بيع جميع ملكي في مأرب وخروجي منها، أُرِي الناس أني أريد لك إضرارك.

قال: فلما اجتمع الناس عنده لوليمته تلك من حمير وكهلان، وفرغوا من الطعام،

(١) كتاب قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام، للعمروي، ص٧١-٧٢.

(٢) شكع كفرح: غضب، أشكعه: أغضبه وأضجره وأمله.

وغسلوا أيديهم، وقرب لهم الشراب، أقبل عمرو بن عامر على ابنه ثعلبة بن عمرو فكلمه بكلام حوش، قال: فرد عليه ثعلبة بن عمرو كلاماً مثل كلامه أو أشد، قال: فرفع عمرو بن عامر يده على ابنه ثعلبة ليلطمه، قال: فرفع ثعلبة بن عمرو يده، وقال له: وأيم الله لئن لطمتني لألِطمنك. قال: فعند ذلك آلى يميناً لا كفارة لها على بيع جميع ما يملكه في أرض مأرب من الجنتين وغيرهما وخروجه منها. ونادى هل من مشترٍ؟ قال: فلما رأى الناس أنه قد جدّ في البيع أقبلوا إليه، وقالوا له: أتأذن لنا أن نساومك في أموالك هذه؟ قال: فقال لهم: قد أذنت لكم، فساوموا. قال: فقالوا له: نأخذ منك نصف الذي لك بمائة حِمْلٍ من كل شيء من المال الحسن. قال: فقال لهم: هو لكم بما طلبتم. قال: فدفعوا إليه مئة حمل من كل حَسن قد سمَّوّه؛ وهو عشرون حِملاً من التبر، وعشرون حملاً من الفضة، وعشرون حِمْلاً من عصب اليمن، وعشرون حِمْلاً من طرائف الحجاز، وعشرون حِمْلاً من الكافور الأشهب والعنبر الهندي والمِسْك الأَذْفَر.

قال فلما استوفى منهم عمرو بن عامرة مائة حِمل من كل شيء على الوصف الذي ذكرناه سلم إليهم نِصف جميع الذي له من الجنتين، ولم يجد من يشتري النَّصف الآخر، فتركه، وخرج من مأرب بجميع ولده وأهله وعشيرته كافة أزد، وأقبل فيما لا يعلمه إلا الله من العَدد والعُدد والخيل والإبل والشاء والبقر وغيرها من أجناس السوام، فلا يرد قومه وكافة من معه من بنى عمه ماء إلا أنزفوه، ولا يُسيمون [1] بلداً إلا أجدبوه))[2].

((وبهذا تفرقت الأزد إلى جبل عمان في شرق الجزيرة، وإلى العراق، والشام والمدينة وجبال السروات))[3]، ووسط الجزيرة العربية.

---

(١) سامت الماشية: رعت وأسامها صاحبها أخرجها إلى المرعى.

(٢) الخزاعي، دعبل بن علي، وصايا الملوك، دار صادر، بيروت،ص٨٨-٨٩.

(٣) العمروي،كتاب قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام، ص٧٣.

((وفي ذلك يقول جماعة البارقي- حيث يقول: -

حَـلَّـت الأَزْدُ بَـعْـدَ مَـأْرِبِهَـا الـغَـوْرَ

فَـــأَرْضَ الحِـــجَـــاز فَـــالـــسَّرَوَاتِ

وَمَـــضَـــتْ مِـنْـهُـــمُ كَـتَـائِـبُ صِـــدْقٍ

مَـنْـجِـــدَاتٍ تَجُـــوْبُ أَرْضَ الـفَـلاَةِ

فَـــأَتَـــتْ سَـــاحَـــةَ الـيَـــمَامُـةِ بِـالأَظْـعَـــ

انِ وَالْخَـــيْـــلِ وَالْـقَـنَـــاَ وِالـــرُّمَـــاةِ

فَـــأَنَـــاقَـــتْ عَـــلَى سُـــيُـــوفِ لِطَـسْـمٍ

وَجَـــدِيْـــسٍ لَـــدَى الـعِـظَـامِ الـرُّفَـاةِ

وأنـــابـــت تـــؤم قـــافـيـــة الـبـحـــريـن

بـــالحـــور بـــين أيـــــدي الـــرعـــاة

فَـــأَقَـــرَّت قَـــرَارَهَـــا بُـعـــمَان

فَـــعُـــمَانُ محَـــلُّ تِـــلْـــكَ الجِـــهَـــات

وَأَتَــــتْ مِـــنْـــهُـــمُ الخَـــورَنَـــقَ أُسْـــدُ

فَـاحْـتَـــوَوْا مُلْكَها وَمُـلْـكَ الـفُـرَاتِ

وَسَـــمَـــتْ مَـنْـهُـمُ مُـلُـوْكُ إلى الـشَّـامِ

عَـــلَى الأَعْـــوَجِـــيَّـــةِ المُـــضْـمَـرات

فَـاحْـتَـوَوْهـا وَشَـيَّـدُوا المُـلْـكَ فِيْـهَـا

فَـلَـهُـمْ مُـلْـكُ سَـاحَـةِ الـشَّـامَـاتِ

تِـلْـكُـمُ الأَكْـرَمُـوْنَ مِـنْ وَلَـدِ الأَزْ

دِ لِـغَـسَّـانَ سَـادَةُ الـسَّـادَاتِ

وَالمِـقُـيْـمُـونَ بِـالحِـجَـازِ بِـجَـمْـعٍ

أَرْغَـمُـوا مِـنْـهُـمُ أُنُـوفَ الـعِـدَاةِ

مَـلَـكُـوْا الـطّـوْدَ مـن شروم إلى

الـطَّـائِـفِ بـالـعَـدْلِ مِنْهم وَالـثَّـبـاتِ[1]

وَاحْـتَـوَتْ مِـنْـهُـم خُـزَاعَـتُـهَـا الْـكَـعْـبَـةَ

ذاتَ الـرُّسُـومِ وَالآيَـاتِ

أَخْـرَجَـتْ جُـرهُـم بـنَ يَـشْـجَـبَ ومِنْهَا

عُـنْـوَةً بـالـكَـتَـائِـبِ المُـعْـلَـمَاتِ

فَـوُلاَةُ الحَـجِـيْـجِ مِـنْـهَـا وَمِـنْـهَـا

قُـدْوَةً فِي مِـنـىً وَفِي عَـرَفَـاتِ

وَإِلَـيْـهَـا رِفَـادَةُ الـبَـيْـتِ والمِـرْ

بَـاعُ تُجْـبَـى لَهَـا مِـنَ الـغَـارَاتِ[2]

---

(١) شروم: قرية كبيرة عامرة باليمن (معجم البلدان: شروم).

(٢) المرباع: ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية.

وَبَـنُـو قَـيْـلَـةَ الَّـذِيْـنَ حَـوَوْا يَـثْـرِبَ

بِـالْـقُـوَّدِ الأُسُـودِ الْـعُـتَـاةِ [١]

زَحَـفُـوا لِـلْـيَـهُـوْدِ وَهْـيَ أُلُـوفٌ

مِـنْ دُهَـاةِ الْـيَـهُـوْدِ أَيَّ دُهَـاةِ

فَـأبَـادوا الـطـعـان مِـنْـهـا وَلَمَّـا

يَـفْـشَـلُـوا فِي لِـقَـاءِ تِـلْـكَ الطُّـغَـاةِ

فَـأذَلُّـوْا الْـيَـهُـوْدَ فِـيْـهَـا وَأَخْـلَـوْا

مِـنْـهُـمُ الْحَـرَّتَـيْـنِ فَـالأَلْـبَـاتِ

أصـبـح المـاء والـفـشـيـل لـقـوم

تحـت آطـامـهـا مـع الـثـمـرات [٢]

وَهُـمْ مِـنْ بَـنِـيْ الْـيَـهُـوْدِ عَـبِـيْـدٌ

حُـوَّلٌ مِـنْ نَـوَاظِـرٍ وَبَـنَـاتِ

ورحـاب لهـم تـسـيـم سُرُوْجَـا

وسـقـاة قـوارب وطـهـاة

أَسَرُوْهـا مِـنَ الْـيَـهُـوْدِ لـدى شتـِّ

يـتِـهـا في الـقـرى وفي الـفـلـوات

---

(١) بنو قيلة: الأوس والخزرج، وقيلة أمهم، والقُوَّد: جمع قائد.

(٢) تفشّل الماء: سال.

أَيُّهَــــــذَا الَّـــــذِيْ يُـسَــائِــلُ عَـنَّـا

كَـيْـفَ يَخْـفَـى عَـلَـيْـكَ نُـــوْرُ الهُـــدَاةِ

نَـحْـنُ أَهْـــلُ الْـفَـخَـارِ مِـــنْ وَلَـــدِ الأَزْ

دِ نَـحْـنُ أَهْـــلُ الـضِّـيَـاءِ والـظُـلُـمَاتِ

هَــلْ تَـــرَى الْـيَـوْمَ فِي الـبِـــلادِ سِـــوَانَـا

مِـــنْ مُـلُـــوكٍ وَسَـــــادَةٍ وَوُلاَةِ))[1]

يقول العوتبي بعد ذكر القصة: «فمنهم من نزل السروات، ثم افترقوا من السّروات، فسار بعضهم إلى عُمان، وأقام منهم من أقام بالسَّروات، ونزل بعضُهم السّهل[2] » وفي موضع آخر يقول: «...فأقاموا في السّهل (قضاعة)، مع من أقام به من قبائل الأزد »[3].

ويقول الهمداني بعد سرده للقصة:

« فأما من سكن عُمان من الأزد فيحمدُ وحدان ومالك والحارث وعتيك وجديد، وأما من سكن الحيرة والعراق فدوس، وأما من سكن الشام فآل الحارث: آل محرق وآل جفنة ابني عمرو، وأما من سكن المدينة فالأوس والخزرج، وأما من سكن مكة ونواحيها فخزاعة، وأما من سكن السروات فالحجر بن الهنو ولهب وناه وغامد ومن دوس وشكر وبارق السوداء وحال علي بن عثمان والنمر وحوالة وثمالة

(١) الخزاعي، دعبل بن علي، وصايا الملوك وأبناء الملوك من أبناء هود بن قحطان، لبنان، بيروت، ص٩٢-٩٣.

(٢) العوتبي،العلامة أبي المنذر سلمة بن مسلم الصحاري.تحقيق الدكتور محمد إحسان النص.كتاب الأنساب.الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.ص٧٠٨.

(٣) نفس الكتاب ص٧٠٨.

وسلامان والبقوم وشمران وعمرو ولحق كثير من ولد نصر بن الأزد بنواحي الشحر وريسوت وأطراف بلد فارس فالجويم فموضع آل الجلندي »[1]))[2].

ومما تقدم تبين معنا من هذه القصة خروج الأزد من بلادهم سبأ باليمن، وتفرقهم ونزوحهم إلى مواضع مختلفة في الشام والعراق، وفي الجزيرة العربية بـ عمان ومكه والمدينة والسروات و السهل، وتوطنهم بالبلاد التي نزلوها وسيادتهم والزعامة عليها، ونزول الحجر بن الهنو جد قبائل رجال الحجر السروات بالجزيرة العربية –سراة رجال الحجر- كما ذكر الهمداني ونزول بعضهم إلى السهل كما ذكر العوتبي.

وقد كان للحجر بن الهنو أربعة من الأبناء هم: أسمر وأحمر وشهر وعمرو، سكنوا بمواضع من السروات، وهي أماكنهم إلى يومنا هذا، فأما أسمر فتوطن في المكان الذي يسمى اليوم ((اثنين بَلْلَّسْمَر))، وقطن أبناؤه مدة من الزمن هذا المكان حتى توالدوا وتزايدوا، ولما ضاقت بهم أراضيهم في السراة، منهم من بقي بهذا الموقع من السراة، ومنهم من نزح غرباً إلى تهامة، ومنهم من نزح شرقاً إلى البادية، ولعل من نزل تلك الأماكن في السراة نسل أبناء الحجر الأربعة، وكانوا بأعداد كبيرة حين نزولهم سراة الحجر، وهذه الأعداد الكبيرة ما وسعتهم السروات التي تشبثوا بها، كما لم تسع فرق الأزد الأخرى التي نزلت السروات، فانساح منهم جموع إلى السهل غرب السراة وإلى الشرق من السراة مباشرة، ويعزز ذلك ما ذكره العوتبي بعد إيراده خبر مسير الأزد حين أخرجهم سيل العرم وتفرقهم في البلدان حينما قال: «وفرقة من الأزد أقامت بمواضعها، فنزلوا السروات من الجبل، وبعضهم نزل السهل»[3]

(١) «صفة جزيرة العرب» للهمداني ص٢٠٧-٢١١.

(٢) العمروي، عمر بن غرامة، قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام ص٦٨-٨١.

(٣) العوتبي،العلامة أبي المنذر سلمة بن مسلم الصحاري.تحقيق الدكتور محمد إحسان النص.كتاب الأنساب.الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .ص٧٠٧.

وقال: «ثم سار الباقون من الأزد حتى نزلوا الناصف من أبيدة، وهو واد فيما بين نجد والسَّروات، في سند جبل السّراة، وهو أحد مجامع شنوءة اليوم الذي يجمعهم في المصدق »[1].

علق صاحب كتاب «قبيلة الأزد من فجر الإسلام إلى قيام الدولة السعودية الأولى»الأستاذ محمد بن علي الحريري على نص الهمداني الذي سبق نقله قائلاً: «إذن فكل قبيلة من الأزد لها بطون في السراة وبطون في تهامة- في النجود والأغوار والملاحظ أن ديار أزد السراة لم تتغير منذ عصر الهمداني إلى عصرنا الحاضر.ويمكننا تلخيص قبائل الأزد في السراة وما يتبعها في تهامة كما يلي: (١)زهـران...(٢)...(٣)...(٤) رجال الحجر نسبة إلى الحجر بن الهنو بن الأزد وقد رأينا تفصيل الهمداني لبلادهم ويطلق اسم رجال الحجر على أربع قبائل - بني شهر وبني عمرو وبَلْلَّحْمَر وبَلْلَّسْمَر ولهم بطون في السراة وفي تهامة ». يقول الدكتور عبد الله أبو داهش: «ومن أشهر قبائل الأزد: بطون الحجر بن الهنوء، يقول عنهم هاشم النعمي تحت عنوان: (رجال الحجر):

هذا الاسم يطلق على أربع قبائل من مجموعة القبائل العربية القديمة التي ظهر عليها الإسلام، ، هي في مواقعها على سطح سلسلة جبال السراة، وفي أغوارها الغربية « تهامة »، وهي بنو شهر، بنو عمرو، بَلْلَّسْمَر، بَلْلَّحْمَر»[2].

وقد حاول بعض الباحثين معرفة زمن نزوح الأزد من مأرب، فذكر الدكتور أحمد بن سعيد قشاش عن تاريخ نزوح الأزد من مأرب فقال: ويرى أكثر المؤرخين أن نزوح الأزد عن مأرب كان قبيل انهيار السد بزمن قليل في عهد عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن نحو سنة ١١٠ قبل الميلاد، على إثر علامات

(١) نفس الكتاب ص٧٠٧.

(٢) أبو داهش، عبد الله بن محمد بن حسين، أهل السراة في الجاهلية والإسلام، إصدارات نادي أبها، ص١٧٥.

ظهرت لهم تنذر بخرابه[1].

ويذكر الشيخ سعيد آل رداد الأسمري في كتابه تاريخ رجال الحجر فيقول: ويظهر لنا احتمال قوي أن نزوح الأزد بما فيهم قبائل رجال الحجر كان ما بين ألفي سنة وألف وخمس مئة سنة قبل هجرة الرسول ﷺ[2].

ويرى الدكتور أبو داهش أن ما ذهب إليه الأسمري مبالغٌ فيه، فيقول: ولقد بالغ أحد الباحثين إذ جعل رحلة الأزد من أرض مأرب باليمن قبل أكثر من ألف وخمس مئة سنة قبل هجرة الرسول ﷺ...ولكن الأمر الذي يمكن قبوله أن رحلة أولئك الأزديين إلى جبال السراة إنما كان قبل ظهور الإسلام بوقت غير بعيد[3].

ويرى آخر أن هجرة الأزد المشهورة في كتب التاريخ، والتي طغت أخبارها على غيرها من الهجرات، ولها صلة وثيقة بخراب سد مأرب بفعل سيل العرم كانت عام ٤٥٠م أو عام ٤٥١م[4].

وختام هذا المبحث نقول أن هذا السياق التاريخي أنبأنا بهجرة الأزديين من اليمن وتفرقهم في البلدان، ثم حلول الحجر بأرض السراة، ثم تفرق نسله في مواضع بها، وكان لأسمر بن حجر الموقع الذي يسمى اليوم باثنين بَلْلَّسْمَر. فبقي أبناء أسمر بهذا الموقع - اثنين بَلْلَّسْمَر - وانتشروا بالقرب منه على السراة، وأصبحوا قبائل وقرى متعددة، وبعدما تزايدت أعدادهم وضاقت بهم سراتهم نزح فريقٌ منهم غرباً وشرقاً عن اثنين بَلْلَّسْمَر.

وربما توطنوا السهل والبادية والجبال المنفردة بتهامة المحاذية لسراة بَلْلَّسْمَر

(١) قشاش، أحمد بن سعيد. الأزد ومكانتهم في العربية.ص٢،موجود على شبكة الإنترنت.

(٢) الأسمري، سعيد بن عوض آل رداد، تاريخ رجال الحجر، ص٧٦-٧٧.

(٣) أبو داهش، عبد الله بن محمد بن حسين، أهل السراة في الجاهلية والإسلام، إصدار نادي أبها، ص١٨٣.

(٤) محمود العلامات،السبئيون وسد مأرب،ص١٥٣ .نقلاً عن المختصر في تاريخ بلاد بني شهر ص٢٧.

حينما نزلوا السروات بعد انتقالهم باعتبار أن السراة لم تسع كثرتهم، وأصبحوا قبائل وقرى متعددة بتهامة وفي البادية وفي السراة كما ذكر العوتبي، ويحتمل أن العوتبي يحكي مواضع الأزد الأخيرة وهم الذين قصدوا السروات دون قصد منه للإشارة إلى التفسير المذكور.

وباعتبار أنهم نزلوا السراة وسكنوا بها مدة من الزمن ثم بعد تزايدهم هاجر فريق منهم إلى التهائم وإلى البادية في الشرق، فإن تاريخ ذلك النزوح إلى تهامة أو إلى البادية ليس هناك ما يخبر به بعد توطن الجد أسمر باثنين بَلْلَّسْمَر أو سببه، فربما كان هذا النزوح في الجيل الثاني أو الثالث أو أكثر من ذلك عن الجيل الأول الذي نزل السراة، ولا نعلم له سبباً، فلعله لظروف طبيعية، كالحصول على المراعي لحيواناتهم، أو لإيجاد مساحات زراعية تضاعف من إنتاجهم، أو جرياً خلف الماء والمطر، أو هرباً من برد السراة، أو ربما كان هذا النزوح لكوارث أو فقر أو أمراض، وقد استبعد الشيخ سعيد آل رداد الأسمري ـ في اتصال شخصي ـ احتمال الحروب، لعدم توارد الأخبار في ذلك، ورجح احتمال طلب التوسع والسعي وراء الرزق، خاصةً إذا علمنا أن الزراعة والرعي في السابق كانت تحتل المرتبة الأولى اقتصاديا مقارنة بالأنشطة الاقتصادية الأخرى، فهي الوظيفة الأولى والمورد الأول بالنسبة للسكان قديماً، وإذا علمنا بوجود العديد من الأودية غرب وشرق سراة بَلْلَّسْمَر، وأن التربة هناك خصبة ؛نتيجة لمياه الأودية.يفسر ذلك نشأة الحضارات القديمة في الهند والعراق وفي مصر بمناطق الأراضي الخصبة بالقرب من الأنهار.وقد بقى هذا القطاع العريض في تهامة والسراة والبادية إلى يومنا هذا، وبقى أكثر نقاء في دمائه، وبقى يحتفظ بالعناصر الأصيلة للأجداد الأوائل.



المبحث الثالث:
دخولهم في الإسلام

عند بزوغ شمس الإسلام، ومبعث رسوله ﷺ، وانتشاره في الجزيرة العربية، وصل هذا النور إلى قبائل الأزد فدخلوا في دين الله أفواجا.ورحبت قبائل الأزد بهذه الدعوة وأخذت وفودهم تصل إلى المدينة المنورة فكان من ضمن تلك الوفود وفد الأزد ورأسهم صرد بن عبد الله ووفد جرش ووفد سلامان ووفد اليمن وغيرها من الوفود حيث قابلوا رسول الله ﷺ وأسلموا بين يديه وأخبروا بإسلام قومهم، وقد ذكرت بعض كتب السيرة الحديث الذي دار بين الرسول ﷺ ووفود سلامان[1]، والذي كان عددهم سبعة نفر وقالوا [نحن من سلامان قدمنا لنبايعك على الإسلام ونحن على ما ورائنا من قومنا...]فالتفت الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام إلى الصحابي ثوبان فقال ﷺ: (أنزل هذا الوفد حيث ينزل الوفد) وبعد أن قضى الصلاة رجع إليهم ﷺ وعلمهم أوامر الصلاة وشرائع الإسلام وأعطى كل واحد منهم هدية خمسة أواق وأمرهم بالرجوع إلى بلادهم ونشر الإسلام بين أهلها وكان ذلك في شهر شوال من السنة العاشرة للهجرة المباركة))[2].

وقد قدم وفد الأزد إلى النبي ﷺ ودار بينه وبينهم حديث شيق جاء فيه: عن علقمة بن مرثد بن سويد الأزدي قال: حدثني أبي عن جدي عن سويد بن الحارث. قال: وفدت سابع سبعة من قومي على رسول ﷺ. فلما دخلنا عليه وكلمناه، فأعجبه ما رأى من سمتنا وزِيّنا فقال: ما أنتم؟ قلنا مؤمنون، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: (إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم) قلنا خمس عشرة خصلة، خمس منها أَمَرتَنَا بها رسُلك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا أن نعمل بها، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية،

---

(١) وسلامان هو أحد الأقسام الرئيسية لقبائل رجال الحجر، ومن سلامان آل سَعْدٍ من بَلْلَّسْمَر.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، بيروت ١٤٠٥هـ، المجلد١، صفحة ٣٣٢-٣٣٣.نقلاً عن كتاب بَلْلَّسْمَر، لمؤلفه عبد الله بن حسن الأسمري، ص١٦-١٧.

فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئا. فقال رسول الله ﷺ: ((ما الخمس التي أمرتكم بها رسلي أن تؤمنوا بها؟ قلنا: أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت. قال: ((وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها؟)). قلنا أمرتنا أن نقول لا إله إلا الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا، فقال: ((وما الخمس الذي تخلقتم بها في الجاهلية؟. قالوا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والرضا بمر القضاء، والصدق في مواطن اللقاء، وترك الشماتة بالأعداء، فقال رسول الله ﷺ: ((حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء)). وأنا أزيدكم خمس فيتم لكم عشرون خصلة إن كنتم كما تقولون، فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غداً تزولون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون، وفيه تخلدون)) فانصرف القوم من عند رسول الله ﷺ، وحفظوا وصيته وعملوا بها[١].

يعتقد الدكتور عبد الله أبو داهش بأن هذا الوفد من الأزد الحجريين- رجال الحجر-، أبناء الحجر بن الهنوء بن الأزد[٢]، وذهب إلى هذا أيضاً الشيخ سعيد آل رداد الأسمري في كتابه تاريخ رجال الحجر، وقال: لا يقال إن هؤلاء الأزد أزد عمان لأنهم أسلموا بموجب كتاب رسول الله ﷺ إليهم مع عمرو بن العاص ولا هم بعد ذلك وفد دبا ولا يقال وفد غامد و زهران لأنه جاء النص بوفدهم غير هؤلاء فتحقق أنهم أزد بني الحجر والحمد لله[٣].

وعليه فقد دخل رجال الحجر تهامة وسراة وبادية في الإسلام في السنة التاسعة أو العاشرة، كما جاء في الخبرين اللذين ذكرنا، فالخبر الأول كان في السنة العاشرة،

---

(١) ابن كثير، الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ،البداية والنهاية ،دار ابن كثير ،تحقيق رياض عبدالحميد ومحيي الدين ديب مستو، الجزء الخامس، صفحة ٨٨-٨٩، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى . الحديث ضعيف لجهالة أحد رواته. وتخريج الحديث بنفس المصدر.

(٢) أ.د. أبو داهش، عبد الله بن محمد بن حسين، أهل السراة في الجاهلية والإسلام، ص٤٣٥.

(٣) الأسمري، سعيد بن عوض آل رداد، تاريخ رجال الحجر، ص١٦٢-١٦٣ .

والثاني كما في البداية والنهاية، كان في السنة التاسعة، وربما كلا الخبرين لوفدٍ واحد قدم في السنة العاشرة، فالخبر الثاني جاء في البداية والنهاية من غير إشارة مخصصة لسنة وفود وفد الأزد، إلا أن البعض اعتبره في السنة التاسعة لعموم لفظ ابن كثير وإطلاقه ذلك العام بعام الوفود، وقد ذكر الأستاذ محمد حسن غريب وفود الوفد الثاني –الذي رواه علقمة– في السنة العاشرة [1] وكذلك الشيخ سعيد آل رداد في كتابه «تاريخ رجال الحجر»، وبهذا ربما يكون كلا الخبرين لوفدٍ واحد، خاصة وأن عددهم سبعة في كلا الخبرين.

ومن ذلك يتبين لنا أن الإسلام وصل إلى بَلْلَّسْمَر خلال حياة الرسول ﷺ[2]، ولكنه تأخر فقد كانت العرب.تربص بإسلامها، أمر هذا الحي من قريش، لأن قريش كانت إمام الناس وهاديتهم، وأهل البيت والحرم وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم وقادة العرب لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت الحرب لرسول الله ﷺ وخلافه، فلما افتتحت مكة، ودانت له قريش، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، فدخلوا في دين الله، كما قال عزوجل: أفواجاً، يضربون إليه من كل وجه، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ((إذا جآء نصر الله والفتح (*) ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا(*)فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا)) [سورة النصر(١-٣)] [3] .



(١) كتاب أصول قبائل عسير صفحة ٢٠ .

(٢) الأسمري، عبد الله بن حسن، بَلْلَّسْمَر، مطبعة جامعة الملك سعود، ص ١٧.

(٣) ابن كثير،الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ،البداية والنهاية ،دار ابن كثير ،تحقيق رياض عبدالحميد ومحيي الدين ديب ،الجزء الخامس،صفحة ٧ ،دمشق- بيروت، الطبعة الأولى .

المبحث الرابع:
نشأة القرى بجبل ضِرْم

ترتبط نشأة القرى بجبل ضِرْم وتوطن السكان به بقصة خروج الأزد من مأرب إثر انهيار سد مأرب. وقد حُكِي -سابقاً - أن الأزد عاشت بأرض مأرب وبسبب حادثة انهيار السد خرج القوم من مأرب على اختلاف بين الباحثين، أهو قبل انهيار السد بخبر أخبرت به كاهنة لزعيم القوم، أم بعد انهيار السد ؟ والمقصود كما ذكر الهمداني [1] (من علماء القرن الرابع الهجري) والعوتبي [2] (من علماء القرن الخامس وبداية السادس الهجري) أن القوم خرجوا من مأرب فاتجهوا إلى تهامة، ونزلوا بمكة، ومنهم من نزل قرب المدينة، ومنهم من واصل السير نحو الشام، ومنهم من اتجه إلى العراق، ومنهم من ذهب ناحية نجد، ومنهم من ذهب إلى عُمان، وفئة لم تناسبهم التهائم(بمكة)ذهبوا إلى الحجاز والسراة - سراة الأزد-.

ونزلت فرقة من الأزد السَّروات منهم أبناء الحجر كما ذكر الهمداني، وظلوا في سراتهم من حين نزلوا بها إلى يوم الناس هذا، ويطلق عليها أحياناً سراة الحجر. ومع تعاقب الأزمان تكاثروا وتناسلوا وازدادت أعدادهم، فأصبح كلٌ منهم ينسب للجد الأقرب، وظلوا يعلمون بنسبتهم إلى جد واحد هو الحجر بن الأزد، وأصبح نسل الحجر على أربع قبائل متحدة، مسماة نسبة إلى جد كل قبيلة من هذه القبائل، وهم بَلْلَّسْمَر وبَلْلَّحْمَر وبني عمرو وبني شهر. وهذه القبائل الأربع تنسب إلى رجال وأعلام هم أجداد لتلك الأنسال التي انتسبت إليهم، فقد كانت قبائل العرب تنتسب إلى أجدادها، فالأموي نسبةً إلى جد الأمويين أمية بن عبدشمس بن عبدمناف،

---

(١) الخزاعي، دعبل بن علي، وصايا الملوك وأبناء الملوك من أبناء هود بن قحطان، لبنان، بيروت، ص٩٢-٩٣.

(٢) العوتبي،العلامة أبي المنذر سلمة بن مسلم الصحاري.تحقيق الدكتور محمد إحسان النص.كتاب الأنساب.الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.ص٧٠٧-٧٠٨.

والعباسي نسبةً إلى العباس بن عبدالمطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم.وقد توزعت هذه القبائل على مواضع في السروات وأصبح لكل منهم بلاد وأراضٍ محددة كما هو اليوم، ونُسبة كل سراة إلى القبيلة التي تقطنها.

ونظراً لضيق أراضي سراة الأزد فهي جبلية وعرة، ولتزايد أعداد سكانها. رحلت بعض الأفخاذ والعشائر عن موطنها في السروات، لتنزل الأغوار التهامية في الغرب، و الأجزاء النجدية في الشرق[1]. وذلك ليتوسعوا من ضيق السراة بعد أن عُمرت، وليستفيدوا من مجاري الأودية وتربتها الخصبة بتهامة والبادية، والتي تلبي حاجتهم الضرورية وأهدافهم الزراعية والرعوية.

ففي قبيلة بَلْلَّسْمَر رحل بعض القبيلة إلى الأغوار التهامية والبادية، كـ قبائل (آل سَعْدٍ) حيث حلت بجبل ضِرْم بتهامة (وهو من جبال تهامة الموازية لجبال السروات)، وحل (بنو مِعْتِبْ) بجبل هادا بتهامة وبسهل تهامة المحاذي لسراة بَلْلَّسْمَر من الغرب، وحلت (بنو مَالِكْ) كذلك بالسهل، وحلت قبائل بالبادية في الشرق كـ (آل عياء) و(آل حمامة) و(آل جبل)، ونقلت هذه القبائل معها في رحلتها إلى مواضعها الأخيرة خبراتها وتجاربها وعاداتها وتقاليدها، وأحيت الأماكن التي نزلت بها وعمرتها وبذلك نشأت القرى.

ويمكن القول إن أعداداً كبيرة نزحت من السراة إلى تهامة على فترات متفاوتة وهم أكثر عدداً ممن بقي، وبعدما استقروا بسهل تهامة وجبالها كضِرْم وهادا، تناسلوا وتزايدوا حتى أصبحوا قبائل متعددة وكبيرة، فاقت أعدادهم أعداد إخوانهم سكان السراة. أشار إلى هذا فؤاد حمزة في كتابه «قلب جزيرة العرب»[2]، ومحمود شاكر في كتابه «شبه جزيرة العرب -عسير- » وكتاب «معجم شبه الجزيرة العربية » لبعض

---

(١) أ.د بن جريس،غيثان بن علي.كتاب دراسات في تاريخ تهامة والسراة .الجزء الأول.الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٢) حمزة، فؤاد .قلب جزيرة العرب.ص١٣٠.

موظفي الهند.

جاء في قلب جزيرة العرب: بالأسمر: تقع ديار بالأسمر شرقي محايل وبينهم وبينها الريش ويحيط بهم من الشمال بنوشهر ومن الجنوب بالأحمر ومن الغرب الريش وهم قسمان:

١-أهل الجبال.

٢-وأهل التهائم.وهؤلاء أكثر عدداً من الأولين.

وجاء في كتاب عسير لمحمود شاكر[١]: بالأسمر...وثلثا هذه القبيلة يقيمون في تهامة.

وجاء في معجم شبه الجزيرة العربية لبعض موظفي الهند نحو١٩٠٠م[٢]: بَلْلَّسْمَر:..

أ- أهل الجبال، ٤٠٠٠ رجل.

ب-أهل تهامة، ٥٠٠٠ رجل.



---

(١) ص٩٧.

(٢) غير منشور.

المبحث الخامس:
فضائل الأزد ومديح بَلَّسْمَر

جاء في فضائل الأزد أحاديث وروايات، تصف القوم وتثني عليهم، ومنها: -

- عن بشر بن عصمه صاحب رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ للأزد: ((هم مني وأنا منهم أغضب لهم إذا غضبوا وأرضى لهم إذا رضوا))، فقال معاوية بن أبي سفيان: إنما قال ذلك لقريش، قال بشر: فأكذب على رسول الله ﷺ لو كذبت عليه لجعلتها لقومي، رواه الطبراني وأبو نعيم، وجاء في نثر الدرر المكنون[1].

- وعن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي، قال: قال رسول الله ﷺ: ((العلم في قريش والأمانة في الأزد)).

- قال أبو نعيم.. نظر رسول الله ﷺ إلى عصابة قد أقبلت، فقال: ((أتتكم الأزد أحسن الناس وجوهاً، وأعذبها أفواهاً، وأصدقها لقاء، اللهم اجبر كسرهم وآوِ طريدهم، ولا ترد منهم سائلاً)) رواه الديلمي من طريقه والطبراني في الكبير والأوسط.

- قال النبي ﷺ: ((نعم القوم الأزد، طيبة أفواههم، برةٌ أيمانهم، نقية قلوبهم)) صححه الألباني وأورده الهيثمي في معجم الزوائد.

- قال النبي ﷺ: ((الملك في قريش، والقضاء في الأنصار والأذان في الحبشة، والشرعة في اليمن، والأمانة في الأزد)) صححه الألباني.

- وحديث وفد الأزد الذي كان فيه الصحابي سويد بن الحارث الأزدي، والذي

---

(١) أبو داهش، عبد الله بن محمد بن حسين، أهل السراة في الجاهلية والإسلام، إصدارات نادي أبها، صفحة ٣١.

أعجب فيه الرسول ﷺ بالقوم لما رأى من علمهم وحسن زيهم وسمتهم فقال قولته المشهورة ﷺ: ((حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء))[(١)].

- وكتب معاوية رضى الله عنه لعامله على مصر (لا يتولى عملك إلا أزدي أو حضِرْمي فإنهم أهل الأمانة)[(٢)].

- وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: للأزد أربع ليست لحي: بذل لما ملكت أيديهم، ومنع لحوزتهم، وحي عمارة لا يحتاجون إلى غيرهم، وشجعان لا يجبنون[(٣)].

- وقد وصفهم الرحالة ابن بطوطة، وأضاف: وهم شجعان أنجاد، ولباسهم الجلود، وإذا قدموا مكة هابت أعراب الطريق مقدمهم، وتجنبوا اعتراضهم، ومن صحبهم من الزوار حمد صحبتهم، وذكر أن النبي ﷺ ذكرهم وأثنى عليهم خيراً وقال علموهم الصلاة يعلموكم الدعاء.

- وقد صور الشاعر عبدالله بلخير -رحمه الله- راية الأزد في الفتوحات الإسلامية أصدق تصوير حيث قال في قصيدة له:

أزد الفتوح فكم زهت راياتهم
في المشرقين جحافلاً وغلابا
كانت كتائبهم تسيل بزحفهم
شاكي السلاح صوارماً وحرابا

---

(١) ابن كثير،الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ،البداية والنهاية ،دار ابن كثير ،تحقيق رياض عبدالحميد ومحيي الدين ديب مستو ،الجزء الخامس،صفحة٨٨-٨٩، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى .قال بشار : الحديث ضعيف لجهالة أحد رواته . وتخريج الحديث موجود بنفس المصدر.

(٢) عيون الأخبار وفتوح مصر١٢٢٠ - ابن قتيبة ٢/ ٤٣٤. نقلاً عن محمد الحريري، قبيلة الأزد.

(٣) الكامل في التاريخ١/ ٧٨. نقلاً عن الدكتور أحمد قشاش. الأزد ومكانتهم في العربية. الألمعي، محمد حسن غريب ، أصول قبائل عسير ،من إصدارات نادي أبها الأدبي ،ص ٣١-٣٢ .

وقد ذكرت بعض الكتب أن رجال الحجر من الأزد ساهموا بنصيب وافر في الحياة السياسية والاجتماعية والحضارية للدولة الإسلامية.

- ووصف كورنواليس قبائل رجال الحجر، فقال: إن بني شهر قبيلة غنية ومسلحة جيداً، ولها شهرة في القتال، وهم أقوياء بما فيه الكفاية كي يساندوا من يختارون من القبائل، وذكر أن بَلْلَّسْمَر قبيلة قوية، ولها سمعة وشهرة في الكرم، وفي البسالة والشجاعة في الحرب، أما بَلْلَّحْمَر فقد وصفهم بأنهم محاربون أقوياء، وذكر أن بني عمرو قبيلة محاربة وتناصب الأتراك العداء[1].

- يقول المثل الدارج بين قبائل رجال الحجر: بَلْلَّحْمَر أهل الشجاعة وبَلْلَّسْمَر كرام وبنو شهر حكماء وبنو عمرو فقهاء[2].

- قال الأمير محمد بن أحمد المتحمي وهو في أسرة في أرض الكنانة بعيداً عن الوطن، وهو يحن إلى وطنه ويشيد بمفاخر قبائل إقليم عسير ومنهم قبائل بَلْلَّسْمَر وبَلْلَّحْمَر من رجال الحجر لأن هاتين القبيلتين أقرب رجال الحجر إلى عسير فيقول في قطوف منها:

سقى الله أوطانا تحف بتهلل
وجاد عليه هاطل متركم
منازل حلتها مغيد وعلكم
ومالك والأحلاف من عهد آدم
وقيس بن مسعود وبكر بن وائل
وأكرم بشحب في ذراها وظائم

(١) آل حامد، عبد الرحمن بن عبد الله. العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، من إصدارات نادي أبها الأدبي.ص٤٥.

(٢) الأسمري، سعيد بن عوض، تاريخ رجال الحجر، ص١٦٢.

وقـحـــطـان فـيـهـــا نـخـــوة وحمـيـة

وشهـران هـم أهـل الحـجى والعزائم

وبَـلْـلَّـسْـمَـر لا ننسى تـذكـار فضلهم

وبَلْلَّحْمَر حلـف القنا والصـوارم [1]

جاء في معجم شبه الجزيرة العربية لبعض موظفي الهند: « وهم يتمتعون – أي بَلْلَّسْمَر–بسمعة طيبة لكرم ضيافتهم وشدة بأسهم في القتال»[2].



(١) الأسمري، سعيد بن عوض، تاريخ رجال الحجر،ص٢٠٥ .وفي معجم العادات والتقاليد واللهجات المحلية في منطقة عسير – ص٣٥٦.

(٢) أ.د عبدالله بن ناصر الوليعي ،وقد ألف عام ١٩٠٠م ،وطبع وتم نشره سنة ١٩١٧م ،وستنشره دارة الملك عبدالعزيز بالرياض بعد الترجمة. وقد تعاونت مع الدكتور الوليعي لتعليق على الجزء المتعلق ببَلْلَّسْمَر في نفس الكتاب .





الفصل الثالث

الآثار القديمة بجبل ضرم

- القلاع والحصون.
- القرى والبيوت القديمة.
- المدرجات الزراعية.
- الكتابات والنقوش القديمة.
- الكهوف.
- الآبار.



الفصل الثالث
الآثار القديمة بجبل ضِرْم

كغيره من مواقع المملكة وقرى ومدن منطقة عسير الأخرى، يزخر جبل ضِرْم بالعديد من الآثار القديمة التي خلفها الأسلاف، بعدما أنشؤوا وبنوا وشيدوا للاستقرار والعيش الكريم.مستغلين ثروات بيئتهم الطبيعية والقيام بتطويعها، مستفيدين من خبرات من سبقهم في الداخل والخارج، ولا أدل على ذلك من تشابه هذه الآثار بغيرها من الآثار في منطقة عسير، وقد أصبحت هذه الآثار شاهدة على روايات التاريخ التي تحدثت عن أهالي المنطقة في سلمهم وفي حربهم، في بأسهم وفي حضارتهم.

فجاء من بعدهم ليلحظ ما تميز به أهالي جبل ضِرْم، وما أضافوه من حضارة مشاهدة في ما رآه من آثار. وقد ظلت كثير من هذه الآثار شامخة ثابتة مع تعاقب الأزمان ومع وجود العوامل الطبيعية التي قد تؤثر، وقد تتسبب بالهدم والخراب، وذلك راجعٌ لجودة البناء وخبرة الأسلاف، وقوتهم وعنايتهم وبراعتهم، ولعل قليل من هذه الآثار لحق بها وأصابها الخراب، بالكامل أو بأجزاء منها مع مرور الأيام ؛لتأثير عوامل طبيعية كالسيول والرياح، وعوامل بشرية كهدم الإنسان لبعض الآثار كالبيوت والقلاع والحصون وغيرها، لاستغلال المساحات وإنشاء الدور على النمط الحديث.

الآثار الموجودة بجبل ضِرْم:

١-القلاع والحصون:

القلعة: بناء مرتفع يستخدم أوقات الحروب وله فتحات صغيرة للرمي والمراقبة، والحصن: منزل يتكون من طابقين أو ثلاثة أو أربعة وله سور يحيط به،

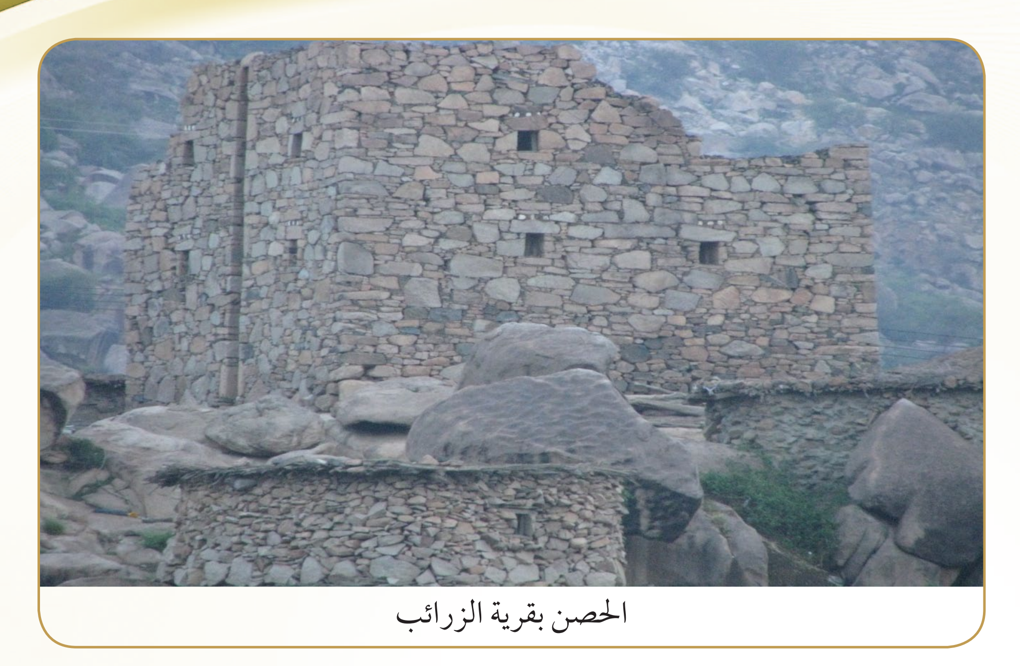
وتعتبر منطقة عسير من أكثر بلاد الجزيرة العربية عناية ببناء القلاع الحربية والحصون السكنية، وقد ساعدها على ذلك توفر المواد اللازمة من أحجار وأخشاب.فلا تخلو قرية من قرى المنطقة من وجود الحصون أو القلاع.وجبل ضِرْم أحد هذه الأماكن بالمنطقة التي زخرت بالعديد من الحصون والقلاع، والتي لازالت شامخة، ومحتفظة بتاريخها ومسمياتها، فأما الحصون فتنشئها الأسرة وتتخذها سكنى لها وتعد من أجمل العمران في الماضي.وأما القلاع فتتبع في ملكيتها لأهالي القرية، أو لفخذ معين من القبيلة، كانت لهم حصون مانعة في أوقات الحروب، بنيت في أوقات السلم تحسباً لتقلبات الزمان بالحوادث.

ومن هذه الحصون والقلاع على سبيل المثال لا الحصر:

حصن البطن، وقلعة القارية بقرية العتبة - حصن آل شفلوت بقرية الشرف -حصن شقاف بقرية المقرا -حصن قرية الحصن وحصن النصب وحصن القريات بقرية الزرائب- قلعة القصبة وحصن المبديات بقرية القفيل -حصن الظاهرة وحصن آل قياس وحصن القري وحصن الحبيل بقرية ثمران.



قلعة القصبة بالقفيل



الحصن بقرية الزرائب



حصن ومسجد ومجالس آل شفلوت قديماً

٢-القرى والبيوت القديمة:

وهي منتشرة بكثرة في الجبال والسهول وعلى حافة الوديان، وهي مبنية من حجارة الجبل، وبالرغم من كثرتها فقد لا تُلاحظ عن بعد لعدم تمايز جدرانها بألوان أخرى تميزها عن حجارة الجبل وتربته، وهذه القرى كثيرة ومتعددة وهي موجودة بالقرى الرئيسة التي سبق الحديث عنها، وهي تصور بجانب تجمعات الفلل السكنية الحديثة بالجبل مراحل التطور العمراني التي مر بها العمران بجبل ضِرْم.



قرية اليمنية القديمة بالعتبة

٣-المدرجات الزراعية:

تم استصلاح الجبال بأن تكون أحواض للزراعة فتم بناء المدرجات الزراعية في طول الجبل وعرضه، حتى أصبحت معلماً من معالم القوة والبناء، وبقيت معظم هذه المدرجات الزراعية على حالها بالرغم من هطول الأمطار وجريان مياه السيول من أعالي الجبل - جبل ضِرْم-، فخدمت المزارعين وكفتهم مؤونة الإصلاح والتعديل. وقد كان الأهالي في السابق هم من يقوم بعملية بناء المدرجات الزراعية، ويطلقون عليها «الزبر » ومفردها «الزبير»، وهي خبرة - بناء المدرجات الزراعية- قيل إن

أول من ابتدعها أهالي السروات في الجزيرة العربية ثم انتشرت في جميع مناطق العالم ، وهذه المدرجات منتشرة في جميع جهات جبل ضِرْم.



أحواض زراعية بقرية الشرف



أحواض زراعية بالعروض بقرية العتبة

٤-الكتابات والنقوش القديمة:

التي تعود إلى مئات السنين. ومنها تلك الكتابات الموجودة بقرية الشرف بأعلى جبل ضِرْم، بالقرب من جبل يسمى جبل لقمان، على صخور كُتب عليها باللغة الحميرية. وقد قام أحد الباحثين بقراءتها فاستطاع أن يقرأ جملة تقول: « هنا منزل لقمان الحكيم». وقد زعم أهالي قرية الشرف على ما يتناقلون عن أسلافهم أن قريتهم تنسب إلى لقمان الحكيم عليه السلام، ولذلك سميت الجهة الغربية من ضِرْم بجبل لقمان الحكيم. كما أخبرني بعض الأهالي بوجود قبر يزعمون أنه قبر للقمان الحكيم. وقد كانت تتوافد إلى منطقته وفود تقدم من الهند ومن إندونيسيا تلمساً للبركة بزعمهم. وقد قامت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التابعة لإمارة تهامة بَلْلَّسْمَر وبَلْلَّحْمَر بإزالة معالم القبر وتسويته بالأرض.

يقول العمروي: ولقمان عليه السلام رجل صالح وقيل إنه كان نبياً غير موحى إليه، وكان في قبائل العماليق، وإذا صح هذا الخبر فإن العماليق كانوا يسكنون سراة الأزد الحالية قبل نزوح الأزد من اليمن[(١)]. جاء في البداية والنهاية لابن كثير: «قال قتادة عن عبدالله بن الزبير: قلت لجابر بن عبدالله: ما انتهى إليكم في شأن لقمان ؟ قال: كان قصيراً أفطس من أهل النوبة»[(٢)]. وهذا الوصف للقمان الحكيم من حيث الخِلقة والمكان هو المتكرر والأشهر. قال ابن كثير: « والذي رواه سعيد بن أبي عرُوبة عن قتادة في قوله: ((ولقد ءاتينا لُقمان الحكمة))سورة لقمان: ١٢، قال: يعني الفقه في الإسلام، ولم يكن نبياً ولم يوحَ إليه، وهكذا نص على هذا غير واحد من السّلف،

(١) د.العمروي،عمر بن غرامة. كتاب قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام.الجزء الأول.ص٧٠.

(٢) ابن كثير،الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ،البداية والنهاية ،دار ابن كثير ،تحقيق علي أبوزيد ومحيي الدين ديب، الجزء الثاني،صفحة ٣٣٩ ،دمشق- بيروت، الطبعة الأولى .

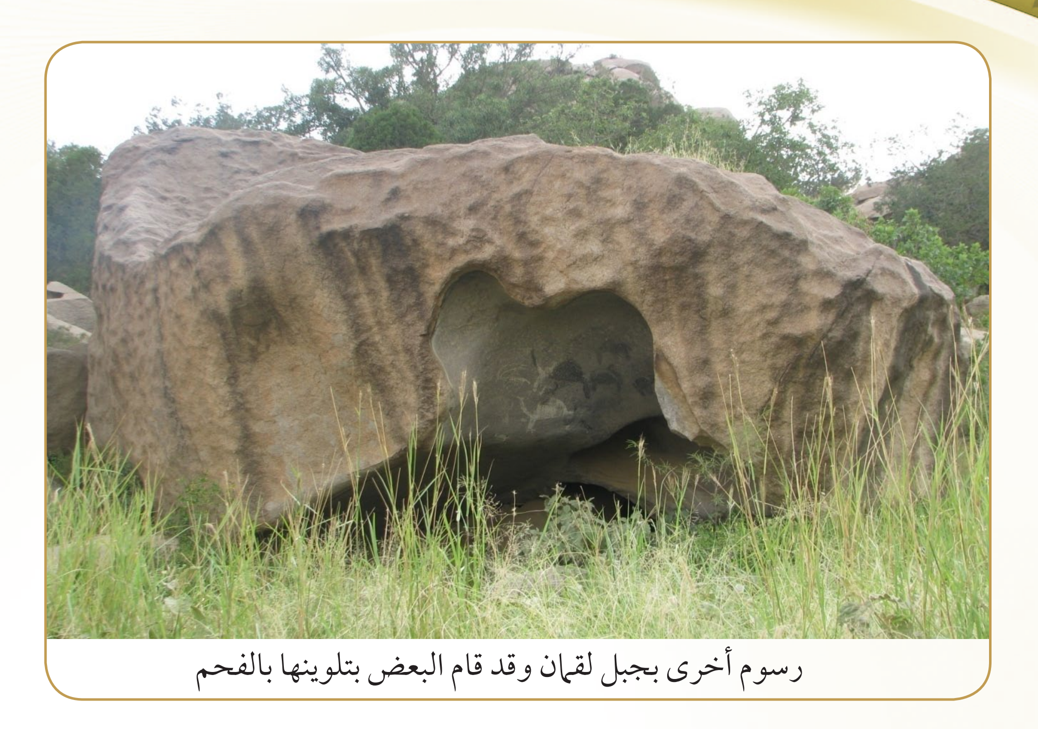
منهم مجاهد وسعيد بن المسيب وابن عباس.والله أعلم»[١] .

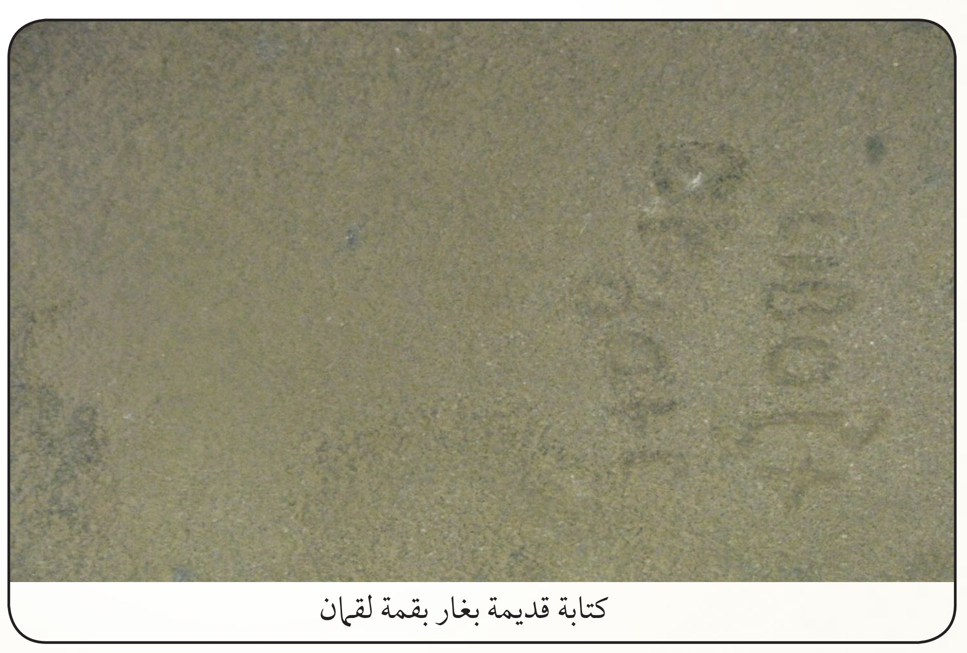
وفي قرية ثمران تذكر بعض الأوراق التي قام بجمع معلوماتها بعض المهتمين عن وجود نقوش قديمة على بعض الأحجار الكبيرة بالقرية، وفي موضع بمنطقة الصوبة بقرية العتبة يذكر بعض كبار السن مشاهدتهم لكتابات ونقوش قديمة في موضع يقال له «المعطرات» بين قرية ذا القناع وقرية إمجيدن ، وهي كتابات داخل كهف، وهم يتساءلون ويتعجبون من كيفية الوصول لهذا المكان ؟! لبعده وصعوبته، واستحالة الصعود إليه بالإمكانات البدائية القديمة كما ذكروا. وقد تمت مشاهدتهم لهذه النقوش عن بعد.



نقوش ورسوم قديمة على صخر بقمة لقمان بضِرْم

(١) نفس الكتاب ص ٣٥٠.


رسوم أخرى بجبل لقمان وقد قام البعض بتلوينها بالفحم


كتابة قديمة بغار بقمة لقمان

٥-الكهوف:

تمتاز المناطق الجبلية بوجود الكهوف بها، وهذه الكهوف تكون في الغالب إما داخل شقوق الجبال أو تحت صخرة مجوفة تم البناء من حولها، ويستخدمها الناس للسكن، وتكون درجة الحرارة بها منخفضة، يلوذ بها الرعاة في رحلات الرعي والتنقل بقطعان الأغنام، كما يلوذ بها الأهالي في فصول المطر خشية تهدم أسقف المنازل أو تسرب المياه، وفي الشتاء عند البرد القارس، ويطلق الأهالي على تلك الرحلة والفترة التي تُقضى في الكهوف وقت البرد الشديد أو الأمطار «البداوة» فيقال: تبدوت أسرة كذا في كهف التوامين مثلاً، وتسمى في العرف الجغرافي الهجرة الرأسية والتي ترتبط بمناطق الجبال والسهول إما تتبعاً لمواضع الأمطار في فصل الصيف عندما يهاجر أهالي السهول إلى الجبال، أو ربما هرباً من كثرة الأمطار المسببة للهدم والغرق في الصيف أو في الشتاء، وكذلك يهاجر سكان الجبال قديماً إلى السهول بشكل رأسي في فصل الشتاء حين تكون المرتفعات شديدة البرودة.

ويلجأ السكان بجبل ضِرْم إلى تلك المغارات والكهوف التي تنتشر بجبل ضِرْم لتلك الأسباب جميعها. وهذه الكهوف المبنية والمتعددة بجبل ضِرْم تدلنا إلى جانب من آثار أهل ضِرْم القدامى، ونحن في الجدول التالي نحاول توثيق تلك الكهوف، والإشارة إلى مواقعها بالجبل حرصاً على توعية وإرشاد الأجيال والزائرين بمعالم هذا النطاق:

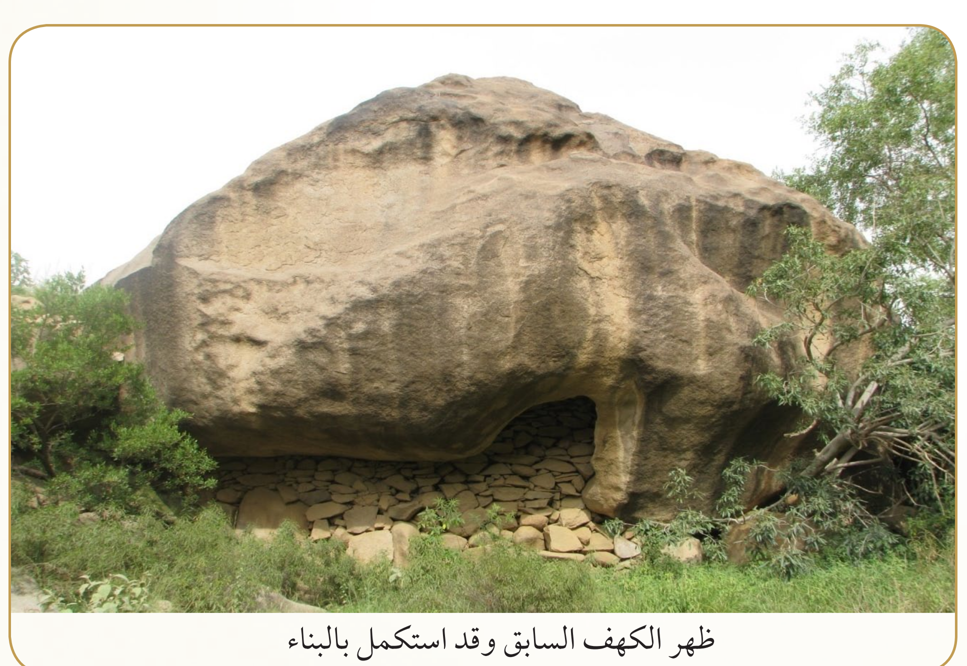
اسم الكهف (أو القنعة)	المكان والوصف
قناع التوامين	في المنتطح بقرية العتبة،يلجأ إليها الناس في أوقات كثرة الأمطار(في السبرة)،لأن سقوف المنازل في ذلك الطقس لا تقاوم الأمطار.

اسم الكهف (أو القنعة)	المكان والوصف
قناع الغر	تقع بالصوبة بقرية العتبة،وهي كهوف كبيرة بُني على واجهتها حائط وباب،يلجأ إليها الناس في أوقات الربيع عندما تكثر المطار لتحمي حلاهم ويطلقون عليها اسم "بداوة الغر".
قناع الرهو	تقع بالصوبة بقرية العتبة،وهي عبارة عن حارة كاملة من عدة كهوف.
كهوف أرواع النشم	تقع في الصوبة بقرية العتبة،ويطلق عليها "بداوة أدواع النشم".
قناع الصْرف	تقع في أسفل الصوبة من الجهة الشرقية، بقرية العتبة.
قناع الرجمة	تقع بالصوبة بقرية العتبة،وهي كهوف متصلة ببعضها البعض من أعلى الصوبة إلى أسفلها من الجهة الشرقية.
قناع المفصل	تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من الصوبة ،بقرية العتبة.
كهف شعثان	يقع في قرية المنتطح بقرية العتبة،بالقرب من موقع يقال له الوجرة.

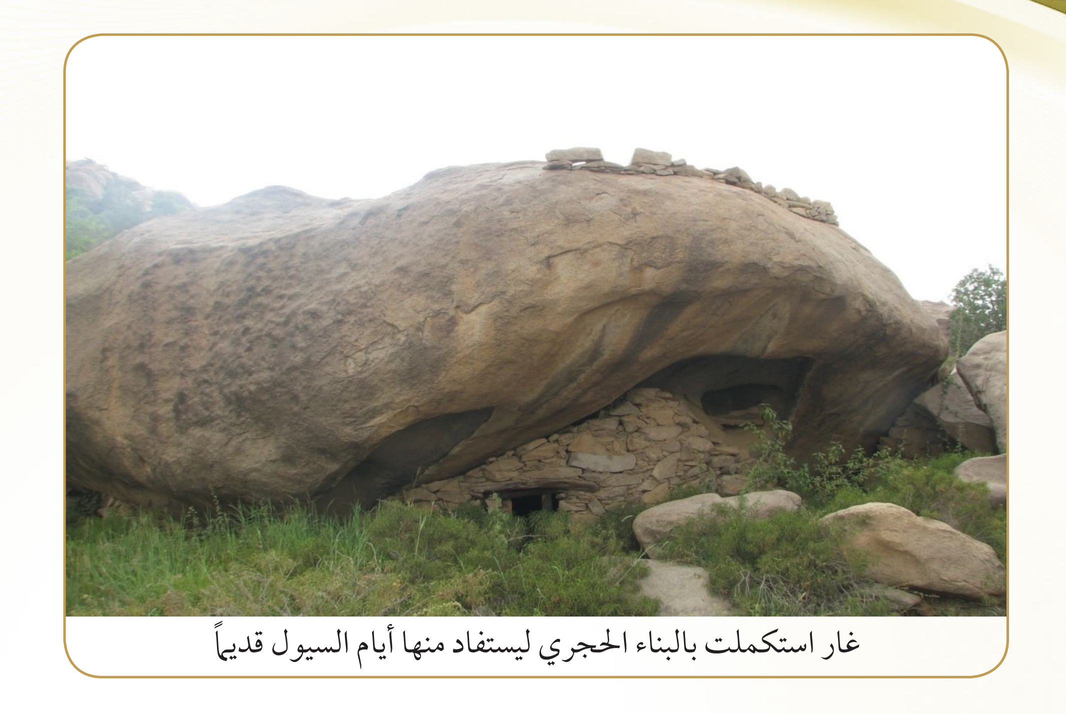
اسم الكهف (أو القنعة)	المكان والوصف
كهف اعمرين	يقع في قرية شـاط الحمر بالقرب من قرية الضحيان،وهو كهف كبير يسكنه الناس في أوقات الأمطار بحلاهم.
كهوف ابوزيد	تقع في وقعاء بقرية الضحيان.
كهوف ردم الشثة	تقع في قرية الضحيان،وهي بيوت مبنية تحت كهف كبير عبارة عن غار كبيرة.
كهف يعقوب	يقع في قرية الضحيان،وهو كهف كبير ،بني ببعض جهاته حائط ووضع له أبـواب ،ليصبح منزلاً لساكنيه .
كهوف القمة	تقع في النِّشِبة ،في الجهة الشمالية من قرية الضحيان .
كهوف وابل	تقع جنوب شرق قرية الشرف،بها عدد كبير من الكهوف،وهي بداوة يلجأ إليها أهل قرية الشرف أوقات الشتاء والأمطار بحلالهم،فهي أكثر دفئاً وأمنع عند سقوط الأمطار الكثيرة.
قنعة الدرعية	تقع بقرية الشرف ،في الجهة الجنوبية الشرقية من القرية.
قناع الصفا	تقع بقرية الشرف ،في الجهة الجنوبية الشرقية من القرية.

اسم الكهف (أو القنعة)	المكان والوصف
قنعة الصدعة	وتقع بقرية الزرائب ،بمرتفعات الجبل الغربية .
قنعة المختشة	وتقع بقرية الزرائب ،بمرتفعات الجبل الغربية .
قنعة مخلاء	وتقع بقرية الزرائب ،بمرتفعات الجبل الغربية .
قنعة المسهية	وتقع بقرية الزرائب ،بمرتفعات الجبل الغربية .
قنعة سد العتمة	وتقع بقرية الزرائب ،بمرتفعات الجبل الغربية .
قنعة حصن القامة	وتقع بقرية الزرائب ،بمرتفعات الجبل الغربية .
قنعة اللوة	وتقع بقرية الزرائب ،بمرتفعات الجبل الغربية .
قنعة آل بن سومل	وتقع بقرية القفيل .
كهوف الخلف	تقع بالخلف بقرية الشرف،ومنها غار يقال لها المجدور – مشهورة– ،وهي قنعة مقسمة بين أهل الخلف من آل غراء .
قنعة الصلقين	وتقع بقرية ثمران عند شعب وابل الذي ينزل بوادي ثمران .
قنعة الثريا	وتقع بقرية ثمران في منطقة يقال لها العطف،شمال ثمران .
قنعة العطف	وتقع بقرية ثمران .

كهف في صخرة عظيمة استخدم للسكنى قديماً



ظهر الكهف السابق وقد استكمل بالبناء



غار استكملت بالبناء الحجري ليستفاد منها أيام السيول قديماً

٦-الآبار:

تم حفر الآبار في كل مكان رغم وعورة تضاريس المنطقة بأدوات بدائية وفي أماكن جبلية، وظلت العناية والصيانة ، وقسمت الأيام بين الناس في الماضي حتى يسود النظام في عملية السقاية.وربما كانت تلك الآبار عبارة عن عيون جارية في مرتفعات الجبل أو في منخفضاته أو في الوديان، ولكي تتم الاستفادة من تلك المياه أنشأ الأهالي الآبار لكي يتمكنوا من الحفاظ على تلك المياه الجارية ومن ثم استخدامها، كما كانوا يتنبؤون بالبقاع التي تحوي مياه جوفيه فيعمدون إلى عمليات الحفر والبحث عن مخزون المياه الجوفية.واليوم استفاد العديد من الناس وخاصة في منخفضات الجبل من التطورات الجديدة في عمليات البحث والحفر، وتم إنشاء العديد من الآبار الإرتوازية إلى أعماق تصل من ٢٠ إلى ٢٥ متر.

المكان والوصف	أسماء الآبار القديمة والعيون
ويقع بقرية العتبة وبالقرب منه شجرة عتم معمرة ولذا سمي بالعتم .	بير العتم
ويقع بقرية المنتطح بقرية العتبة .	بير العينة
ويقع بقرية الفاضية .	بير آل الفاضية
ويقع بقرية المقرا .	بير السرين
ويقع بقرية الزرائب .	بير المعين
ويقع بقرية الفيء ،وقد كان عبارة عن عين تنبع ،فقام أحد فاعلي الخير بتحويله إلى بئر وقام ببنائه .	بير المهيد
ويقع بقرية الزرائب .	بير المعين
ويقع بقرية ثمران جنوب شرق جبل ضِرْم.	بير آل قياس
ويقع بقرية القواعد غرب جبل ضِرْم.	بير القواعد
ويقع بقرية الفاضية شمال جبل ضِرْم .	بير السعي
وتقع بقرية الزرائب .	عين الثبوت
وتقع بقرية الزرائب .	عين المعاين
وتقع بقرية القفيل.	عين الحدمة

أسماء الآبار القديمة والعيون	المكان والوصف
عين سواره	وتقع بقرية القفيل.
عين الصلق	وتقع بقرية القفيل.
عين المفطح	وتقع بقرية القفيل.
عين باالجين	وتقع بقرية ثمران .
عين الصلقين	وتقع بقرية ثمران .
عين المراهط	وتقع بقرية ثمران .



أحد الآبار على أطراف وادي ثمران

عين العتم بقرية العتبة



منطقة عين العتم وقد غُطيت بالأشجار والشجيرات

- **وفي هذا الصدد نوصي الأهالي بالمحافظة على الآثار الموجودة، مقترحين الآتي:**

١-توعية الأفراد بأهمية المحافظة على الآثار القديمة والتي تعتبر شاهدة على الماضي وملهمة للحاضر والمستقبل.

٢-إيجاد الأراضي البديلة للبناء والعمار الحديث، والمحافظة على ما بقي من دور قديمة ومساجد وقلاع وحصون وآبار.

٣-ترميم الآثار التي أصابها الهدم والخراب.

٤-جمع الأدوات القديمة، كأدوات الزراعة وأدوات الطعام والبناء والزينة واللباس وغيرها، في بناية مخصصة لعرض تراث أهل جبل ضِرْم وحفظه، وتوثيق الأشياء بأسماء أصحابها.

٥-الكتابة والتأليف والتوثيق بالصور للآثار الموجودة، والمناقشة حولها وحصرها.

٦-التواصل مع وسائل الإعلام والجهات السياحية المعنية بالآثار ؛لإبراز آثار هذه المنطقة ودعم القائمين عليها.



الفصل الرابع

المظاهر الطبيعية

- «خريطة حدود إمارة تهامة بلسمر وبلحمر – ويظهر على الخريطة موقع جبل ضرم –». - «صورة لجبل ضِرْم من القمر الصناعي».

- الموقع والحدود. - نشأة جبل ضِرْم.

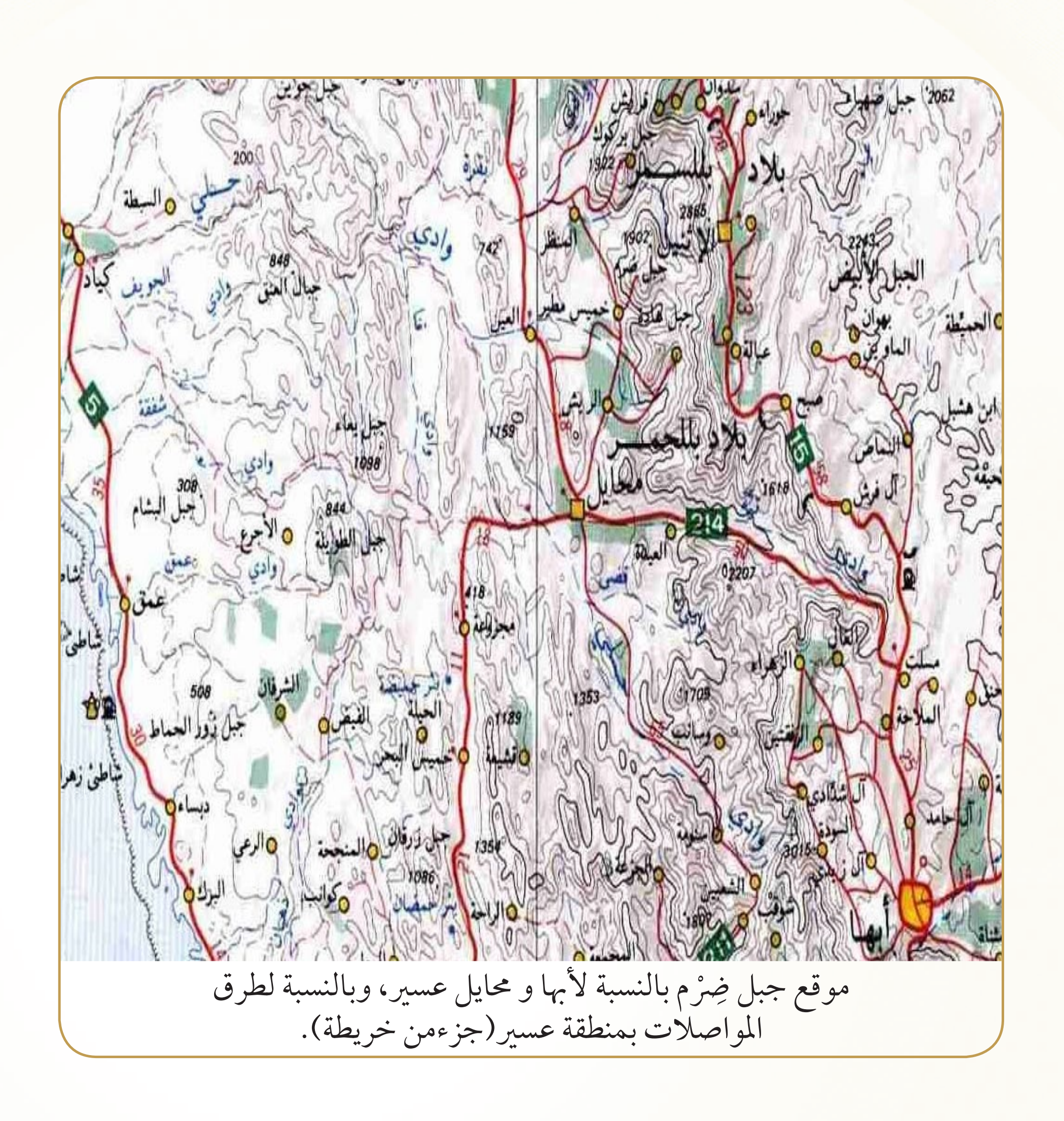
- نشأة الأودية. - المناخ.

- التضاريس: وتنقسم إلى ثلاثة أقسام هي: -

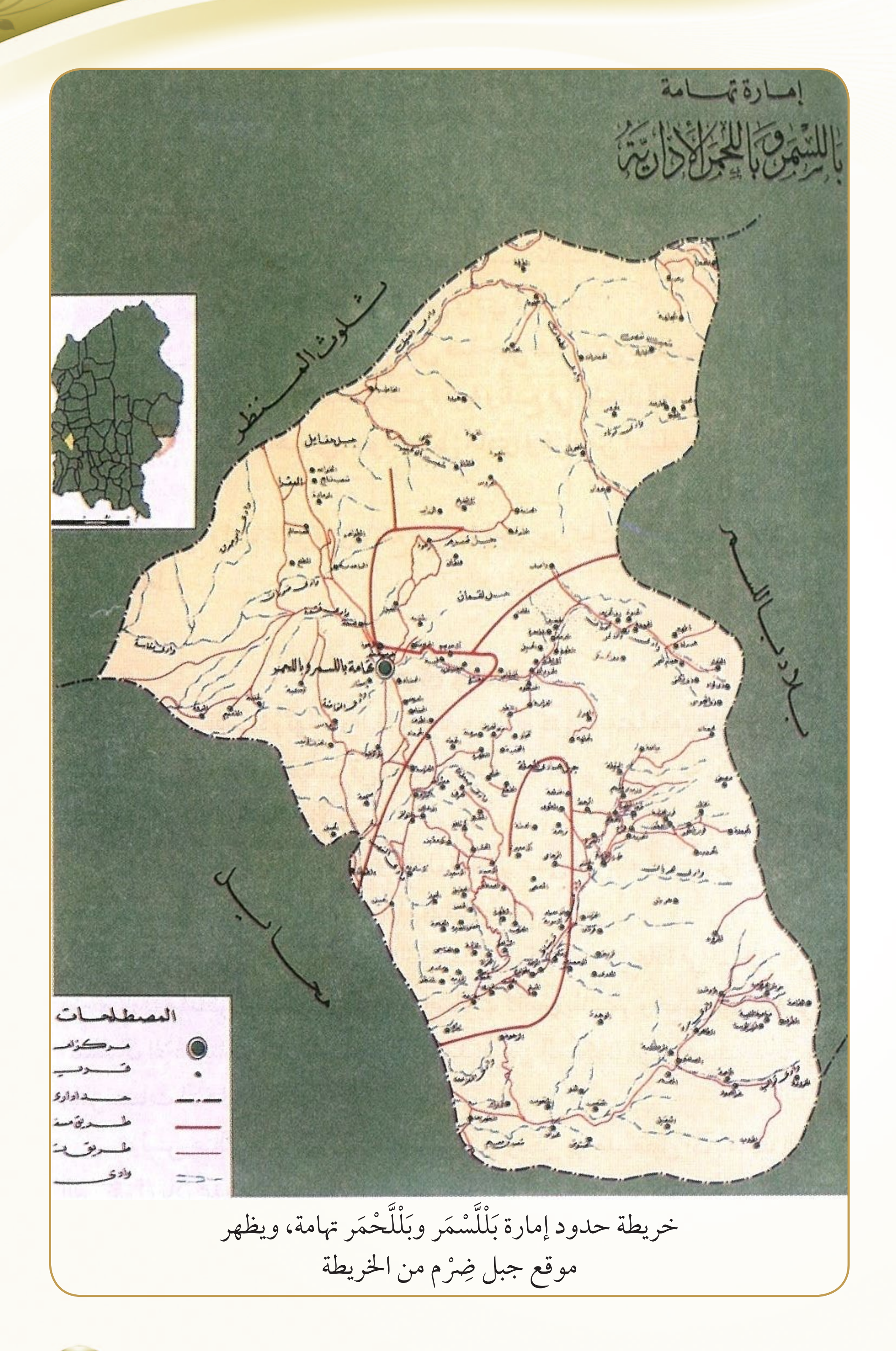
١- الجبل. ٢- السهل. ٣- الأودية.

- التربة. - مصادر المياه. - النباتات الطبيعية. - الحيوانات.





موقع جبل ضِرْم بالنسبة لأبها و محايل عسير، وبالنسبة لطرق المواصلات بمنطقة عسير (جزءمن خريطة).



خريطة حدود إمارة بَلْلَّسْمَر وبَلْلَّحْمَر تهامة، ويظهر
موقع جبل ضِرْم من الخريطة



المبحث الأول:
الـموقع والحدود

الموقع:

يقع جبل ضِرْم في الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية، وهو أحد الجبال الواقعة بإمارة تهامة بَلْلَّسْمَر وبَلْلَّحْمَر التابعة لمحافظة محايل عسير بمنطقة عسير، وهو إلى الشمال من جبل هادا.. ويقع في غربه مركز خميس مُطير الإداري[1].
وهو جبل شاهق يبلغ ارتفاعه حوالي ٢٢٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر، ويقع على خط طول َ٠٩ ْ٤٢، وعلى دائرة عرض ٤٤ ْ١٨ ٢[2].

يبتعد جبل ضِرْم عن إمارة اثنين بَلْلَّسْمَر شرقاً ٥, ١٢كم، والواقعة على سلسلة جبال السروات، وتبعد هي بدورها عن مدينة أبها ٩٤ كم.كما يبتعد أسفل جبل ضِرْم غرباً جهة مركز خميس مطير عن مدينة محائل عسير ٢٧ كم.

الحدود:

يحد جبل ضِرْم من الجنوب وادي ثمران وجبل هادا، ومن الشمال وادي الغيل وجبل بركوك، ومن الشرق وادي نطعان وسفوح جبال السراة (سراة بَلْلَّسْمَر)، ومن الغرب السهل المتمثل في مركز خميس مطير وثلوث المنظر.

---

(١) العمروي، عمر غرامة. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ص١٠-١١.

(٢) أطلس المملكة العربية السعودية ،،مكتبة العبيكان ،صفحة ٢٢٣ .



صورة من القمر الصناعي لجبل ضِرْم

المبحث الثاني:
نشأة جبل ضِرْم

يعتبر جبل ضِرْم من الجبال التهامية التي تقع في سهول تهامة، كما يمكن أن يطلق عليه الجبل السفحي؛إذ إنه يقع في سفح حافة مرتفعات السروات، وجبل ضِرْم والجبال التهامية كما يقول علماء الجيمورفولوجيا والجيولوجيا.نشأت نتيجة للانكسارات السلَّميَّة التي صاحبت حركة انفصال شبة الجزيرة العربية عن إفريقيا[1]، فقد مالت الجزيرة العربية نتيجة لحركة الصفائح التكتونية المتمثلة في الصفيحة العربية والإفريقية، وفي أثناء هذه الحركات التكتونية انفصلت شبة الجزيرة العربية عن الدرع العربي الأفريقي مكونة البحر الأحمر...وصاحب هذا الانفصال نشاطات بركانية على طول الطرف الغربي لشبة الجزيرة العربية [2] نتج عنها تدفق اللابة في غربي شبه الجزيرة العربية. ونشأت الجبال والتلال الموجودة حالياً غرب شبه الجزيرة العربية ومنها جبل ضِرْم.

وقد كانت شبه الجزيرة العربية في العصر ما قبل الكمبري- قبل أن يتكون البحر الأحمر- متصلة بإفريقيا كجزء من الدرع الإفريقي النوبي، وفي هذا العصر تحول السطح إلى سهول مستوية، شبه خالية من المناطق الجبلية؛وذلك نتيجة لعوامل التعرية التي عملت لمدة زمنية طويلة من دون أن يعتريها عمليات رفع بانية للجبال[3].



(١) أ.د الوليعي ، عبدالله بن ناصر .جيولوجية و جيمورفولوجية المملكة العربية السعودية .الطبعة الأولى.١٤١٦هـ-١٩٩٦م .ص٢١٨.

(٢) أ.د الوليعي ،عبدالله بن ناصر .جيولوجية وجيمورفولوجية المملكة العربية السعودية .الطبعة الأولى .١٤١٦هـ-١٩٩٦م .ص٣٠.

(٣) موقع ويكيبيديا -الموسوعة الحرة- تحت عنوان « الصفيحة العربية ».

المبحث الثالث:
نشأة الأودية

يرتبط بنشأة جبال السروات والجبال التهامية نشوء أغلب الأودية المحاذية لها، فبعد أن نشأت جبال السروات والجبال التهامية في منتصف الزمن الثالث وفي أواخر العصر الكرتياسي -كما ذكرنا - نتيجة لانفصال شبه الجزيرة العربية عن إفريقيا، سمح ومكن وجود تلك السراوات والجبال التهامية المرتفعة من نشوء تلك الأودية بعد مواجهة وصد الرياح الجنوبية الغربية المحملة بالسحب الممطرة وخرق تلك السحب ؛مما يؤدي إلى سقوط الأمطار على أعالي هذه الجبال بشكل شبه مستمر، وإلى انحدار مياه تلك الأمطار عبر انكسارات تلك الجبال شديدة الانحدار إلى السهول والمنخفضات في أوقات مختلفة وبكميات وسرعات متفاوتة؛ مما أدى بدوره إلى حدوث عمليات رفع ونحت متعمق ساهمت في شق تلك الأودية المحاذية لجبال السروات والجبال التهامية.

وقد اتسمت تلك الأودية بمجارٍ شديدة الانحدار، وروافد منحوتة بشكل عميق، ووديان ضيقة تطول وتقصر، وتتصل ببعضها وبغيرها من المجاري المائية حتى يتصل الأخير منها بالبحر الأحمر.



المبحث الرابع:
المناخ

بصفة عامة يمكن القول بأن مناخ جبل ضِرْم يتنوع بسبب عامل اختلاف السطح فيتباين في أعلاه عنه في أسفله في فصول السنة، وينتج عن ذلك الاختلاف في السطح اختلاف درجات الحرارة ونسبة الرطوبة والرياح والأمطار بالارتفاع والانخفاض.

ففي الشتاء نجد النهار في أعلى الجبل ذا حرارة معتدلة إلى بارد والليل بارد إلى بارد جداً، وفي بقية الشهور يكون النهار دافئاً إلى حار والليل معتدلاً، وعلى مدار السنة نجد النهار في أسفل الجبل حاراً إلى حار جداً مع رطوبة، والليلْ معتدل الحرارة في فصل الشتاء ودافئ إلى حار في باقي السنة، والأمطار يحتمل سقوطها على مدار السنة مع زيادة في فصل الصيف بسبب هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية على منطقة عسير، والتي تهب من المحيط مارةً على البحر الأحمر، فتدفع السحب المحملة ببخار الماء على البحر الأحمر إلى سهل تهامة، فتصطدم بجبال تهامة المرتفعة كجبل ضِرْم، وجبال السروات وتتسبب في هطول الأمطار، قال تعالى: ((وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماءاً طهوراً. لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مِمَّا خلقنا أنعاماً وأناسيَّ كثيراً))[1].

وتتسبب هذه الرياح القادمة من المحيط الهندي ورياح أخرى من إفريقيا، بدفع العواصف الرملية التي عادةً ما تحدث صيفاً فوق هضبة الحبشة، إلى تهامة منطقة عسير وجبال تهامة منطقة عسير كجبل ضِرْم، وجبال السروات في فصل الصيف، كما تثير معها تربة الساحل، فتحصل ظاهرة الغبرة التي تسمى عند الأهالي باسم « القتمة »، وعادةً ما تحدث بعد الزوال حتى غروب الشمس.

وبالمقارنة مع مناخ السروات فإن جبل ضِرْم يختلف في مناخه نسبياً عن سراة

---

(١) سورة الفرقان:آية٤٨-٤٩.

بَلْلَّسْمَر، وسبب ذلك ارتفاعه الذي يقل عن السراة، والذي يبلغ ٢٢٠٠م فوق مستوى سطح البحر، بينما يصل ارتفاع سراة بَلْلَّسْمَر إلى أكثر من ٢٥٠٠م فوق مستوى سطح البحر.

جاء في كتاب جغرافية المملكة العربية السعودية للدكتور عبد الرحمن بن صادق الشريف عند حديثة عن مناخ إقليم الجبال الساحلية (الجبال التهامية): «ويمتاز بالتفاوت الكبير في خصائصه المناخية حيث ارتفاع التضاريس واتجاهها، إذ تنقص الحرارة في الجبال وتغزر الأمطار لاسيما السفوح المواجهة للجنوب الغربي، وتتراوح أمطارها بين ٢٠٠-٥٥٠ ملم»[١].



صورة السيل بقرية المنتطح بقرية العتبة

(١) أ.د الشريف، عبدالرحمن صادق. جغرافية المملكة العربية السعودية،الجزء الثاني إقليم جنوب غرب المملكة. دار المريخ. طبعة قديمة. الرياض. ص٥٣. (مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).



منظر الضباب وقد تخلل سفح الجبل



أجواء معتدلة غائمة



ما بعد توقف المطر ويطلق عليه الصحو



وهنا يغطي الضباب قرية العتبة والمدرجات الزراعية

المبحث الخامس:
التضاريس

ينقسم جبل ضِرْم من الناحية التضاريسية إلى ثلاث أقسام، وهي:

١- الجبل.

٢- السهل.

٣- الأودية.

الجبل:

جبل ضِرْم يمتاز باتساعه، ويتسم بانحداره الشديد تجاه الغرب، وتدرج انحداره نحو الشرق.تكثر الجروف في غربه والتي يسtميها الأهالي «جباه»، وهذه الجباه أطلقت عليها المسميات التي تشير إليها، وهي صخور عظيمة ملساء مستقيمة الحواف تشكل مخاطر وتلفت الانتباه، وأما شرق الجبل فمتدرج الانحدار يسهل من خلاله التنقل بشكل أكثر سهوله مقارنة بجهته الغربية، وهو من الجبال البركانية التي نشأت منذ آلاف السنين، وصخورهُ نارية تأخذ اللون البني، وهي مظنة وجود المعادن الفلزية مثل الحديد و النحاس وغيرها كبعض مناطق الدرع العربي ذات الصخور النارية، ويوجد به العديد من القمم الشاهقة الارتفاع، كقمة جبل لقمان، وقمة جبل رأس المنور وقمة الصوبة وقمة المشيخ، وتنتشر على سطحه الغابات كغابات الشرف والصوبة ، ويمكن أن يكون منطقة جذب للسياح في فصل الصيف، لمناخه المناسب ومناظره الطبيعية الجميلة.

ويتدرج جبل ضِرْم في الارتفاع حتى نصل إلى قمته، فتختلف التضاريس

ودرجات الحرارة والرطوبة وكميات مياه الأمطار بالتدرج في الصعود من أسفله إلى أعلاه، وقد نتج عن ذلك الاختلاف وجود بيئات حيوانية ونباتية متنوعة، ومحاصيل زراعية مختلفة، كانت لصالح إنسان ضِرْم.

وتأخذ صخور منخفضات ضِرْم شكل متمايز عن صخور مرتفعات الجبل، فبينما صخور المنخفضات ذات زوايا حاده وقشره خشنة وأحجام صغيرة في الغالب تكون صخور مرتفات ضِرْم ملساء وذات زوايا دائرية وأحجام كبيرة، وهي سمة ملاحظة وظاهرة تعود لأسباب جيولوجية ترتبط بعمليات نشأة الجبل، ولتأثيرات عوامل التعرية المختلفة، كما تغطي المرتفعات الأحجار الكبيرة بحجم أكبر، وتكون في المنخفضات أقل منها في المرتفعات.

ويسمى ساكنو الجبل عند أهل ضِرْم « بالجبالية »؛ لسكناهم الجبال، بينما يسمى ساكنو السهل « بالسهالية » ؛لأنهم يعيشون في السهل، وهي تسميات قديمة، تصنف الناس بحسب طبيعة الأرض التي يعيشون فيها.



صورة لجبل ضرم من أسفل العقبة

السهل:

وهو يوازي جبل ضِرْم من الغرب والشمال الغربي، ويتداخل معه، وتتخلله جهات الجبل الغربية على شكل تلال، و بهِ نقطة التقاء الجبل بالسهل، وتنتشر فيه عدد من قرى آل سَعْدٍ كالقواعد والمقرا والفاضية، وتكثر به الأراضي الزراعية. ويسمى القسم الساكن في السهل «بالسهالية» نسبه إلى طبيعة الأرض السهلية التي يسكنونها. وتتميز تربة السهل بالخصوبة، ولذا انتقلت قبائل بَلْلَّسْمَر من موطنها السابق بسراة بَلْلَّسْمَر إلى تهامة ؛للاستفادة من خصوبة التربة بتهامة، ولاستثمارها في نشاطهم الزراعي الذي كان يحتل الدرجة الأولى بين الأنشطة الاقتصادية المختلفة في الماضي.

وقد انتقل مؤخراً العديد من أهالي جبل ضِرْم ممن لا يرغبون في التحول إلى المدن إلى السهل الموازي لجبل ضِرْم في قرى الفاضية والقواعد ومركز خميس مطير وثلوث المنظر، لتوفر الخدمات كالمدارس للبنين والبنات، والأسواق والهاتف والمياه والصحة والأعمال، والوظائف الحكومية بالمراكز والمحافظات الأخرى القريبة، فاتسعت مساحة هذه القرى وكثر بها السكان.

وربما تتحول تلك القرى مع الوقت إلى مدينة كبيرة، عندما تتصل هذه القرى ببعضها بسبب زحف العمران.وسيصبح من الضروري مواكبة هذا التوسع بالتخطيط المناسب و زيادة الخدمات، والعمل على التطوير والاعتناء بشكل أكبر من السابق، وهذا مما يجدر إدراكه.



قرية القواعد عند نقطة إلتقاء الجبل مع السهل

الأودية:

تشكل شعاب سفوح سراة بَلْلَّسْمَر الغربية، وشعاب جبل ضِرْم التي يشقها السيل في منحدرات الجبل المختلفة طرقاً لمياه الأمطار التي تصب في الأودية المحيطة بجبل ضِرْم، والتي يحتمل سقوطها (أي الأمطار) في مختلف فصول السنة، فعندما تسقط الأمطار في فصل الصيف وفي فصل الشتاء على جبل ضِرْم بسبب هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية صيفاً، والرياح الشمالية الغربية شتاءً، تنحدر المياه من شعاب جبل ضِرْم فتصب في هذه الأودية وتجري السيول، وربما كانت كل فترات الفصول الأربعة مواسم يتوقع فيها جريان هذه الأودية بمياه الأمطار.

وهذه الأودية في جبل ضِرْم أهمها: وادي الغيل ووادي نطعان ووادي ثمران، وهناك أودية أخرى قصيرة كـ «النحابة» و«قرناء» و«قرب» و«آل عبيد» و«ذي صلب» و«سواره» إلا إنها في الحقيقة روافد للأودية التي سبق ذكرها. وجميع هذه الأودية الروافد تقع إجمالاً شرق جبل ضِرْم، وبالتفصيل يمكن أن نقول إن أودية «ثمران» و«آل عبيد» و«ذي صلب» و«سواره» تقع في الجنوب الشرقي من جبل ضِرْم، وأما أودية «النحابة» و«قرناء» و«قرب» فتقع شرق جبل ضِرْم.

وأما أودية «الغيل» و«نطعان» و «ثمران» الأكبر والأطول فيحدون جبل ضِرْم من الشمال والشرق والجنوب.فوادي «الغيل» يتاخم جبل ضِرْم من جهة الشمال وهو من أخصب أودية تهامة ولعله الوحيد في المملكة -كما ذكر ذلك الدكتور / عمر غرامة العمروي في كتابه «المعجم الجغرافي لبلاد رجال الحجر»-، ويرفده كل من أودية «النحابة» و«نطعان»و«قرناء»و«عصا» و«قرب» وهو يسيل-أي الغيل- في وادي خاط ثم إلى يبة.وأما وادي «نطعان» فيتاخم جبل ضِرْم من الجهة الشرقية ويرفده شعاب تنحدر من منكسرات السراة ومنحدرات ضرم الشرقية، ويصب في وادي الغيل شمال الجبل، وأما وادي «ثمران» فهو يتاخم جبل ضِرْم ويحده من جهة الجنوب، ويرفده وادي «آل عبيد»ووادي «ذي صلب» و«سواره»، وهو يسيل في وادي المخاضة ثم إلى وادي فرشاط ثم إلى وادي حلي.



وادي ثمران جنوب الجبل وغابات من أشجار الطلح والسدر والأبراة



السيل بوادي نطعان شرق جبل ضِرْم



وادي الغيل

تنحدر مياه السيول من أطراف المرتفعات الجبلية وتتجمع بالأودية

المبحث السادس:
التربة

قامت وزارة الزراعة والمياه متمثلة في إدارة استثمار الأراضي بالوزارة، وذلك في العقدين السابقين لعام ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، بدراسات حصر التربة في المملكة، وقد تم حصر التربة في المملكة في عدد من العشائر تبعاً لنظام التصنيف الأمريكي(وزارة الزراعة الأمريكية ١٩٧٥م). وتم وصف عشائر التربة والخواص الرئيسة للترب. وبناءً على تلك الدراسات فإن عشيرتين من عشائر التربة في المملكة والمحصورة في الدراسة تتوافر بجبل ضِرْم وهما:

١-تربة أراضي المدرجات في مرتفعات الجبل المستوية والمنحدرة (ليثيك توري اورثنتس- بروزات صخرية- زيرو اوثنتس)،

٢-وتربة الأراضي شبه المستوية وخفيفة الانحدار في السهل وفي مجاري الوديان عند أقدام الجبل (توري فلوفنتس- توري أوثنتس).

أولاً/ تربة أراضي المدرجات في مرتفعات الجبل المستوية والمنحدرة:

«تكون ترب التورى أورثنتس نحو ٧٠ ٪ من هذه الوحدة، وأراضى صخرية نحو ١٥ ٪، وترب الزير أورثنتس نحو ١٠ ٪، وترب ثانوية نحو ٥ ٪.

وترب التورى أورثنتس ترب ضحلة وضحلة جدا، و طميية وهيكلية طميية، عديمة الملوحة إلى خفيفة الملوحة ذات نفاذيه متوسطة وقدرة منخفضة ومنخفضة جدا على الاحتفاظ بالماء، توجد مساحات الأراضي الصخرية على المنحدرات.. والمرتفعات.. والتلال. وتوجد ترب الزير أورثنتس في المدرجات، وهى ترب عميقة، طميية، عديمة الملوحة وخفيفة الملوحة جداً، متوسطة النفاذية وذات قدرة

مرتفعة على الاحتفاظ بالماء»[1].

ثانياً/ تربة الأراضي شبه المستوية وخفيفة الانحدار في السهل وفي مجاري الوديان عند أقدام الجبل:

«تمثل ترب التورى فلوفنتس ما يقارب ٥٠ ٪ من هذه الوحدة، و التورى سامنتس حوالي ٥٢ ٪، وترب الكالسي أورثيدس نحو ٢٠ ٪، وترب أخرى بمساحات صغيرة نحو ٥ ٪.

توجد ترب التورى فلوفنتس في جداول المياه والسهول.. وهى ترب عميقة، طميية طبائقية عديمة الملوحة إلى خفيفة الملوحة، تتعرض للغمر أحيانا، ذات نفاذية متوسطة وقدرة مرتفعة على الاحتفاظ بالماء.

توجد ترب التوري سامنتس في مجاري المياه والسهول..وهي ترب رملية، عميقة، عديمة الملوحة إلى خفيفة الملوحة، وذات نفاذية عالية، وقدرة منخفضة على الاحتفاظ بالماء.

توجد ترب الكالسي أورثيدس في مساطب جداول المياه، وهى ترب طميية عميقة، عديمة الملوحة إلى متوسطة الملوحة ذات نفاذية متوسطة وقدرة عالية على الاحتفاظ بالماء.تشتمل هذه الوحدة على مساحات صغيرة من ترب رملية حصوية..»[2].

(١) تقرير حصر التربة بالمملكة العربية السعودية،موقع وزارة الزراعة.

(٢) تقرير حصر التربة بالمملكة العربية السعودية،موقع وزارة الزراعة.



تربة أراضي المدرجات في مرتفعات الجبل المستوية والمنحدرة



تربة الأراضي شبه المستوية في السهل

المبحث السابع:
مصادر المياه

الماء مادة الحياة الأساسية، قال تعالى: (وجعلنا من الماء كل شيء حي)[1]، ووجود الماء في موقع ما يلعب دوراً مهماً في وجود السكان وبقائهم، وجبل ضِرْم موضع تهطل به الأمطار أغلب شهور السنة، ولذا كان موضع استقرار وحياة وقيام للقرى وللأنشطة الاقتصادية.

وقد تنوعت مصادر المياه في الماضي والحاضر بين جوفية وسطحية، فقد عاش أهالي الجبل في الماضي معتمدين على المياه الجوفية كمصدر رئيسي للمياه، كمياه العيون ومياه الآبار التي تتواجد في الجبل منتشرة بين الأودية وبين المرتفعات عند مجاري السيول(الشعاب)، وقد كانت معظم قرى الجبل لا تخلو من وجود بئر أو عين أو أكثر يكون عليها الاعتماد بعد الله، وأما القرى التي لا يتوافر بها مصدر للمياه أو التي ينفذ ما عندها فهي تنتقل للقرى الأخرى لتسقي الماء ولتجلبه لمنازلها، وقد كان في عادات وتقاليد القبائل ترتيب محدد لعملية السقاية بين الأسر والقبايل؛ لتفادي وقوع الخصومات ولتحقيق المصلحة بالتنظيم والتساوي.

وقد اشتهرت تلك العيون والآبار بتسميات لصقت بها مع الزمان، وعرفها كبار السن والمهتمين وضبطوا مواقعها والقرى التابعة لها بالرغم من سعة جبل ضِرْم وتعدد قراه ؛لأنهم احتاجوا لبعضها في فترات، وتلك المصادر الجوفية متعددة ولكن يبقى أهمها: عين العتم في قرية العتبة، والعينة والثبوت بقرية القراة، وعين المثلة و أعمرين ووقعاء وسبي في قرية الضحيان، وعين العيون بقرية الطرقة والتي تصب في وادي الغيل، وعين الحدمة وسواره والصلق والمفطح بقرية القفيل، وعين باجين والصلقين والمراهط بقرية ثمران، وبير السعي بقرية الفاضية، وبير السرين بقرية المقرا، وبير المعين بقرية الزرائب وبير القواعد بقرية القواعد، وبير المهيد بقرية الفي

---

(١) سورة الأنبياء آية (٣٠).

وبير آل قياس بقرية ثمران وغيرها من العيون والآبار المنتشرة بالجبل، والتي توافد إليها السكان في الماضي من كل حدب وصوب، لجلب المياه إلى منازلهم وتوفيرها.

وقد أتى في الدرجة الثانية بعد مياه العيون والآبار: المياه السطحية متمثلة في مياه الأودية، فربما اعتمد أهالي الجبل في الماضي على مياه الأودية إذا فُقدت مياه العيون ونضبت مياه الآبار.

ويحيط بجبل ضِرْم أودية كبيرة وروافد تحده من الشمال والشرق والجنوب، تتمثل في وادي الغيل و نطعان وثمران وأودية أخرى صغيرة وهي روافد لهذه الأودية، يستفاد من مياهها في الماضي كأودية آل عبيد وذي صلب والنحابة وقرناء وقرب وسواره وخوراء والمصبح، وقد فصلنا الحديث والشرح عنها في مبحث التضاريس عند الحديث عن الأودية.

فمثلاً كان أهالي قرية العتبة قديماً يستقون عند هطول الأمطار من أودية النحابة ونطعان، ويستقي أهالي المقرا والقواعد والفاضية من وادي الغيل وروافده، ويستقي أهالي ثمران والقفيل من وادي ثمران وروافده وهكذا كان الأهالي قديماً يستفيدون من مياه الأودية عند سقوط الأمطار.



منطقة سبياً بوادي نطعان ويظهر جريان الماء ببطن الوادي


لاحظ في الصورة جريان مياه السيل عبر المدرجات الزراعية

وفي الوقت الحاضر، نجد أن السكان يعتمدون على المياه السطحية متمثلة في مياه الأمطار بالدرجة الأولى، والتي تتجمع في ما يسمى «البركة» من خلال سطوح المنازل أو الشِعَاب التي تحمل المياه من أعالي الجبال في طرق مخصصة لكل «بركة».

و«البركة» هي عبارة عن حيز مكاني يحفظ بداخله الماء، وتختلف سعته وارتفاعه، فقد يصل طول البركة مابين ٥م إلى ١٣م، وقد يكون عرضها مابين ٤م إلى ٧م، وقد يصل الارتفاع مابين ٢م إلى ٤م، تحوي بداخلها الماء من خلال سطوح المنازل، ومن خلال المجاري المائية التي يشقها الأهالي في الجبال، وتسمى شعاب (ومفردها شعيبة) والتي تستقبل بدورها مياه الأمطار المنحدرة من أعالي الجبال، لتصل مياه الأمطار إلى خزان صغير يسمى المحثل ثم إلى البركة عبر فوهة صغيرة بينهما ترتفع عن أرض «المحثل»، ليدخل الماء إلى البركة بعد أن تسكن الأتربة في أسفل «المحثل».

ويوضع على الفوهة المفتوحة بين «المحثل» الصغير و«البركة» شبك لا يسمح بدخول الأحجار أو أوراق الأشجار أو غيرها من الأشياء، إلى داخل «البركة».

والصورة التالية تُظهر بالترتيب من يمين الصورة إلى يسارها، «الشعيبة» بين الصخور على يمين المحثل ثم «المحثل» ثم «البركة» ذات الصبة الماثلة أمامنا.



من اليمين.. الشعيبة ثم المحثل ثم البركة

واليوم يمكن أن يستعين أهالي القرى التي تصل إليها مياه التحلية بناقلات المياه الكبيرة - مياه التحلية- عندما تنفد مياه الأمطار من البرك، وقد تيسر ذلك بعد وصول الطرق المعبدة إلى القرى، وبعدما تم ربط الجبل بشبكة الطرق في تهامة منطقة عسير عبر عقبة جبل ضِرْم.

كما يتكافل الأهالي في الجبل، فتجد السكان الذين يصعب أن تصل إليهم مياه التحلية، يستعينون بمياه الأمطار المتواجدة في برك الآخرين الذين غادروا المنطقة.



المبحث الثامن:
النباتات الطبيعية

ويقصد بها النباتات التي تنمو دون تدخل الإنسان.

وهذه النباتات تعتمد في نموها على عناصر المناخ (الأمطار- الرطوبة- الحرارة - الرياح) إضافة إلى التربة، ويتوقف تواجد الواحدة منها في مكان على تواجد المناخ المناسب لها، على درجات متفاوتة ومتباينة بين نبتة وأخرى أو نبات وآخر، فكل نبات له بيئته التي يعيش فيها وينمو.

ونظراً لاختلاف تضاريس جبل ضِرْم بين حواف منخفضة ومواضع متوسطة الارتفاع وأخرى شاهقة، ونظراً لاختلاف المناخ والتربة تبعاً لاختلاف التضاريس، فقد تنوعت النباتات على سطحه وأخذت تتوزع بحسب ما يناسبها من مناخ، وحوى الجبل العديد من النباتات الصغيرة والشجيرات والأشجار متنوعة البيئات المناخية، وشكل سطح الجبل أقاليم مناخية متنوعة تناسب نمو العديد من النباتات المختلفة، وأتاح هذا التنوع الفرصة لرؤية المقيم والزائر لهذه النباتات المتنوعة في نطاقٍ واحدٍ. فحين نجد غابات العرعر على قمم الجبل لمواجهتها للرياح الجنوبية الغربية الرطبة، نجد في المناطق الدافئة الرطبة الأقل ارتفاعاً من القمم أشجار الأثب والعتم والشث، ونجد في جهة مساحات واسعة من الأعشاب التي تغطي مساحة تزيد عن مساحة مناطق الأشجار، كما تشغل الفراغات التي تفصل الأشجار عن بعضها البعض. ونجد في الوديان الأكثر حرارةً -حيث تقل الارتفاعات- أشجار الأكاسيات الشوكية كالطلح والسلم والسّمر، وأشجار الطرفيات كالأثل العربي والسدر والهدال الذي يعيش طفيلي على أشجار السدر والطلح.

ولعلنا نأتي الآن على ذكر عدد من النباتات الطبيعية بجبل ضِرْم، مع الشرح

المختصر لها، وذكر استعمالاتها في الماضي[1].

فمن هذه النباتات المتواجدة بجبل ضِرْم:

العرعر:

شجر دائم الخضرة، يزيد ارتفاعه عن عشرة أمتار، ينبت في مرتفعات جبل ضِرْم، وهو من النباتات المعمرة، وله القدرة على تحمل الجفاف، ومقاومة الأمراض التي تسببها بعض الحشرات، ويمتاز برائحة طيبة وزكية جداً، ويعيش في مرتفعات جبل ضِرْم، وقد كان يستفاد من خشبه في الماضي لتشييد الأسقف كما أنه مادة جيدة للوقود.

الطلح:

ينبت شجر الطلح في منخفضات جبل ضِرْم والسهل، ويبلغ طولها حوالي اثنا عشر متراً، وهي عبارة عن شجرة شوكية لها أزهار صفراء، وهو شجر له القدرة على تحمل ظروف الجفاف، وتعتبر أوراقه غذاء جيد للماشية والجمال، وتستخدم أغصانها وسيقانها كوقود، ولعمل المواد الحقلية والمنزلية وخصوصاً الزراعية مثل المحاريث والمضاميد، ومن فوائده أنَّ منقوع أوراقه يستعمل في علاج احمرار العين، حيث يوضع بعض القطرات القليلة داخل العين.

السدر:

ينبت شجر السدر في السهل ومنخفضات جبل ضِرْم، ويصل ارتفاعه إلى حوالي ثلاثة عشر متراً، وهو كثير الظل، ويُؤكل ثمره ويسمى جني أو نبق، ويستخدم خشبه في تصنيع الأدوات الخشبية والمنزلية والحقلية و المناحل، ومن فوائده أن أزهاره ذات

---

(١) استفدت في استعمالات الأشجار في الماضي من كتاب: معجم العادات والتقاليد واللهجات المحلية في منطقة عسير، للدكتور/ عبدالله بن سالم آل فائع القحطاني .

رحيق ممتاز. يفيد كغذاء للنحل لإنتاج العسل المشهور بعسل السدر، وتستعمل أوراقه في غسل شعر الرأس، وكذلك في تغسيل الميت.

العتم (الزيتون البري):

ينبت شجر العتم في مرتفعات جبل ضِرْم، وهو من النباتات المعمرة، وهو شجر أخضر له القدرة على تحمل الجفاف، تتميز أخشابه بقوتها وصلابتها، لذلك تصنع منها كثير من المواد الخشبية سواء المنزلية أو الحقلية، ويستخدم البعض أغصان العتم كسواك لتنظيف الأسنان، وكان الأوائل يستفيدون من أوراق العتم لعلاج أمراض اللثة والأسنان وكذلك مرض السكر.

البشام:

ينبت في وسط جبل ضِرْم وأعلاه، وهو نبات عطري طيب الرائحة، طيب الطعم، يستعمل في السواك، وينشف ورقه ويخلط مع ورق الحناء وذلك لصبغ الشعر.

الشث:

ينبت في مرتفعات جبل ضِرْم، وهو شجيرة ذات أغصان دقيقة مستقيمة، وقد تبلغ القامة وتزيد، ويستفاد من أوراقه في علاج آلام الأسنان وفي دبغ الجلود.

البرشوم:

ينبت في مرتفعات جبل ضِرْم، وهو شجيرة شوكية ارتفاعها يصل إلى مترين وإلى ثلاثة أحياناً، وله أزهار ذات لون أصفر برتقالي، وله ثمر عليه العديد من الشوك، وثمار لذيذة الطعم تجنى في فصل الصيف، ويستفاد من عصير أوراقه في علاج الدمامل، وتكثر فيه المواد الكربوهيدراتية.

التالق:

ينبت في السهل، وتتميز شجرة التالق بكبر حجمها واخضرارها، وهي ذات أوراق عريضة الحجم، وعيدان دقيقة، والتالق شجرة ينمو بسرعة ويترك ظلالاً، وينتشر في الأودية وترعاه الإبل.

العثرب:

ينبت في مرتفعات ومنخفضات جبل ضِرْم، على حدود الأودية وفي وعلى أطراف المناطق الزراعية، ويستعمل في التخفيف من مرض السكر، وله حموضة.

النِّيْم:

ينبت في مرتفعات ومنخفضات جبل ضِرْم، وهو شجر لا شوك له، وحبه كثير أسود كصغار النبق ويؤكل، وفي طعمه حموضة.

العرفج:

ينبت في مرتفعات جبل ضِرْم، وتتميز شجيرة العرفج بأزهارها الجملية الصفراء، وأوراقها الصغيرة جداً، وهي نبتة صغيرة الأفرع، يصل ارتفاعها إلى (٣) (٥) سم، وتستعمل أوراقه في علاج أمراض المفاصل.

الأثب:

ينبت في مرتفعات ومنخفضات جبل ضِرْم، وهو شجر كبير الحجم، شديد الاخضرار، له رائحة زكية، وينبت بكثرة في الأودية، ويستعمل خشبه في صناعة الأواني المنزلية كالصحاف.

العَدَنَّة:

تنبت في مرتفعات جبل ضِرْم، ويصل ارتفاعها إلى المتر أو أقل من ذلك، وفي

المنخفضات، وتستعمل عصارة هذا النبات في تضميد الجروح.

الفكس:

ينبت هذا النبات في مرتفعات جبل ضِرْم، ويسمى بالقرمل وبالقضمة، وهو نبات صغير، ذو رائحة زكية عطرية، يستعمل ورقه في علاج أمراض البرد كالرشح والسعال والزكام وكذلك استنشاق بخار منقوعه المغلي.

المظ:

ينبت هذا النبات في منخفضات جبل ضِرْم، ويتميز بعيدانه الصلبة وزهوره العسلية التي تمصه النحل، وله أوراق تأكلها الغنم.تستخدم عيدانه كجريد فوق المنازل، ويشعل برؤوس عيدانها النار للرؤية في الليل ويسمى «مضواح» وتستخدم أوراقه لعلاج السكر والجروح والكسور.

الطباق:

ينبت هذا النبات في المرتفعات من جبل ضِرْم، وهو نبات صغير يصل طوله إلى ٦٠ سم، وبه سائل شديد العبوصة، وكانت تستخدم كأداة للكنس، وتستعمل أوراقه بتسخينها ووضعها على آلام الروماتيزم وتجبير العظام

العشر:

ينبت في أعلى جبل ضِرْم وأسفله، وله أوراق شكلها مستطيل، وتستعمل خلاصته مغليةً، في غسيل الملابس بدلاً من الصابون قديماً.

الثعب:

ينبت في مرتفعات جبل ضِرْم، وهو شجر ذو أوراق عريضة خضراء، وظل كثيف ولا ثمر له، يستخلص منه مادة تصبغ بها الثياب، ويستعمل ورقه في دبغ الجلود.

الضرو:

شجر ينبت في أعلى جبل ضِرْم، وهو كبير الحجم، وله رائحة طيبة وثمر، ويأخذ منها الناس في السابق علك اللبان، ويستعمل في أعمال النجارة، وكانت تصنع من سيقانه الأواني المنزلية كالصحاف.

التين (الحماط):

شجرة كبيرة تنبت في أعلى جبل ضِرْم وأسفله، ويستعمل سائل الحماط في إخراج الأشواك من الأقدام، كذلك يضيف الرعاة هذا السائل إلى الحليب فيصبح لبناً.

الحدق:

ينبت الحدق في أعلى جبل ضِرْم وأسفله، ويرتفع عن الأرض بقدر نصف متر، وله أوراق عريضة ذات أشواك، وهو ذو ثمر يشبه حبة (المشمش)، وتستعمل ثماره لعلاج آلام الأسنان بواسطة حرقها والتبخر بها وتستعمل في الدباغة.

الريحان:

ينبت في أعلى جبل ضِرْم وأسفله، وهو من النباتات العطرية ونباتات الزينة، وهو نبات له رائحة زكية، وتستعمل أوراق الريحان مع الشاي لعلاج آلام المعدة وأمراض البرد والحمس.

الحرمل:

ينبت في أعلى جبل ضِرْم وأسفله، وهو نبات أخضر دائم الخضرة كثيف الأوراق، وذو أزهار بيضاء صغيرة، ويصل ارتفاعه إلى حوالي ٦٠ سم، تستعمل بذوره لعلاج الضعف الجنسي وقد يؤدي كثرة استعماله إلى أمراض جسمية.

الحنظل:

ينبت في السهل وفي الأودية وفي المزارع المهجورة وله ثمار، كاليوسف أفندي إلا أنه شديد المرارة.

الضِرْم:

نبات ينبت في مرتفعات جبل ضِرْم، وهو من النباتات العطرية، ويسمى كذلك بالجثجث أو الجثجاث، وهو نبات صغير، أزهاره بيضاء ثم تصبح بنفسجية اللون وثمره ذو لون أحمر غامق، والرائحة الزكية تنبعث من أزهاره وأوراقه، وهو مصدر جيد للمواد العطرية.

ويستعمل لعلاج الصرع و روماتيزم المفاصل ولعلاج أمراض البرد باستنشاق البخار الناتج من غلي النبات، كما يستعمل مغلي الأوراق في التخفيف من أمراض السكر. وتأكله الأغنام وتعافه الإبل، وله ثمر يشبه البلوط.

الغلف:

ينبت الغلف في أعلى جبل ضِرْم وأسفله، وهو نبات من النباتات الزاحفة وينبت في الأودية، وقد كان الناس يأكلون ورق الغلف بعد طبخه، ويستعمل ورق الغلف في الماضي لتخفيف الألم، بعد تسخينه حيث يوضع على موضع الألم، كما كان يستخدم بعد تسخينه لعلاج جروح الختان.

الهدال:

ينبت في منخفضات جبل ضِرْم والسهل، وهو نبات متطفل على أشجار الطلح، يتميز بأشجاره البنية، وثماره الحمراء اللزجة.

وإضافة إلى ما سبق يوجد بجبل ضِرْم نباتات طبيعية أخرى:

كـالسلم والكثا والرقاع والسيال والنشام والأبراة والصبر والضهيان والصلام والأثبيرة والأصهيل والقمة والشطب والهيشرا وغيرها..



شجرة العرعر



العثرب



الشث



العدنة



الضرو



الغلف ويظهر بجانبه أثر الأمطار



شجر التالق

الشطب

المبحث التاسع:
الحيوانات



يشكل جبل ضِرْم جزر مناخية ونباتية متنوعة، تتناسب لتوطن العديد من الحيوانات والطيور.وقد عاشت بجبل ضِرْم أنــواع من الحيوانات البرية، ومن هذه الحيوانات الضبع والثعلب والنمر العربي والأرنب البري والوبر والوعل، ومنها كذلك الفهد والوشق، والرباح (القرد) والذئب والليص، والثعابين، والحرباء والعقرب والضب.

ومن الطيور: الهدهد والحمام البري والحجل التهامي (العقوبة) والغراب والحدأة والصقر والرخم والصفيا والبوم والعقاب والنسر والعصافير، والأكوع والرهاط والخفاش وغيرها.



صورة لثعبان التقطت بوادي نطعان



عدد من الحجل تبحث عن الطعام



طائر جميل المنظر



عش الطيور صغيرة الحجم



مجموعة من الخفاش بغار في جبل لقمان أحد القمم المرتفعة بِضِرْم



مجموعة من القردة



- قرى جبل ضرم
- قرى جبل ضرم ومعلومات عنها.
- التطور العمراني.



الفصل الخامس
الناحية العمرانية

قرى جبل ضِرْم:

لقد لجأ الإنسان منذ القدم إلى المناطق الجبلية وأنشأ العمران للسكنى بها ؛لحصانتها ومنعتها أمام الحروب، ولتوافر الغطاء النباتي بها من أجل الرعي، ولتربتها المناسبة للزراعة في مواضع، ولسقوط الأمطار بها وبالقرب منها.

وقد كانت المناطق الجبلية لا تتيح الفرصة غالباً لنشوء المدن أو القرى الكبيرة، لضيق المساحات ولطبيعة الجبال الوعرة.ولعدم قدرة الإنسان على تغيير بعض صفات المكان[1]. مما حتم توزع المباني على سفوح الجبال ومواضعها، على شكل تجمعات أو قرى عمرانية صغيرة.

وعلى النقيض فإن السهول كانت ولا زالت ذات تجمعات عمرانية كبيرة وتتكتل بها القرى، لرحابة أراضيها واستوائها، مما ساعد كذلك على نشوء المدن وساعد على تمددها.

وكذلك الوضع بجبل ضِرْم فالتضاريس الوعرة وقلة موارد المياه في بعض نواحي الجبل وتتبع الناس للأراضي الصالحة للزراعة واحتراف حرفة الرعي بجبل ضِرْم أدت إلى تفرق السكان وتفاوت انتشارهم على شكل تجمعات سكانية صغيرة متفرقة على سطح هذا الجبل، مما أدى بدوره إلى كثرة القرى وكثرة المسميات، فالعلاقة بين توزع السكان وتعدد القرى بالجبل ترتبط بتلك العوامل الطبيعية والاقتصادية، فتضاريس الجبل الوعرة ووجود مواضع منكشفات صخرية في بعض جهاته أسهم

---

(١) د.وهيبة ،عبدالفتاح محمد.كتاب في جغرافية العمران ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٠م.صفحة ٧٦.

بدوره إلى منع تمدد القرية على سطح هذا الجبل، وإلى قيام قرية جديدة في موضع آخر.وقلة موارد المياه في موضع يكتظ به السكان يؤدي بآخرين إلى استقصاء أماكن أخرى، كما أن اتباعهم لأسلوب الاستغلال الاقتصادي نتيجة عملهم بحرفة الرعي والزراعة أدى إلى انفراد بعض السكان لاحتلال أماكن بكر لممارسة حرفة الرعي والزراعة وبالتالي تنشأ قرية إضافية على خارطة الجبل.

وهذه القرى شيد عمرانها الأهالي بعدما توطنوا بجبل ضِرْم بعد رحيلهم عن السراة. وأصبحت بين قرى كبيرة وأخرى صغيرة، لكل منها ملامح ومميزات، ولعلنا نأتي على ذكر أسماء هذه القرى الكبيرة الرئيسة بجبل ضِرْم، ومواقعها من الجبل ومميزاتها وحدودها ومشايخها والأفخاذ التي بها[1]، وخطوط الطول ودوائر العرض التي تقع عليها بحسب الإمكان، وأهم القرى الصغيرة التابعة لها مع إضافة الصور ليتم التعريف بهذا الجبل على نحو أكثر تفصيلاً، والله المستعان.

قرى جبل ضِرْم ومعلومات عنها : -

- (قرية العتبة)

* موقعها:

تقع العتبة شمال شرق جبل ضِرْم.على دائرة عرض ٣٥ ٤٤َ ١٨ْ وعلى خط طول ٠٥ ٠٩َ ٤٢ْ.

* مميزاتها:

من المناطق السياحية الجميلة حيث يوجد بها المدرجات الزراعية والغابات الخضراء، والتلال الصخرية وقمم مرتفعة كقمة الصوبة وقمة المنور، وبها المناظر

(١) هذه المعلومات زودنا بها الشيخ عوض بن كعومي الأسمري رحمه الله – صاحب كتاب أشعار قبائل رجال الحجر– وقد أضفت إليها وعدلت ،وهي من إعداد الأخ شفلوت بن محمد .

الطبيعية الخلابة. كما يوجد بها العديد من الحصون والمساجد والقرى والآبار القديمة، وبها عدد من الكهوف، وبها قلعة القارية، والعديد من العيون كعين العتم وعين أعمرين. وتطل القرية على وادي نطعان من الشرق، وهي تمتد على مساحة واسعة من جبل ضِرم، فتطل على تهامة من جهة الغرب، وجبال السروات من جهة الشرق.

*** حدودها:**

يحدها شمالاً وادي الغيل، وجنوباً الشرف، وشرقاً سروات بَلْلَّسْمَر، وغرباً القراة.

*** سكانها:**

آل السعيدي من آل سَعْدٍ من بَلْلَّسْمَر.

*** تفتقر إلى:**

بعض الخدمات مثل المياه والهاتف والمدارس حيث كان بها مدرستان ابتدائيتان ثم أُلغيت بسبب عدم توفر الخدمات.

*** تتكون من الفخوذ التالية:**

آل غرامة، آل طالع، آل مرعي، آل عمير، آل عمر، آل عامر بن مسفر، آل سودان، آل شحنان، آل جحران.

*** من أهم القرى التابعة لها:**

العروض، شفى المسيد، اليمانية، البطن، ذي العشاء،

الصوبة، المنتطح، الحمدة، الزريبة، الضحيان.

*** نائب القبيلة:**

عبدالله بن عبدالرحمن آل طالع الأسمري.

- (قرية القـراة)

*** موقعها:**

تقع القراة في شمال جبل ضِرْم بتهامة بَلْلَّسْمَر.

على دائرة عرض ٣٨ ٤٥َ ١٨ْ وعلى خط طول ١٢ ٠٨َ ٤٢ْ.

*** مميزاتها:**

تطل على شعب فلقاه، ويوجد بها آثار كالمدرجات الزراعية والبيوت القديمة.

*** سكانها:**

قبائل آل ألسعيدي من آل سَعْدٍ من بَلْلَّسْمَر.

*** الحدود:**

يحدها شمالاً وادي الغيل، وجنوباً وادي فلقاه، وشرقاً العتبة، وغرباً ضحي آل الشيخ.

*** تفتقر إلى:**

لا يوجد بها خدمات حالياً حيث تنقصها الطرق، والمياه، والهاتف الثابت.

*** تتكون من الفخوذ التالية:**

آل هيازع، آل مهران، آل بكري، آل طالع، آل حسن، آل عامر.

*** من أهم القرى التابعة لها:**

هرب، الضحي، الشنوع، المجمعة، القدوم، عثن، نشامن، الحرشة، المحلة، القضية، العينة، الوجرة، القرو.

* نائب القبيلة:

أحمد بن محمد الجرودي الأسمري.

- (قرية الشرف)

* الموقع:

تقع الشرف في أعلى قمم جبل ضِرْم بتهامة بَلْلَّسْمَر.

على دائرة عرض ٠٨ ٤٤َ ١٨ْ وعلى خط طول ١٥ ٠٩َ ٤٢ْ

* حدودها:

يحدها شمالاً العتبة، وجنوباً جبل لقمان المشهور ووادي ثمران، وشرقاً وادي ثمران ووادي النحابة.

* مميزاتها:

يوجد بها مدرجات زراعية جميلة وغابات السدر والعرعر وكهوف ضخمة كما يوجد بها مجموعة من الأشجار المستخدمة في الطب الشعبي وغيرها من الأشجار المثمرة كالفركس والعنب، وهي مصيف تهامة الأول بسبب جوها المعتدل صيفاً والبارد شتاءً، وهي ذات طبيعة خلابة.وفيها مقر آل شفلوت حكام تهامة بَلْلَّسْمَر سابقاً، وبها حصون قديمة، كما يوجد بها جبل يسمى لقمان يعتقد الأهالي بأن لقمان الحكيم سكن الموضع، ويوجد بالقرب منه نقوش قديمة تشير إلى ذلك(انظر الصور بمبحث النقوش القديمة)يعتني بعض الأهالي بتربية النحل وإنتاج العسل.وبالقرية قمة المشيخ التي يصل ارتفاعها ٢٢٠٠مترا فوق مستوى سطح البحر، والقرية من أعلى القرى بضِرْم، وتتميز بتقارب سطحها فهي شبه مستوية، ومما يلفت الانتباه كهوف القرية العظيمة كوابل والدرعية والصفا والتي عرضنا لبعضها بعض الصور في مبحث الآثار، وقد كان الأهالي يأوون إلى تلك الكهوف في فصول المطر الغزير

والبرد الشديد.

* تفتقر إلى:

الماء والهاتف.

* سكانها:

آل غراء من آل سَعْدٍ من بَلْلَّسْمَر تهامة.

* تتكون القرية من عدة فخوذ هم:

آل حسن، آل فلاح، آل ضايف، آل هندية.

* من أهم القرى التابعة لها:

الشرف، والخلف، وذي صلب، والصدر، والصفا.

* نائب القرية:

علي بن شفلوت بن علي آل شفلوت.

- (قرية الزرائب)

* موقعها:

تقع في جبل ضِرْم من الناحية الغربية.

وتقع على دائرة عرض ٢١ ٤٤َ ١٨ْ وعلى خط طول ٣٦ ٠٧َ ٤٢ْ.

* حدودها:

يحدها من الشمال قرية القراة والقريات، ومن الجنوب الرهوة، ومن الشرق الشرف، ومن الغرب المقراء.

* عدد سكانها:

يسكن بها قبائل آل فرج من آل غراء بتهامة بَلْلَّسْمَر.

* مميزاتها:

تشتهر الزرائب بالحصون والمنازل القديمة وبها مدرجات زراعية لزراعة البر والشعير وبها غابات العرعر كما يزرع أهلها البن، كما يوجد بها مناحل بوادي فلقاه، وتتميز القرية باكتظاظها العمراني من الفلل الحديثة مختلفة الألوان الزاهية وقد أعطت للقرية جمالا إلى جمالها الطبيعي الأخاذ.كما يوجد بها بعض المرافق الحكومية (مدرستان ابتدائيتان للبنين والبنات).

* تفتقر إلى:

المياه والهاتف الثابت وأبراج الجوال.

* تتكون من الفخوذ التالية:

آل يحمد، آل عطيف، آل مسها، آل حسن بن فرج.

* من أهم القرى التابعة لها:

فلقاه، النصبة، الحصن، اليمانية، الشامية.

* نائب القبيلة: الحفظي بن عبدالله آل يحمد الأسمري.

- (قرية الفي)

* موقعها:

تقع إلى الجنوب الغربي من جبل ضِرْم بتهامة بَلْلَّسْمَر.

على دائرة عرض ٣٣ ٤٣ َ ١٨ ْ وعلى خط طول ٠٣ ٠٨ َ ٤٢ ْ.

* حدودها:

يحدها شمالاً قرية الرهوة، وجنوباً جبل لقمان الشهير ووادي ثمران وشرقاً الشرف، وغرباً القفيل.

* مميزاتها:

بها مدرجات زراعية لزراعة الذرة، والفواكه، والبن وغيرها من الأشجار المثمرة والجميلة، وهي ذات طبيعة جميلة يقصدها السياح، حيث تتميز بكثافة الغطاء النباتي الطبيعي من أشجار وشجيرات وحشائش، إضافة إلى عناية الأهالي بالزراعة فتكون مدرجات القرية حية بالمزروعات من المحاصيل وغيرها.كما تتميز القرية بالآثار القديمة من حصون ومنازل ومساجد وآبار (كبئر المهيد)، وفي القرية منكشفات صخرية كالصفا المنتشرة بالقرية ذات الأحجام الكبير والتي نراها في قرية الفي تأخذ مساحات واسعة يندر أن تشاهد في أماكن أخرى، ونراها في تداخها مع الغطاء النباتي تُشكل لوحة فنية ماتعة (شاهد صورة قرية الفي).

* سكانها:

يسكنها آل المدين من آل غراء من آل سَعْدٍ من بَلْلَّسْمَر تهامة.

* تفتقرإلى:

بعض الطرق المعبدة والماء، والهاتف، وبعض الخدمات الأخرى.

* وتتكون القبيلة من الفخوذ التالية:

آل صقري، آل علي بن أحمد، آل موقفة، آل هشال.

* نائب القبيلة:

محمد بن أحمد بن شوان الأسمري.

- (قرية المقرا)

* موقعها:

تقع في الناحية الغربية من تهامة بَلْلَّسْمَر.

على دائرة عرض ٤٢ ٤٤َ ١٨ْ وعلى خط طول ٥٨ ٠٥َ ٤٢ْ.

* الحدود:

يحدها شمالاً القواعد، وجنوباً خميس مطير، وشرقاً الزرائب، وغرباً طريق جدة - أبها.

* سكانها:

يسكنها فخوذ من آل غراء من آل سَعْدٍ من بَلْلَّسْمَر تهامة.

* مميزاتها:

هي منطقه زراعية تتميز بخصوبة التربة وتشتهر بزراعة الذرة، وبكثرة المواشي، والمناحل، وبها آثار حضارة قديمة مثل: حصن شقاف، وبئر السرين.

* تفتقر إلى:

بعض الخدمات كسفلتة بعض الطرق، والمياه والهاتف الثابت.

* تتكون من الفخوذ التالية:

آل مشيَع، آل فتنة، آل مثيب، آل مداوح، آل عطيف، آل ياسين، آل مسهى.

* من أهم القرى التابعة لها:

المنزل و خريق المروة، الفصمة، الساهدية، الظواهر، الحنجور، المبدئ، مسرعات

شعب شايع، المروة، شعب سالم، الجرين، خلف بن عبدية، شعنونه، المطلع، مدسوس، الشاقة، الحجارية، الخلفة، الكييلة.

* نائب القبيلة

محمد أحمد مفرح آل مشيع.

- (قرى القواعد والفاضية)

* موقعها:

تقع القواعد، والفاضية في الشمال الغربي من تهامة بَلْلَّسْمَر.

تقع قرية القواعد على دائرة عرض ٠٣ ٤٥َ ١٨ْ وعلى خط طول ١٥ ٠٥َ ٤٢ْ.

وتقع قرية الفاضية على دائرة عرض ١٧ ٤٦َ ١٨ْ وعلى خط طول ٢٠ ٠٦َ ٤٢ْ.

* حدودها:

يحدها شمالاً بني شهر(ثلوث المنظر)، وجنوباً المقراء، وشرقاً الضحي، وغرباً جبال الصلبَة.

* سكانها:

يسكنها قبائل آل السعيدي من آل سَعْدٍ من بَلْلَّسْمَر تهامة.

* مميزاتها:

بها قرى زراعية تشتهر بزراعة الذرة وتربية المواشي، كما يوجد بها بعض المرافق الحكومية(مدارس بنين وبنات)، والنمو السكاني فيها يزداد بسبب أرضيتها المنبسطة.

وتقع على طريق (جدة ـ أبها) -الساحل-.

*** تفتقر إلى:**

بعض الخدمات كالطرق، والمياه، والمستوصف، والهاتف الثابت.

*** تتكون من الفخوذ التالية:**

آل محفوظ، آل جمعة، آل معبص، آل الحميضي.

*** من أهم القرى التابعة لها:**

المنزل، الطرقة، البتال، عريجة، المعقر، زبيد.

*** نائب القبيلة:**

عبدا لله بن فائز بن محمد الأسمري.

- (قرى الضحي والقرايات)

*** موقعها:**

تقع في شمال جبل ضِرْم، ويسكنها قبائل آل الشيخ من آل غراء.

وعلى دائرة عرض ٢٨ ٤٤ َ١٨ ْوعلى خط طول ٠٥ ٠٨ َ٤٢ ْ.

*** مميزاتها:**

تتميز القرية بزراعة المحاصيل (بفلقاه)، وتربية الحيوانات الرعوية، كما تتميز بالآثار القديمة كالمدرجات الزراعية والقرى القديمة والمساجد، وتطل القرية على شعب فلقاه، وتتميز بعد سقوط الأمطار عن قرى الجبل بشلالات فريدة، كبيرة الحجم.

* حدودها:

يحدها شمالاً القراة، وجنوباً الزرائب، وشرقاً الشرف، وغرباً الفاضية.

* سكانها:

من قبائل آل غراء من آل سَعْدٍ.

* تفتقر إلى:

الطرق المعبدة وغير المعبدة، والمياه، والهاتف وقد هجرها أكثر سكانها بسبب ظروفها القاسية.

* تتكون من الفخوذ التالية:

آل دعشوش، وآل أبو راشد، وآل لخالدي، وآل أبو عمار، وآل جابر بن غرامة.

* من أهم القرى التابعة لها:

ذي السقاف، والمنزل، و مصاغ، والجبهة، وشوحط، وظلان.

* نائب القبيلة:

علي بن عامر بن عماش آل دعشوش.

- (قرية آل يحمد)

* موقعها:

تسكن قبائل آل يحمد من آل السعيدي بوادي الغيل شمال جبل ضِرْم بقرى الخضاريات

والطرقة، والفاضية، والقواعد، والبحرية العليا.

تقع قرية الخضاريات على دائرة عرض ٤٤ ٤٧َ ١٨ْ وعلى خط طول ١٢ ١٠َ ٤٢ْ.

❋ حدودها:

يحدها من الشمال بنو شهر (نعص)، ومن الجنوب العتبة والقراة، ومن الشرق سراة بَلْلَّسْمَر، ومن الغرب بنو شهر (ثلوث المنظر).

❋ سكانها:

يسكنها قبائل آل يحمد من آل السعيدي من آل سَعْدٍ.

❋ تفتقر إلى:

الطرق المعبدة في أجزاء كبيرة منها، وكذلك المياه، والهاتف.

❋ تتكون من الفخوذ التالية:

آل براك، وآل بكر، وآل مفرح، وآل أحمد بن محمد.

❋ نائب القبيلة:

عائض بن رفيدي الأسمري.

- (قرية القفيل)

❋ موقعها:

تقع القفيل في بداية جبل ضِرْم من الناحية الجنوبية.

وتقع قرية القفيل على دائرة عرض ٥٨ ٤٢َ ١٨ْ وعلى خط طول ٥٢ ٠٦َ ٤٢ْ.

* حدودها:

يحدها شمالاً المقراء، وجنوباً ثمران، وشرقاً الفي والرهوة، وغرباً خميس مطير.

* مميزاتها:

يوجد بها العديد من الآثار كالقلاع والحصون منها قلعة القفيل، وبالبيوت القديمة والمساجد والمدرجات الزراعية، وتتوافر بها العديد من العيون كعين الحدمه وسواره وعين الصلق والمفطح، ويعتني الأهالي بالزراعة وإنتاج الحبوب كالذرة بأنواعها والدخن والقمح، كما يعتني البعض بتربية النحل وإنتاج العسل، وتعد القرية من أكثر قرى الجبل في الوقت الحالي التي تستغل مدرجاتها وتحيي أحواضها الزراعية.

* سكانها:

يسكنها قبائل آل غراء من آل سَعْدٍ من جبل ضِرْم.

* تفتقر إلى:

المياه، والهاتف الثابت.

* تتكون من الفخوذ التالية:

آل حسن، وآل عطيف، وآل حسن بن فرج، وآل يحمد.

* من أهم القرى التابعة لها:

المنزل، والجرن، والمثلات، الشعبة، رهوة القرية.

* نائب القرية:

عبدالله بن محمد الأسمري.

-(قرية الرهوة)

* موقعها:

تقع الرهوة في وسط جبل ضِرْم بتهامة بَلْلَّسْمَر، وهي منطقة متوسطة بين القرى الأخرى.

وتقع قرية الرهوة على دائرة عرض ٥٥ ٤٣َ ١٨ْ وعلى خط طول ٢٥ ٠٧َ ٤٢ْ.

* حدودها:

يحدها من الشمال الزرائب، ومن الجنوب الفي، ومن الشرق الشرف، ومن الغرب القفيل.

* مميزاتها:

ملتقى الطرق بين كثير من قرى جبل ضِرْم، وهي محطة للاستراحة قديماً وحديثًا، كما يوجد بها محلات تجارية صغيرة، ويوجد بها مستوصف جبل ضِرْم، حيث يخدم المناطق المحيطة به، ويعتني الأهالي بالقرية بزراعة المحاصيل الزراعية من حبوب وفواكه وبن وخضروات.

* سكانها:

يسكنها فخوذ من آل غراء من آل سَعْدٍ من بَلْلَّسْمَر.

* تفتقر إلى:

بعض الخدمات كالمياه والهاتف الثابت.

* تتكون من الفخوذ التالية:

آل مولف، وآل مداوح.

* من القرى التابع لها:

الطرف، والحدب، والمحاضر.

* نائب القرية:

عبدا لله بن علي الأسمري.

- (قرية ثمران)

* موقعها:

تسكن قبيلة آل ثمران وادي ثمران المسمى باسم القبيلة وهي منطقة مشهورة جداً ويقع وادي ثمران بين جبلي هادا وضِرْم.

* حدودها:

يحدها من الشمال جبل ضِرْم، ومن الجنوب جبل هادا، ومن الشرق سراة بَلْلَّسْمَر، ومن الغرب خميس مطير.

* تتكون القبيلة من الفخوذ التالية:

آل فلتان، وآل الشطوة(آل الباقي)، وآل الحن، وآل الفليت، وآل قياس.

* أهم المواقع التابعة لها:

بحران- ذي صلب -البزخاء -الظاهرة -الحبيل - منزل آل الحن - الشطوة- الجردان -المرواء -آل قياس -الحرشة -حصن القرن-آل جويهن -آل المشبه.

* مميزاتها:

يشتهر وادي ثمران بالمزارع وتربية المواشي والنحل، وهي من أفضل مناطق تهامة جمالاً حيث يوجد بالوادي أعداد كبيرة من شجر السدر المعمر وغيرها، كما

يوجد شلالات مياه عذبة في أعلى الوادي تزداد بازدياد الأمطار، كما يوجد بها آثار حضارة قديمة من حصون ومنازل أثرية قديمة.

* تفتقر إلى الخدمات التالية:

الطرق، والماء، والهاتف، وقد كان بها مدرستان ابتدائيتان للبنين والبنات، ولكن أُغلقت بسبب وعورة الطريق، وهجر السكان لها؛بسبب عدم توفر الخدمات.

* نائب القبيلة:

مولع بن عبدالله بن شعلان الأسمري.

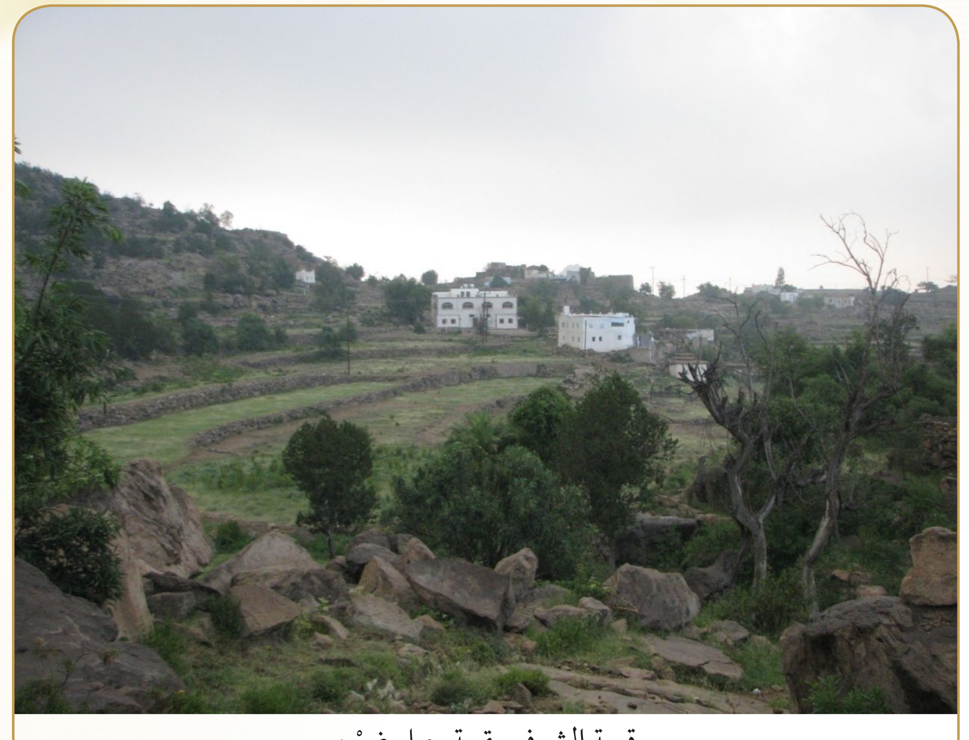


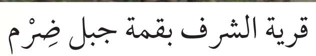
قرية العتبة في أعلى جبل ضِرْم ومن غربه وشرقه



قرية القراة غرب جبل ضِرْم

قرية الضحيان شرق جبل ضِرْم





قرية الشرف بقمة جبل ضِرْم



قرية الزرائب غرب جبل ضِرْم



قرية آل الشيخ



قرية الفاضية على وادي الغيل



قرية القواعد عند التقاء السهل بالجبل غرب ضِرْم



قرية الفي ذات المناظر الخلابة



قرية القفيل

التطور العمراني:

مر المشهد العمراني بجبل ضِرْم بتطورات مختلفة حتى وصل الجانب العمراني إلى الصورة الحديثة في هذا العصر، الذي ساهم فيه التقدم العلمي والحضاري والاقتصادي والعمراني. فمن مرحلة عمران تقليدي إلى مرحلة عمران حديث متطور، من مرحلة عمران تقليدي استغل فيه الناس مقدرات بيئتهم ومواردها وخبراتهم المتراكمة، وإمكاناتهم وقواهم بالصورة البدائية؛لإيجاد المسكن الملائم الذي يأوي الإنسان ويستره، ويقيه الظروف البيئية والطبيعية المختلفة (كعوامل الأمطار والحرارة والبرد وغيرها)، إلى مرحلة العمران الحديث المتطور، والذي أسهمت فيه عوامل كاستخدام الآلات الحديثة، والطاقة والأيدي العاملة الفنية، ورأس المال والأدوات، والوسائل العمرانية الحديثة.

حدثت هذه النقلة بعد تأسيس البلاد على يد المؤسس، وبعد أن أخذت البلاد على عاتقها في عهد المؤسس، وفي عهود أبنائه ملوك البلاد إقامة نهضة شاملة في كافة

المجالات، والعمل على إيجاد مشاريع تنموية مستمرة للنهوض بالبلاد والعباد، وشكلت هذه النهضة والتنمية نقلة نوعية، و آتت ثمارها بمنجزات وتحولات في جميع المجالات منها المجال العمراني، الذي تأثر بتحسن الوضع الاقتصادي للمواطنين، وبوجود الآلات، وتوفر القروض العقارية، ووجود مؤسسات المقاولات، وحضور الوسائل والأدوات الحديثة المستخدمة في مجال البناء والعمران.

هذه النقلة وهذا التطور في المجال العمراني في جبل ضِرْم جاء بعد مرحلة العمران الحجري التقليدي، الذي كان يعتمد على سواعد الأهالي وخبراتهم، وقد صورت صورة اجتماع النموذج الحجري القديم بالبناء الحديث في الوقت الحاضر- والتي نشاهدها في كل قرى الجبل- التطور العمراني الذي جرى بجبل ضِرْم.

وقد مرت مرحلة البناء الحديث بمرحلتين: مرحلة البناء المسلح، ثم مرحلة بناء الفلل، وسبب ذلك تحسن الوضع الاقتصادي والتطور التدريجي في الجانب الحضاري المادي.

وقد شيد الأجداد قديماً دورهم بهندسة بناء حجرية أجادوها كغيرهم من أهالي منطقة عسير. ظهر ذلك في آثارهم من منازل وحصون، ولما تتحلى به حياتهم الاجتماعية من النظام والتعاون، فقد كان الرجال في الماضي يتعاونون في عمليات بناء الدور ومراحلها، وينقسمون في تلك العمليات إلى أقسام: كجامع للحجر الذي يتم البناء به، وبَنَّاءٍ، وآخرين لإيصال أدوات البناء، وتستخدم أحجار كبيرة تُحضر من الجبل في البناء، مع أحجار صغيرة تُسد بها الفراغات، وكان البناء الحجري القديم على شكلين من البناء: الأول شكل المجالس مثل الغرف الحجرية المستقلة والساحة(طابقان من الغرف) والعلوية (عبارة عن غرفة يعلوها غرفة صغيرة)، والتي تشكل في اجتماعها كافة المنزل، وشكل الحصون التي تتكون من عدة طوابق، ويتم البناء الحجري من الناحية الهندسية (سواء المجالس أو الحصون) بطريقتين: الأولى: البناء بظفر، والثانية: البناء بظفرين.ويعنون بالبناء بظفر: البناء الذي يكون

أساس حيطانه على قاعدة من حجر كبير متراص، وهكذا كل الأساس، ويطلق على هذا النمط كذلك بـ«الوحشي»، ويعنون بالبناء بظفرين: البناء الذي يكون أساس حيطانه على حجرين كبيرين مصبوب ما بينهما بأحجار صغيرة وهكذا كل الأساس.

ويبدأ البناء بتشييد الأساس، ووضع أحجار كبيرة – على نمط الظفرين مثلاً– متقابلة كأساس على طول السور الواحد، ثم تكب داخلها الأحجار الصغيرة لسد الفتحات، وبعدما يتم بناء أساس جميع الحيطان، يكمل بناء بقية الحيطان حتى الارتفاع المراد، ثم تبدأ عملية بناء السقف باستخدام أخشاب أشجار العرعر والعتم والطلح والأثل حسب توافرها، فتوضع خشبة طويلة على عرض المنزل وفي وسطه تسمى «العيان»، ثم يمد عليها وعلى الأسوار المقابلة لها بالطول أخشاب أخرى، وهكذا من الجهتين المقابلتين لخشبة العيان المعترضة حتى يغطى المنزل، وفي وسط المنزل من الداخل يوضع عمود يرتكز في الأرض يمسك بخشبة العيان في السقف يسمونه «دَعْمَة»، وبعد ذلك تغطى الأخشاب الكبيرة بأعواد أشجار ضئيلة السمك وبفروع شجر الشث والشطب عكس اتجاه الأخيرة وتسمى هذه المرحلة بـ«الحاف أو الملاقف»، ثم يحضر التراب المختلط بالحصى ويصب فوق هذه الأعواد والفروع وتسمى هذه المرحلة بـ«الغمي»، وبعدما ينزل المطر يقوم أهل الدار بتسوية السقف و إضافة بعض التربة عليه كمرحلة نهائية لعملية البناء.

وقد لاحظت أن الدور في جبل ضِرْم غالباً ما تبنى بالحجر، ونادراً ما يتم بناء المنازل من الحجر والطين، ومعظم ما يشيد من المنازل هو من طابق واحد ماعدا قليلاً من الحصون والتي تصل إلى ثلاث طوابق أو أربع طوابق، وهناك الدور التي بنيت من طابقين ويطلق عليها «الساحة».وإذا كانت غرفة صغيرة أعلى المنزل الحجري (من طابق واحد) سميت «علوية» كما ذكرنا سابقاً.

وبعدما أفاء الله على هذه البلاد وحصلت الطفرة في المملكة كما بينا جاء التطور العمراني والحضاري الذي شهدته البلاد، وبعدما تحسنت دخول الناس، جاءت العمالة

الوافدة للمنطقة وبدأت ببناء الغرف المسلحة، ثم بتصميم الفلل الواسعة ذات الألوان والأشكال الهندسية الجميلة، وأقبل الناس على بناء الدور بالنمط الحديث، فانتشرت في أرجاء الجبل، وهُجرت الدور الحجرية القديمة وأصبحت خالية من أهلها.

عن محمد بن سعد يعني ابن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ثلاث من السعادة: المرأة الصالحة تراها تعجبك، وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون وطئة فتلحقك بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق. وثلاث من الشقاء: المرأة تراها فتسوءك وتحمل لسانها عليك، وإن غبت لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون قطوفا فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق)). رواه الحاكم.


منزل مكون من طابقين ومسجد وحصن مرتفع

نوع المباني بالنسبة المئوية:

مسلح	٪٦٥
حجر شعبي	٪١٩
فيلا	٪١٦ [١]

(١) تقرير خطة عمل مركز الرعاية الصحية الأولية بجبل ضِرْم لعام١٤٢٨هـ،ص١٣.



منزل مبني بنمط الظفرين



مجلس مبني بنمط الظفر



فلل حديثة ، وفي الأسفل منزل من الغرف المسلحة





الفصل السادس

الخدمات والمظاهر البشرية

- الناحية الصحية.
- النقل والمواصلات
- الطاقة والوقود.
- السياحة.
- الناحية التعليمية.
- الهجرة من جبل ضرم.



الفصل السادس
الخدمات والمظاهر البشرية

لقد ساهمت خطط التنمية الخمسية التي تنفذها الدولة لتقديم الخدمات للمواطنين، وتحقيق الأهداف التنموية، ومواجهة التحديات المختلفة، من إيجاد الخدمات الضرورية المتعددة، فحققت تلك الخطط التنموية الإنجازات المرسومة والأهداف المنشودة، مما أدى إلى تأسيس بنية متكاملة وشاملة من الخدمات، تدرجت بالمدن الرئيسة والمحافظات، ثم المراكز والقرى، تبقى لها ما تبقى من خدمات لإيفاء بعض المراكز والقرى حاجتها في بعض الجوانب.

وقد شملت تلك الخدمات التعليم والصحة والمواصلات والكهرباء وغيرها، وبوصول تلك الخدمات دخلت البلاد مرحلة ازدهار وتطور، ومثلت مرحلة جديدة مقارنة بالظروف قبل قيام الدولة، وساعد توفر تلك الخدمات على القضاء على العديد من صعوبات الماضي ومشكلاته، كما ساهم في الرقي بحياة المواطن والمجتمع.

وقد استفاد المواطنون واستفادت القرى بجبل ضِرْم من حضور الخدمات المختلفة، السابق منها والمتأخر في وصوله، وقد أدت دورها في خدمة المواطنين بهذا الجزء الغالي، وتلبية احتياجاتهم الضرورية كالمركز الصحي والطرق المعبدة والكهرباء، وهذه جهود مشكورة تقدمها الحكومة لأبناء الوطن الذين شاركوا في بنائه، والمحافظة على مقدراته ومكتسباته، واستقرار أمنه.



المبحث الأول
الناحية الصحية

تشكل العافية للإنسان دوراً أساسيا في البقاء ، وفي عمليات الإنتاج والحركة، وكما قال النبي ﷺ: ((نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ)).رواه البخاري.

في المناطق المرتفعة والمحيطة بها الطبيعة من جبال وحيوانات زاحفة ومفترسة، وأحجار كبيرة ومستنقعات تزداد المخاطر والمخاوف، مما يحتم أهمية توفر الحمية وتوفر العلاج، كما يحتم ذلك سنة الله في الأخذ بالأسباب والوسائل للحفاظ على النفس والعناية بها من أسباب التهلكة والمرض.

وتعاطياً وتفاعلاً مع ظروف الحياة في البناء وفي حل المشكلات استطاع الإنسان الضِرْمي على مر العصور من الاستفادة من ثروات بيئته الطبيعية والبشرية لمواجهة التحديات التي تقف عائقاً أمام غاياته وأهدافه، ومن ذلك توظيفه للعديد من الأشياء والنباتات لعلاج حالات الإصابة بالأمراض والكسور والعوارض المرضية التي تحيق بصحة الإنسان، واستفادته من خبرات الآخرين المتداولة في هذا المجال، ومن ذلك استخدامه الأعشاب المنتشرة في المنطقة مثل: الحلتيت والشذاب والحبة السوداء، واستخدامه الكي بالنار والحجامة، وسحب عرق النسا وغيره؛ لعلاج الأمراض التي تنزل بالناس، وقد كان هناك كثير من الأمراض والوفيات من السل والجدري والزائدة والحصبة والكوليرا والطاعون والكبد الوبائي وغيرها من الأمراض التي يقف الإنسان عاجزاً أمامها لعدم معرفته بها وبطرق علاجها[١].

وقد كان القائم بمهمة العلاج في الماضي أشخاص محدودون أمثال «المطوع»، وهو رجل متدين يقوم بعدة أدوار، ويكون منها القراءة على الناس ورقيتهم،

(١) الأسمري، عبد الله بن حسن. بَلَّسْمَر. مطابع جامعة الملك سعود.ص ١٤٢ .

و«السيد» الذي قد يشير للمريض بتناول بعض الأعشاب أو ربما استخدام الكي إذا استلزم الأمر ؛ فآخر العلاج الكي.وكذلك «المجبر» الذي تخصص في معالجة وتجبير الكسور بالاعتماد على الله ثم على أدواته ومهاراته التي لا زالت تجد إلى اليوم احترام الناس ؛نتيجه لنجاحه في ذلك بشكل يفوق أحياناً أعمال بعض المتخصصين في المستشفيات.

وبعد أن وحد الملك عبدالعزيز البلاد قامت وتتالت المشاريع التنموية في عهده وفي عهود أبنائه من بعده في جميع المجالات، ومنها مجال الصحة، وشملت هذه المشاريع جميع المناطق والمحافظات والقرى في المملكة، بهدف تحسين الوضع الصحي للمواطنين، والقضاء على الكثير من الأمراض التي كانت تشكل خطر كبير على حياة الناس في الماضي، مما أدى إلى الحد من نسب الوفيات، وارتفاع نسبة الزيادة الطبيعية للسكان.

وقد شملت تلك المشاريع التنموية في مجال الصحة جبل ضِرْم، فقد قامت الحكومة مشكورة بتأسيس مركز الرعاية الصحية الأولية في أعلى جبل ضِرْم عام ١٤٠٩هـ بقرية الحدب، ويقوم المركز بخدمة القرى التابعة له، وهو الوحيد الذي يخدم القرى المتواجدة هناك، ويبعد عن مدينة محايل عسير حوالي ٤٥كيلومتر والطريق إليه مسفلتة، ويهدف مركز الرعاية الصحية الأولية بجبل ضِرْم إلى تحسين الوضع الصحي للأفراد والمجتمع، مع الاهتمام بنظافة البيئة، وقد قام المركز بتوفير خدمة جيدة للقرى القريبة.

كما أُنشئ بمركز خميس مطير أسفل جبل ضِرْم مركز الرعاية الصحية بخميس مطير، ويبعد عن مركز جبل ضِرْم حوالي ١٣ كيلومتر، وقد خدم المركز الصحي بخميس مطير الأهالي في حالات الولادة وفي غيرها، إضافة إلى مستشفى محائل عسير فهو الأقرب من المستشفيات.

وبفضل الله ثم بفضل ما تقدمه الحكومة لمواطنيها من خدمات صحية «مستشفيات، ومراكز صحية، وأدوية، وتوعية صحية» قلت نسب الوفيات، وقد سمعنا من الأسر في الماضي من فقد الأربعة أو الخمسة أو أكثر من أبنائه، وأصيب فلان بالداء الفلاني، ولُدغ فلان، ولم تكن هناك فرص للعلاج أو الشفاء كما هي اليوم.

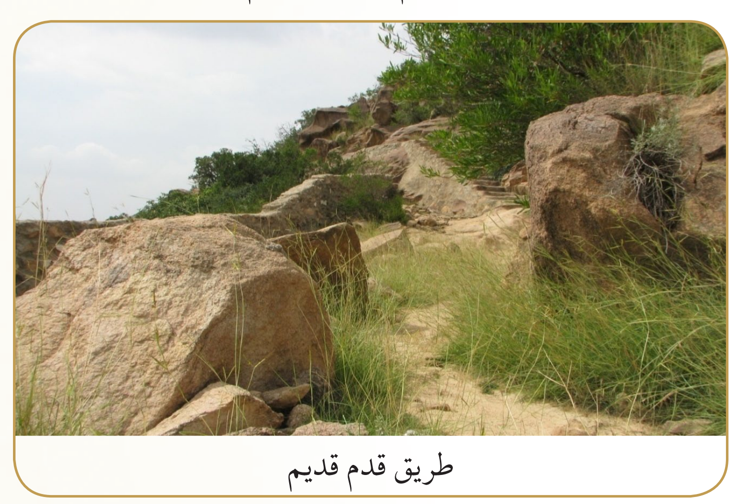
مركز الرعاية الصحية الأولية بجبل ضِرْم



المبحث الثاني:
النقل و المواصلات

قال تعالى: ((والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون))[١] سورة النحل.

كان أهالي جبل ضِرْم في الماضي يعتمدون على الحيوانات كوسائل للنقل من حمير وجمال، ولم يكن كل أحد لديه الجمال، إلا قلة ممن يملك القدرة المالية والغنى، كما كانوا يعتمدون على المشي بالأقدام.وكانت هناك طرق هيأتها الأهالي في الماضي لتسهيل حركة السكان والحيوانات، سميت اليوم بطريق القدم، لتمييزها عن طرق السيارات التي جاءت لاحقاً، وأصبحت هذه الطرق والتي لا زالت آثارها مشاهدة تمتد إلى مسافات طويلة، ويعبر السكان من خلالها بأقدامهم أو على دوابهم، وربما كانت طرق قدم خاصة للإنسان وأخرى للحيوان.وتميزت هذه الطرق بأنها مختصرة، وسهلة غير وعرة، تربط الناس بعضهم ببعض، وتمكن من التنقل والوصول إلى جهات الجبل وأنحائه.


طريق قدم قديم

وبعد أن وحد الملك عبد العزيز البلاد اهتم بإنشاء الطرق لربط أجزاء المملكة

(١) سورة النحل:آية ٨ .قال الشخ عبد الرحمن السعدي في تفسير قوله تعالى ((ويخلق ما لا تعلمون)) يكون بعد نزول القرآن من الأشياء، التي يركبها الخلق في البر والبحر والجو، ويستعملونها في مصالحهم ومنافعهم.

بعضها ببعض ولربط المملكة بالعالم الخارجي، ولتسهيل حركة تنقل السكان والبضائع، وقد بدأت تلك المشاريع في عهده واستمرت في عهود ملوك البلاد من بعده حتى تم ربط أجزاء المملكة بعضها ببعض بشبكة من الطرق المعبدة، وقد كان الاهتمام منصباً كذلك بربط القرى الريفية بالمدن الحضرية ليتمكن إيصال بقية الخدمات إلى المواطنين في كافة أرجاء هذا الوطن. وقد وصل أثر هذا الاهتمام إلى قطاع جبل ضِرْم، فقد قامت الحكومة متمثلة في وزارة النقل والمواصلات بشق طريق معبد يصل أسفل جبل ضِرْم بأعلاه منطلقاً من مركز خميس مطير وحتى قمة جبل ضِرْم «المستوصف» ليتم ربط هذا الجزء الغالي من وطننا الكريم بشبكة الطرق في تهامة، ومن ثم بشبكة الطرق الكبيرة في أرجاء الوطن، وقد تفرع عن خط العقبة الرئيسي هذا طرق فرعية تصل إلى أغلب القرى بالجبل.

وقد اعتمدت وزارة المواصلات شركة العيوني الوطنية لشق وتعبيد عقبة جبل ضِرْم، وقد ابتدأت شركة العيوني العمل في المشروع عام ١٤٠٩هـ، واستمر العمل حتى إتمام المشروع عام١٤١٢هـ. وقد صاحب إنشاء عقبة جبل ضِرْم إنشاء أربع عقبات أخرى لعدد من الجبال التهامية منها جبل بركوك وجبل هادا[1]. وفي مرحلة ثانية، قامت بلدية محافظة محايل عسير بسفلتة الخط الزراعي والذي توقفت عنده اعمال المرحلة الأولى - مرحلة إنشاء عقبة جبل ضِرْم -، والذي بدأ من مستوصف جبل ضِرْم عند قرية الحدب إلى أن انتهى عند آخر نقطة من قرية الشرف، وإلى المسجد الجامع بقرية العتبة. وفي مرحلة ثالثة عام ١٤٣١هـ قامت بلدية محافظة محائل عسير بسفلتة الخط الزراعي الذي توقفت عنده أعمال التعبيد في المرحلة الثانية (عند مسجد العتبة في قرية العتبة) حتى بلغت المسجد الجامع بقرية الضحيان شرق جبل ضِرْم على حافة الوادي عند أقدام الجبل الشرقية. فخففت هذه المشاريع من معاناة الأهالي،

(١) أسندت وزارة المواصلات مشروع إنشاء عقبة جبل ضِرْم إلى شركة يونانية قبل شركة العيوني عام ١٤٠٤هـ ،وبسبب خسارة مالية تعرضت لها الشركة اليونانية، حولت وزارة المواصلات المشروع إلى شركة العيوني .(لقاء خاص مع مهندس المشروع المهندس محمد نوفل في ١/ ٩/ ١٤٣٠هـ مساءً) .

وسهلت حركة التنقل، وأتاحت الفرصة لمجيء باقي الخدمات، وسمحت للزوار والسياح باكتشاف هذا الجزء الرائع من وطننا بمظاهره الطبيعية، وبأهله الكرام، وقد كانت عملية التنقل في الماضي مليئة بالمصاعب والمخاطر فهي رحلة شاقة طويلة محفوفة بالهموم والمصاعب، وخاصة عندما تهطل السيول، وقد شهدت فيها مواقف واستمعت لأحداث، فنحمد الله على فضله وآلائه.

وتقع شرق جبل ضِرْم عقبة جلجلة عبر سفح السراة الغربي، وقد كانت طريق المواصلات الذي يربط أهالي الجبل بالسراة، والسراة بأهالي الجبل، وهو طريق ترابي غير معبد ووعر تسلكه وسائل المواصلات السيارات كالجيوب، ولا تملك السيارات الصغيرة القدرة على عبوره لوعورته. وقد كان قبل العقدين الماضيين نشط عندما كانت الأهالي تسلكه في رحلة وصولها من خلال السراة إلى جبل ضِرْم، وعندما كانت تجارة العسل والسمن والماشية والأغنام والحبوب وغيرها نشطة بين أهالي السراة والجبل.وبعدما تم إنشاء عقبة جبل ضِرْم وبعدما تحسنت الطرق الزراعية وشق الأهالي في الجبل بعض الطرق المختصرة التي ترتبط بآخر نقطة من مشروع سفلتة عقبة جبل ضِرْم عند قرية الحدب في قمة ضِرْم الغربية، وبعد وصول الطرق المعبدة من خلال المرحلة الثانية والثالثة، أصبحت الحركة من خلال عقبة جلجلة شبه متوقفة، فالأهالي اندفعت للطرق السهلة. وقد وجدوا في تهامة أسواق غنية بالمنتجات ونشطة بعدما كان أغلب تسوق أهالي شرق جبل ضِرْم بأسواق السراة.

وهذا ربما يبين أهمية طرق المواصلات في ربط الأماكن والقرى والمدن بعضها ببعض، وفي إقامة شبكة من العلاقات المختلفة وإحياء التواصل والترابط الاجتماعي والثقافي.وربما أن إعادة الاهتمام بهذه العقبة وسفلتتها سيكون له أثر عظيم من الناحية السياحية والاقتصادية والاجتماعية.

خاصة وأنَّ جبل ضِرْم الآن أصبح موصول بطريق معبد يربط غربه في تهامة وعند مركز خميس مطير بشرقه الموازي لسفوح السراة عند قرية الضحيان على حافة

وادي نطعان.ولا شك أن العبور مع هذا الطريق سيكون نزهة من أمتع النزهات في جبل حباه الله بطبيعة آسرة وخلابة، وأودية تجري فيها الغدران والعيون وتغطيها غابات من النباتات الطبيعية، كما سيكون له أثره الاقتصادي على أسواق تهامة و السراة من خلال المرتادين من الأهالي وغيرهم من السواح الذين سيساهمون في زيادة النشاط الاقتصادي من خلال سياحتهم أو نزهتهم في ذلك النطاق العريض. وسيكون من ذلك الأثر الاجتماعي والاقتصادي الذي سيعود على الأهالي بالخير الكثير.



عقبة جبل ضِرْم وقد غرقت بمياه المطر



وسط العقبة والتواء الطريق

المبحث الثالث:
الطاقة والوقود

مر أهالي جبل ضِرْم مع استخدام الطاقة والوقود بمصادر مختلفة كغيرهم في أنحاء البلاد، وكان لكل مصدر من هذه المصادر حقبته التاريخية التي ساد فيها استخدامه.

ويمكن تقسيم هذه المصادر إلى قسمين كالتالي:

١-مصادر تقليدية: وتتمثل في:

أ-عضلات الجسم: فقد استخدم إنسان جبل ضِرْم قوة جسمه كطاقة كامنة لأداء أي عمل من الأعمال، وقد بدا أثرها للعيان فيما خلفه من آثار.

ب-الحيوانات: وقد استخدمت في السفر وحمل الأشياء والزراعة والإنتاج، فاستخدم الجمل للحمل والسفر، والحمار للحمل، والثيران للزراعة.

ج-النار: وقد استخدمها إنسان جبل ضِرْم في الطبخ والإنارة بواسطة إشعال أخشاب الأشجار.

٢-مصادر حديثة: وتتمثل في:

أ-الكيروسين(القاز): المستخرج من البترول، وكان يباع في الأسواق المحلية -الأسواق تحدثنا عنها في مبحث التجارة- في وعاء زجاجي يسمى «المضراب»، ثم يوضع الكيروسين ((القاز)) في السرج والفوانيس والأتاريك للإنارة.

ب- الغاز: وهو من مشتقات البترول، فبعدما انتشر وتوسع استخدامه، وصل إلى الأهالي بواسطة محلات الغاز المنتشرة في محافظة محائل عسير وبمركز خميس مطير ومركز ثلوث المنظر بتهامة، واستخدمه الأهالي كوقود للإنارة والطبخ.

ج-البترول (الكهرباء): تنتج الكهرباء من حرق وقود خام كالبترول في

المحطات الحرارية لتوليد الطاقة، فهي شكل من أشكال الطاقة، وقد أنشئت هذه المحطات الكهربائية في مختلف المملكة بواسطة الشركة السعودية للكهرباء، ولقد تأسست أول محطة توليد كهرباء بمنطقة عسير في مدينة أبها في عام ١٣٨٨هـ، وفي عام ١٤٠٧هـ تم افتتاح مشروع كهرباء تهامة المركزي بمحافظة محائل عسير وتم بعدها وصول الكهرباء إلى المراكز والقرى التابعة لها بشكل تدريجي.حيث بدأ توصيل الكهرباء إلى جبل ضِرْم في عام ١٤٢٣هـ حتى تم في عام ١٤٣٠هـ إيصال الكهرباء إلى كل القرى والمنازل بجبل ضِرْم، إضافة إلى وصول الكهرباء مبكراً إلى قرى الفاضية والقواعد والمقرا عند أقدام الجبل الشمالية والغربية تزامناً مع دخولها بمراكز خميس مطير وثلوث المنظر في تهامة بَلْلَّسْمَر. حيث بدأت المرحلة الأولى بقرية القفيل عام ١٤٢٣هـ وكان عدد المشتركين ٢٥ مشترك، وكانت المرحلة الثانية بقرية ثمران عام ١٤٢٥هـ وكان عدد المشتركين ١٧ مشترك، وغطت المرحلة الثالثة بقيت قرى جبل ضِرْم ماعدا قرية القراه عام ١٤٢٥هـ وكان عدد المشتركين ٢٢٦مشترك، وكانت المرحلة الرابعة بقرية القراه عام ١٤٣٠هـ وكان عدد المشتركين ٨ مشتركين. وفي عام ١٤٢٨هـ تم إنشاء محطة كهرباء بمركز خميس مطير بالقرب من جبل ضِرْم؛ لتقوية الكهرباء بمراكز وقرى إمارة تهامة بَلْلَّسْمَر وبَلْلَّحْمَر.وقبل وصول كهرباء شركة الكهرباء السعودية بسنوات، استخدمت الأهالي مولدات كهربائية تسمى «ماطور»، وهي إما كبيرة يشترك فيها مجموعة من الأفراد أو صغيرة لتوليد الطاقة للمنزل الواحد، وكلاهما لتوفير الكهرباء للاستهلاك المنزلي والإنارة.



يظهر في الصورة تمديدات أسلاك الكهرباء

المبحث الرابع:
السيـاحـة

يتمتع جبل ضِرْم بالطبيعة الخلابة والجو المعتدل كما يحتوي على العديد من الآثار القديمة التي خلفها الأسلاف. فجبل ضِرْم تكسوه العديد من النباتات الطبيعية من أشجار وشجيرات وحشائش، وتأخذ هذه النباتات على سطح الجبل سمت التدرج، فضِرْم جبل شاهق الارتفاع يقترب من السراة وأقدامه في السهل. ونظراً لاختلاف بيئات النبات وتنوع المناخ على ظهر الجبل نتيجة لتنوع السطح في أسفله عنه في وسطه، وفي وسطه عنه في أعلاه، أتاح ذلك التنوع في المناخ تواجد نباتات السهل والمرتفعات الباردة على سطح جبل ضِرْم، فيتمكن الزائر من رؤية تلك النباتات مختلفة البيئات على سطح هذا الجبل عند سيره عبر عقبة الجبل، والتي تصل أسفل جبل ضِرْم بأعلاه ابتداءً من مركز خميس مطير بالسهل وحتى قرية الحدب بقمة جبل ضِرْم.

كما يجذب الزائر لجبل ضِرْم منظرُ التشكلات الصخرية المختلفة ويمتعه جمالها وتمايزها أثناء ذلك السير، فيلحظ سمت الانكسار والتشقق لصخور السهل وصغر الحجم، بينما الملوسة والصفاء والأحجام الكبيرة الداكنة اللون سمت الصخر في مرتفعات الجبل بالإضافة للجروف والتي يسميها الأهالي «جباه»، وكذلك الكهوف والتي تنتشر في نواحي متعددة من الجبل، وجميعها تلفت الأنظار وتجذب الزائرين والمتنزهين.

ويتميز جبل ضِرْم بجمعه لمناخات متعددة في الفصل الواحد ؛ففي فصل الصيف يكون المناخ في أسفل الجبل حار، بينما يكون في أعلاه معتدل إلى بارد، وفي فصل الشتاء يكون المناخ في أعلى الجبل بارد إلى شديد البرودة، بينما يكون في أسفله دافئ إلى حار، مما يتيح للزائر معايشة مناخات متناقضة في مساحة مكانية صغيرة ومدة زمانية قصيرة، كما تسقط الأمطار في فصل الصيف والشتاء وتغطي الغيوم والضباب أجزاء الجبل المرتفعة. وعادةً ما تكون مرتفعات جبل ضِرْم منطقة جذب لسياح تهامة

والسراة في فصل الصيف، ويكون أسفل الجبل منطقة جذب لأهالي مرتفعات ضِرْم، ومرتفعات السراة في فصل الشتاء نظراً لدفئه.

ويضيف وجود الحيوانات في الأماكن السياحية جمالاً للمكان ومتعةً للزائر، والحيوانات البرية في ضِرْم كثيرة من هذه الحيوانات الثعلب والقرد والوبر والليص والوشق والأرنب البري والوعل، و طيور متنوعة كالصقر والغراب والبوم والنسر والعقاب والحدأة والحمام البري والهدهد والأكوع والرهاط والخفافيش والعصافير وغيرها كما توجد أنواع مختلفة من الأحياء المختلفة. وتتواجد هذه الحيوانات في مناطق المنكشفات الصخرية وعلى الأشجار وبغابات الجبل وبالقرب من الأودية.

والغابات في جبل ضِرْم والأودية المحيطة فيه من أجمل الأماكن الطبيعية التي يمكن أن يجد بها الزائر النزهة المناسبة والترويح، وتتمثل هذه الغابات في غابة المشيخ ولقمان بقرية الشرف، وغابة الصوبة بقرية العتبة، وغابة العشة بقرية العتبة والشرف، وغابات القفيل والفي.كما يوجد بالقرب من أودية النحابة ونطعان وثمران والغيل غابات جميلة إضافة إلى الغدران والعيون الجارية.

كما تنتشر في أرجاء جبل ضِرْم الآثار القديمة المختلفة كالقرى والبيوت القديمة والمدرجات الزراعية والقلاع والحصون والآبار، وهي من عوامل السياحة في هذا الجبل الأشم، والتي بقيت إرثاً يتوارثه الأجيال، لتحكي بحق ملحمة كفاح نبيل، وتبقى حية يشهدها الخلف ليستلهموا منها طبائع وتاريخ السلف الحضاري، ولتعطي للسائح لهذا الجزء الجميل من وطننا الشامخ صورة عن الإنسان الضِرْمي.

فجبل ضِرْم من المناطق الجميلة الذي يمكن أن يكون في المستقبل موضع للمشاريع السياحية ومهوى للسياح من داخل المملكة وخارجها ؛لما وهبه الله من الطبيعة الآسرة والمناخ المناسب، ولوفرة الآثار القديمة فيه ولطيبة أهله وسماحتهم ، والذين من عاداتهم الكرم وحسن الضيافة، فهم يجيدون استقبال الزوار ويحرصون على خدمتهم وتأمين راحتهم.



صورة الطبيعة عندما تأسر الأنظار



القمم وقد ازدانت بالحشائش والأشجار المتنوعة (قمة لقمان)



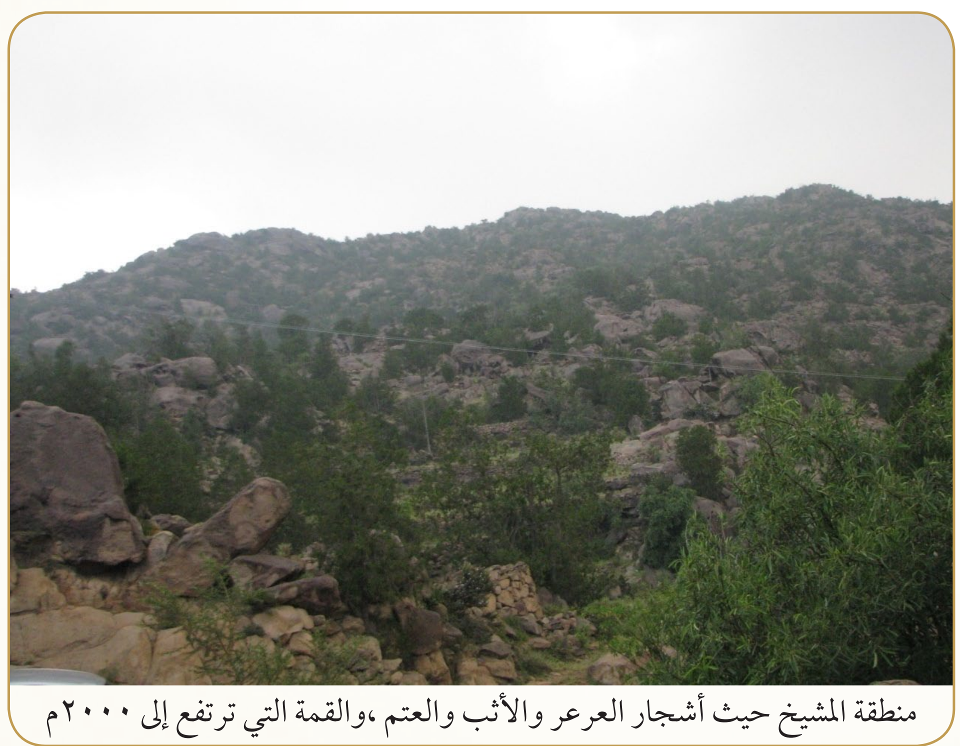
دنى الضباب يُقبل جبين الجبل الأشم



اللهم أدم الخير، وأرزقنا شكر نعمائك



زخات المطر المنعشة لتكمل الروعة



منطقة المشيخ حيث أشجار العرعر والأثب والعتم ،والقمة التي ترتفع إلى ٢٠٠٠م

المبحث الخامس:
النـاحية التعليميـة

كان تلقي العلم في الماضي قبل مجيء المدارس النظامية يتم بجبل ضِرْم في المؤسسة التعليمية التي تسمى «المعلامة»، وقد كانت المعلامة قبل مجيء التعليم السعودي إلى جبل ضِرْم تقوم بوظيفتها التعليمية في المسجد أوبمنزل المطوع، يدخل الطالب إلى المعلامة عند بلوغ الرابعة أو الخامسة من العمر ويستمر التلاميذ في المعلامة سنة أو سنتين، وربما أكثر من ذلك، ثم يعودون إلى أهاليهم لمساعدتهم في الزراعة والرعي وفي مسؤوليات الأسرة، وتستمر عملية التعلم في المعلامة من الصباح وحتى موعد صلاة المغرب، يتعلم الطلاب في المعلامة من المطوع القرآن الكريم والحساب. وتستخدم في المعلامة وسائل وأدوات تعليمية كاللوح والذي يكتب عليه الطالب ما يتعلمه ويقوم بترديده مع المطوع، حتى مايتم حفظه ثم يقوم بمسحه مره أخرى للدرس الآخر، وعادةً ما يصنع هذا اللوح من شجر العرعر، وأداة تعليمية أخرى مثل القلم الذي يصنع من شجر القصب ويحد رأسه ليحسن استعماله، ويوضع في محبرة يتم إعدادها من عصارة بعض الأشجار ويتم خلطها ومن ثم استخدامها كحبر للقلم الذي يكتب به على اللوح.

ولمعلم المعلامة « الجد أو المطوع» تقدير وإجلال لدى الآباء والطلاب والقرية، لإكبار الناس ما يحمله من علم شرعي، وتعظيمهم للقرآن الكريم.ولم يكن لمعلم المعلامة في العادة عمل آخر سوى التعليم، فكان يعتمد في معيشته على ما يوفره له الأهالي من حبوبٍ وبُنٍ ومال، أجرة على تعليمه الصبيان، وقد كانت الأسر تتبادل أدوارها أسبوعياً في كفالة المعلم من حيث طعامه وشرابه، وربما قاموا بتوفير السكن له.والمطوع قد يكون من أهل الجبل أو من غيرهم يستأجره الأهالي لتعليم أبنائهم.

وقد كان التلاميذ يقضون أغلب يومهم بالمعلامة، يتعلمون القرآن الكريم

والحساب، ويعين المطوع لتلاميذه أوقاتاً محددةً للطعام والترفيه، أثناء وجودهم في المعلامة.

وقد تلقى المطوع في جبل ضِرْم تعليمه من خلال سفره إلى اليمن لطلب العلم، أو عن طريق بعض الأسر العلمية في ضِرْم كأسرة آل المعوك الذين عرفوا بالعلم الشرعي -وقد كان يفد إليهم طلبة العلم من جبل ضِرْم ومن خارجه-، أو من خلال طلبة العلم الذين تتلمذوا في اليمن أو عند أسرة آل المعوك. جاء في كتاب الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية: «وكان من أشهر الأسر العلمية في قبائل رجال الحجر أسرة آل مسبل بقرية آل الشاعر ببَلْلَّحْمَر، وأسرة آل درع ببَلْلَّسْمَر.. وأسرة آل المعوك بقرية القواعد بتهامة بَلْلَّسْمَر»[١]، وقد جاء في موسوعة أسبار للعلماء في الشريعة، ترجمة للشيخ علي بن محمد بن المعوك الأسمري جاءَ فيها: «تلقى العلم على علماء بلده، ثم رحل إلى بلدة زبيد، وسهام، وبيت الفقيه بتهامة اليمن طلباً للعلم، متخصص في علم الفرائض واللغة العربية وخصوصاً النحو. عمل قاضياً بمحكمة الجوه ببلاد قحطان عام ١٣٨٠هـ إلى أن توفاه الله»[٢].

وقد رحل العديد من طلاب العلم من جبل ضِرْم إلى اليمن وعادوا وجلسوا للتدريس بجبل ضِرْم، ومنهم الشيخ عبدالله بن علي آل مرعي، الذي شوهد تميزه وعلمه، وبعد أن عاد من اليمن ذهب إلى مكة واستقر بها، وكذلك الشيخ أحمد بن علي بن مشافا من قرية ذي صلب من جبل ضِرْم، فقد طلب العلم باليمن وبمكه وجلس للتدريس بالحرم المكي وطُلب منه العمل بالقضاء في فتره ماضية، ولكنه اعتذر لرغبته في البقاء بقريته مسقط رأسه، فمُنح إمامة جامع مركز خميس مطير، وقد توفي عام ١٤٣١هـ، وكان حافظاً للقرآن الكريم وللعديد من أحاديث السنة،

---

(١) أبوداهش. عبدالله بن محمد ، كتاب الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية، ص٩٢.

(٢) موسوعة أسبار للعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية، الجزء الثاني ص ٨٥٥.

ومضطلع في العقيدة والفقه والنحو، وقد ترك مزاولة الإمامة في فتره متأخرة قبل وفاته بسبب كبر سنه وعجزه عن الإمامة، كان نشيطاً في الدعوة وكان عاقداً للأنكحة. والشيخ عبدالله بن محمد بن بريق من قرية الشرف، رحل إلى اليمن لطلب العلم، برفقة الشيخ أحمد بن علي بن مشافا الذي تقدم ذكره، فدرس العلوم الشرعية وعلوم الآلة، ثم عاد إلى ضِرْم، فجلس يُدّرس بمسجد قرية الزرائب، فتخرج على يديه الكثير من أبناء ضِرْم، وكان ممن تتلمذ على يد الشيخ من جلس للتعليم في المعلامة كمحمد بن حسين الأسمري من قرية العتبة، والحفظي الأسمري والذي أصبح إماماً لمسجد الزرائب.والعم الشيخ محمد بن حسين الأسمري من قرية العتبة توجه إلى اليمن قبل أن يجلس للتدريس بالمعلامة بقرية العتبة، ولكنه عاد أدراجه بعدما نفدت مؤونة السفر وانقضى المال إلى جبل ضِرْم، فتتلمذ بعد عودته على يد الشيخ عبدالله بن بريق الأسمري من قرية الشرف بضِرْم، فحفظ عليه من القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة وعلوم الدين، واعتنى بالقراءة من كتب العلم بمفرده، ثم جلس بعد ذلك لتعليم أبناء قرية العتبة والقرى المجاورة، فدرسَ في المساجد وفي بيته وفي المنازل بالقراة والطرقة والعتبة، وتتلمذ على يديه كثير من أبناء القرى بضِرْم، وقد كان يؤم الناس في المناسبات وفي رمضان. وقد درس بالمعلامة في جبل ضِرْم قبل عهد التعليم السعودي طلاب علم – إضافه إلى من ذكرنا- أمثال الشيخ عبدالله بن محمد من آل الشيخ من ضَحِي الحال. والشيخ علي بن أحمد بن شفلوت من قرية الشرف، وقد تتلمذ على يديه كثير من كبار السن اليوم، فأخذوا منه القرآن الكريم والحساب والقراءة والكتابة، وقد درس بقرية الشرف والعتبة والقراة.ومن طلاب العلم من أبناء جبل ضِرْم من ذهب للتدريس خارج جبل ضِرْم، كالمعلم محمد بن مداوي الضِرْمي الأسمري المتوفى عام ١٣٤٤هـ، وقد أقام معلامة في قبيلة آل معافا (ببني شهر)جاء ذكره في كتاب الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية[١].

(١) ابوداهش.عبدالله بن محمد، كتاب الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية، ص٤٧.

قال الدكتور عبدالله أبوداهش بعد زيارات ميدانية للجبل أجرى فيها بعض المقابلات وشاهد من خلالها بعض المخطوطات: «ولم يكن جبل ضِرْم بتهامة بَلْلَّسْمَر بقليل طلاب العلم، بل عُرف منه عدد غير يسير»[١].كما علق على مخطوطة لأحد أهالي جبل ضِرْم مكتوب عليها»تم تجليد كتاب الديوان بيد محمد بن محمد فرج من غرّا[٢] الأسمري في لقمان [٣] « قائلاً: «وهذه الآثار المخطوطة تشير إلى شيء من ومضات الفكر بهذه القبائل، وتؤكد على استمرار هذه اليقظة في القرون الأخيرة الماضية»[٤].

وجاءت بعد مدارسِ المعلامة مدارسُ الشيخ عبدالله القرعاوي، فقد وصل الشيخ إلى جبل ضِرْم في عهد الملك سعود سنة ١٣٧٥هـ تقريباً، والتقى بمشايخ القبائل ومعلمي المعلامة، وقام بإحصاء أسماء الأبناء في القرى.وأسس لمدارس القرعاوي بمساجد القرى المختلفة التي كانت تقام بها المعلامة (بالطريقة المعروفة للمعلامة)، وعين عليها المعلمون الذين جلسوا من قبل في المعلامة، وتوافد إليها التلاميذ من أرجاء ضِرْم، وقام الشيخ بتوزيع المصحف الشريف والدفاتر والأقلام للطلاب، وجعل لكل طالب مكافأة شهرية (مبلغ عشرة ريالات)، وكذلك المعلمين عين لهم راتباً شهرياً.وقد مثلت مدارس الشيخ القرعاوي مرحلة نقلة للتعليم في جبل ضِرْم مقارنة بالتعليم في المعلامة فقد امتدت الدراسة إلى سنتين بعدما كانت في

---

(١) ابوداهش.عبدالله بن محمد ، حوليات سوق حباشة ،إصدارات دارة الملك عبدالعزيز ،١٤١٧-١٤١٨هـ.ص١٦٩.

(٢) من آل سَعْدٍ سكان جبل ضِرْم من تهامة بَلْلَّسْمَر .

(٣) «اسم علم لقرية الشرف من آل غراء،وتقع بجبل ضِرْم،ويزعم أهلها على ما يتناقلون عن أسلافهم أنها تنسب إلى لقمان عليه السلام،وكذلك قمة جبل ضِرْم الغربية بصخورها الشماء اسمها لقمان» كتاب عمر بن غرامه العمروي،معجم بلاد الحجر ص٩٧.

(٤) أبوداهش.عبدالله بن محمد ، حوليات سوق حباشة ،إصدارات دارة الملك عبدالعزيز ،١٤١٧-١٤١٨هـ.ص١٨٣.

المعلامة لمدة سنة دراسية غالباً، واستخدم التلاميذ الكتابة على الدفاتر بدلاً من الكتابة على الألواح، وامتلك التلاميذ مصاحف القرآن الكريم بعد أن كانوا يعتمدون على محفوظاتهم وما سجلوه على الألواح، كما أصبح المعلم يتقاضى راتباً شهرياً من الشيخ القرعاوي، ولم يعد يأخذ الأجرة من الأهالي.وكانت مدارس الشيخ القرعاوي تعنى بتدريس القرآن الكريم والحديث الشريف والتوحيد والفقه والقراءة والكتابة.

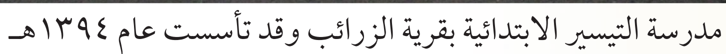
وقد أقيمت المعلامة ومدارس الشيخ القرعاوي بمساجد القرى المختلفة كما أشرنا وهي: جامع العتبة بقرية العتبة وقد درس به المعلم علي بن أحمد بن شفلوت ومحمد بن حسين آل غرامة، ومسجد القراة بقرية القراة وقد درس به علي بن أحمد بن شفلوت ومحمد بن حسين آل غرامة، ومسجد الشرف بقرية الشرف وقد درس به المعلم علي بن أحمد بن شفلوت، وكذلك مسجد الزرائب بقرية الزرائب وقد درس به الشيخ عبدالله بن محمد من آل الشيخ والشيخ أحمد بن علي بن مشافا من ذي صلب، ومسجد القفيل بقرية القفيل درس الشيخ أحمد بن علي بن مشافا، ومسجد فلقاه والضحي في آل الشيخ ودرس به الشيخ عبدالله بن محمد من قرية الضحي، ومسجد القواعد بقرية القواعد درس به الشيخ علي بن محمد بن المعوك من القواعد والشيخ أحمد بن علي بن مشافا من ذي صلب(ثمران)، وقد كان تلاميذ قرية المقرا والفاضية يقصدون مسجد القواعد للتعلم بالمعلامة، وكذلك مسجد الفاضية بقرية الفاضية وقد درس به شيخ من الحضن (بالقرب من الريش) يدعى الشيخ عمر، وفي ثمران كان هناك عدد من المساجد منها مسجد آل لحن ومسجد الشطوة ومسجد آل قياس ومسجد الحرشة ومسجد حصن القر، وقد درس بها معلمون من خارج الجبل ومن اليمن.

وبعد أن أنشأ الملك عبدالعزيز مديرية المعارف، تطور التعليم وأصبح مسيساً ونظامياً، وله ميزانية خاصة، استطاعت من خلالها مديرية المعارف ثم وزارة المعارف ثم وزارة التربية والتعليم بعد ذلك من إنشاء المدارس ووضع المناهج للمراحل

الدراسية، وإعداد المعلمين المؤهلين، وقد واصل ملوك البلاد بعد المؤسس جهودهم في الاهتمام بالتعليم وتطويره وتخصيص الميزانيات الضخمة له، فأنشئت المدارس النظامية بكل أجزاء المملكة، وأنشئت في جبل ضِرْم حوالي ٩ مدارس ابتدائية، ووزعت لها المناهج وعين بها المعلمون تحت إشراف إدارة التربية والتعليم بمحافظة محائل عسير، فانخرط بها أبناء الأهالي وتتلمذوا. ففي عام ١٣٩٠هـ أنشئت ابتدائية الأندلس بقرية العتبة، وهي أول ابتدائية أُنشئت في ضِرْم، فانضم إليها ٥٠٠طالب منذ افتتاحها. وقد تعلم التلاميذ من خلال هذه المدارس الابتدائية المناهج النظامية المقررة بواسطة معلمين ذوي تأهيل وكفاءة من أبناء الوطن، ومن جنسيات عربية، وقد لعبت المدارس النظامية دوراً كبيراً في تعليم الناس بصورة منظمة لعلوم متعددة. وبعد أن يتم الطالب المرحلة الابتدائية ينتقل إلى المراكز القريبة أو المدن، ليواصل تعليمه المتوسط والثانوي.واليوم لم يتبقى سوى ثلاث مدارس بالجبل فقد أُلغيت أغلب المدارس التي أسست، وسبب ذلك هو تخلف الكثير من الخدمات في فترة قديمة مما تسبب في هجرة الأهالي إلى المراكز والمدن حيث الخدمات والمدارس، مما أدى بوزارة التعليم في وقتها إلى إلغاء أغلب تلك المدارس الابتدائية، وتبقت بالجبل ابتدائية التيسير للبنين بقرية الزرائب والتي أسست عام ١٣٩٤هـ، وابتدائية صلاح الدين الأيوبي للبنين بقرية القواعد والتي أسست عام ١٣٩٦هـ، ومدرسة الزرائب الابتدائية للبنات والتي أسست عام ١٤٠٤هـ.

هذه مراحل تطور التعليم بجبل ضِرْم، وقد مررنا عليها بشكل موجز لنعطي للقارئ الكريم بعض الملامح المتعلقة بالناحية التعليمية بجبل ضرم في دراستنا المبسطة هذه، وقد عرضنا لثلاث أنماط من التعليم بداية من المعلامة (الكُتاب)، إلى مدارس الشيخ عبدالله القرعاوي، إلى المدارس النظامية الحكومية، وبعض المعلومات المتعلقة بكل نمط، والتي تهم في إلقاء الضوء على طبيعة العملية التعليمية، وأدواتها، ووسائلها، ومناهجها، ومقارها، والقائمين عليها، وصولاً إلى التعليم الحديث.




مدرسة التيسير الابتدائية بقرية الزرائب وقد تأسست عام ١٣٩٤هـ



مدرسة صلاح الدين الأيوبي الابتدائية بقرية القواعد وقد تأسست عام ١٣٩٦هـ

المبحث السادس:
الهجرة من جبل ضرم

بدأت الهجرة الكبيرة المتأخرة من جبل ضِرْم إلى خارجه في الستينيات الهجرية من القرن الماضي، وقبل هذا التاريخ حصلت هجرات قليلة ومحدودة من جبل ضِرْم إلى أجزاء من بَلْلَّسْمَر، و إلى أجزاء ومواضع خارج بَلْلَّسْمَر، إلى بعض القبائل القريبة، وظل قسم من هؤلاء المهاجرين ينتسب لقبائل ضِرْم، وقسم آخر توطن في القبائل التي نزح إليها وتَسمى بتلك القبائل، وتُسمى هذه الهجرات: بالهجرات الأفقية والتي يتعدى فيها المهاجرون حدود نطاقهم الريفي إلى نطاقات قبلية أخرى.

وأما الهجرة الكبيرة كما ذكرنا فقد بدأت في الستينيات الهجرية وهي إلى يوم الناس هذا، فقد أصبحت طبيعة القرى والأماكن البعيدة عن الحواضر والمدن الكبيرة الرئيسة في هذا العصر طاردة لسكانها ؛بسبب طبيعة الحياة التي تفرض على الإنسان الذهاب خلف حاجاته ومصالحه، والتي لا تتوافر في هذا العصر بالقرى والأماكن التي تقل بها فرص العمل والوظائف والتعليم، فذهب الكثير من الناس للالتحاق بالوظائف الحكومية المدنية وبالسلك العسكري، وبالمدارس والجامعات في المدن الكبيرة ؛للاستفادة من الخدمات المتوفرة في المدن، وإبدال نمط العيش القديم بنمط عيش أقل جهداً وأكثر فائدةً.

وكانت بداية الهجرة من شريحة الشباب، الذين فارقوا الجبل وانطلقوا إلى المدن الكبيرة كالرياض ومكة وأبها وجدة و الدمام وغيرها من مدن المملكة، وبعدما تحصلوا على التعليم والوظائف استقروا بهذه المدن وجاءوا بأسرهم إلى تلك المدن،

وأصبحوا بعد ذلك يستقبلون وفود المهاجرين من أبناء قبائلهم، والقادمين بعدهم للمدن الكبيرة للحصول على الفرص التعليمية والوظيفية، ويبقون عند إخوانهم في حفاوتهم ورعايتهم حتى يتسنى لهم تكوين أنفسهم واستقلالهم. وهكذا بدأت الهجرة من جبل ضِرْم واستمرت حتى لم يبق بالقرى سوى كبار السن الذين عزَّ عليهم الانتقال ولم يكن لهم الحاجة إلى ذلك، ولكنهم التحقوا بأبنائهم في المدن بعد أن تقدمت بهم السن ؛لرعايتهم وخدمتهم. ومنهم من حل واستقر بالمراكز القريبة من جبل ضِرْم كمركز خميس مطير وثلوث المنظر وكذلك بمحافظة محايل عسير.

وهكذا بقي بقرى الجبل نسبة قليلة من الأسر لا تتجاوز ٣٢٠أسرة [١] ظلت متمسكة بخيار البقاء، ومختارةً لنمط الحياة بالقرى، وممارسة الرعي والزراعة كما كان الأجداد، وقد أوصلت هذه الهجرة الريفية معظم القرى إلى تناقص مستمر في أعداد الأشخاص القادرين على العمل مقابل زيادة سكانية هائلة للمدن...وأصبحت أغلب الأراضي الزراعية في القرى أراضي بور متروكة دون حراثة أو اهتمام[٢]. كما نجم عن هذه الهجرة انحسار حرفة الرعي وتربية الماشية على أعداد محدودة، مما سبب ضعف وقلة الإنتاجية مقارنة بعقود ماضية، كما نجم عن تلك الهجرة فقدان بعض البُنى التحتية كالمدارس بعد إغلاقها نتيجة للهجرة، كما نجم عنها زيادة عدد الوافدين من العمالة، والتي جاءت لتحل محل المهاجرين ممن هم في سن العمل، وتقوم بالأدوار والوظائف المختلفة.

---

(١) تقرير خطة عمل مركز الرعاية الصحية الأولية بجبل ضِرْم لعام١٤٢٨هـ،ص١٣.

(٢) د.الطفيلي،حمد.كتاب الجغرافيا الاجتماعية المفاهيم والمنطلقات.دار المنهل اللبناني.الطبعة الأولى.٢٠٠٩م-١٤٣٠هـ ص٦٠.

وقد توفرت اليوم خدمات لم تكن موجودة في السابق كالكهرباء والطرق المعبدة، إلا أن نقص الخدمات الأخرى كالمياه والمدارس للمراحل المختلفة وشح الوظائف لا يشجع الكثير على العودة والهجرة مجدداً إلى جبل ضِرْم.وأصبح جبل ضِرْم أكثر حيويةً وحركةً ونشاطاً في فصل الصيف عند نهاية العام الدراسي، وعامراً بأكثر عدد ممكن من أهله خلال السنة، يفدون إليه هرباً من حرارة الجو في أغلب مناطق المملكة.







الفصل السابع

الأنشطة الاقتصادية

- الزراعـة.
- الرعـي.
- تربية النحل وإنتاج العسل.
- التجـارة.
- الوظائف الحكومية.



الفصل السابع
الأنشطة الاقتصادية

تعددت الأنشطة السكانية اليوم مقارنة بالماضي، وتنوعت الفرص الوظيفية التي يشتغل بها سكان القرى وأبنائهم، والأهالي المقيمين بالمدن والمحافظات، ففي الماضي قبل قيام الدولة، كانت الأنشطة الاقتصادية تقتصر عند سكان قرى الجبل على الزراعة والرعي والتجارة، بينما تعددت اليوم الخيارات مع توفر الفرص الوظيفية في القطاع الحكومي والخاص، وقد ساهم في هذا الانتقال من أنشطة الماضي إلى غيرها أسباب عديدة أهمها: هجرة الأهالي من القرى إلى المدن الرئيسية والكبيرة رغبة في الاستفادة من الفرص الوظيفية والخدمات، وبغية الحصول على العلم والشهادات العلمية، وميل الناس في الانتقال من نمط الحياة القديم إلى نمط الحياة العصرية في المدن الحضرية.

ولا زال بقرى الجبل من يمارس حرفتي الرعي والزراعة، وحرفة الاتجار بالحيوانات الرعوية، وحرفة تربية النحل وإنتاج العسل، وسيأتي التفصيل مع التركيز على الأنشطة السكانية في الماضي للتعرف على طبيعتها.

فهذه ملامح تتعلق بالأنشطة الاقتصادية بجبل ضرم وخاصة في الماضي، نلقي عليها الضوء بالوصف والصورة شوقاً لجمع المادة التي نوثقها لنقرأها، وذلك كل ما أردنا أن نرتبط بماضي الأجداد المختلف والعصامي. إيماناً بأهمية التعريف بالنشاط السكاني بالماضي لهذا الجزء الجميل والعزيز من مملكتنا الحبيبة.

الزراعة

لقد ابتكر سكان المناطق الجبلية في الماضي المدرجات الزراعية ليوجدوا لهم بقعة تمكنهم من ممارسة الزراعة، وتقاوم الأمطار المنحدرة من الجبال، وقد انتشرت هذه الخبرة في كثير من المرتفعات الجبلية في العالم، وقد قيل أن أهالي جبال السروات

في الجزيرة العربية هم من ابتدعها، وقد استخدم أهالي المناطق الجبلية هذه الطريقة في.تشييد أعداداً كبيرة من المدرجات الجبلية للتقليل من انحدار المياه ومنع تآكل الجوانب والمساهمة في تسرب مياه الأمطار إلى الطبقات الجوفية وتخزينها مما أسهم في نجاح الزراعة وازدهارها[1]. وقد انتشرت الأحواض الزراعية في ضِرْم على طول الجبل وعرضه بالقرب من القرى والمنازل، وأطلق على مجموعها «البلاد»، ويطلق على واحدها «ركيب» أو«قطعة» أو«زهب» أو«حوض» أو«عارض»، شيدها الأجداد والآباء وبقت صامدة مع تعاقب الأزمنة واختلاف الظروف.

ومصدر المياه لهذه المدرجات الزراعية غالباً «مياه الأمطار»، التي تنحدر من أعالي الجبال إلى كل حوض زراعي عن طريق ما يسمى «الشعاب» ومفردها «شعيب» وهو مجرى مائي ضيق يستقبل مياه الأمطار المنحدرة إلى داخله، ويقوم الأهالي بشقه وصيانته، ليحمل مياه الأمطار المنحدرة إلى الحوض الزراعي«البلد»، وهذا مستخدم في الماضي وإلى يومنا هذا.

وقد كان نمط الزراعة في الماضي نمطاً تقليدياً يعتمد على الأدوات البدائية والطريقة البدائية، ولا زال ذلك بالنسبة لغالب المزارعين في أعلى الجبل لممانعة الأهالي أن تشق طرق للآلات الزراعية في أحواضهم، أو لصعوبة الوصول لبعض المدرجات، وأما المزارعين في أسفل الجبل ربما استخدم الكثير منهم الآلات الزراعية الحديثة في عملية الحرث والسقي.

فأما الأدوات البدائية المستخدمة في الزراعة في الماضي فتتمثل في: -

- المُضْمَدَة: وتصنع من الخشب، وتوضع على رقاب الثيران لجر اللّوْمَة.

- ((اللّوْمَة: وتصنع من الخشب والحديد وتستخدم لحرث الأرض عن طريق وضع رأسها في الأرض وتجرها البقر.

(١) د.الزوكه،محمد خميس.كتاب جغرافية العالم العربي.دار المعرفة الجامعية.١٤٢٥هـ.ص٨٣.

- المِسْحَاة: وتستخدم لحفر الأرض وتتكون من الحديد على شكل مربع أو مثلث ولها فتحة يوضع فيها عود من الخشب.

- المدمس: ويستخدم لتسوية الأرض بعد حرثها))[1].

- المَحش: وهو آلة حادة كالجنبية، تصنع من الحديد ولها يد من خشب، وتستخدم لحش الزرع الكبير.

- الشريم: وهو عبارة عن آلة حادة كالقوس، تصنع من الحديد ولها يد من خشب، ويستخدم لحش الزرع الصغير.



الأدوات الزراعية المستخدمة في مراحل الزراعة

وعملية الزراعة تبدأ بتنظيف الأرض من الحشائش والشجيرات الطبيعية عديمة الفائدة (بالشريم)، ومن التربة الزائدة (الربا) التي تتراكم بسبب السيل والهواء ثم تعمل (تحرث) العملة الأولى وتسمى «فض» للقضاء على عروق الحشائش والأشجار التي تنبت بها، والعمل يتم باستخدام المحراث الذي يُجر بالثيران لحفر التربة. ثم تأتي بعد ذلك الحرثة الثانية وتسمى «خليع» وهي تعطي التربة نعومه وتتمكن المياه من

(١) القرني، عبد الله محمد. سبت العلايا. مطابع جامعة الملك سعود. ص٩٠. بتصرف يسير.

النزول في الأرض، ثم تدمس الأرض بـ«المدمسة» حتى تساوى الأرض تماماً. بعد ذلك تأتي الحرثة الثالثة وتسمى «الجليب» وهي مرحلة ذري الذرة بعد حرث الأرض بـ«الحراثة» بواسطة الثيران وتكون على شكل خطوط متباعدة يذري فيها الذاري الحب مثل: البجيدة أو الذرة البيضاء أو الحمراء أو الدخن(والتي تزرع في الصيف) أو البر أو الشعير أو البلسن«العدس»(والتي تزرع في الشتاء)، وتبقى حتى ينبت الزرع ويرتفع عن الأرض بحوالي ٢٠سم، ثم تغطى أقدام الزرع بالتراب ثم يدمس التراب بـ«المدمس»، وهذا يعطي ليونة للأرض حتى يتمكن الزرع من الدخول في الأرض، ثم إذا ارتفع الزرع بمقدار نصف متر، يحرث ما بين «التلامين» أي ما بين مواضع الذرة الطولية السابقة وتسمى «الشتو«.



يظهر الحامي في الصورة مستخدماً المرجمة لمنع أسراب الطيور من التعرض للحب

وعندما يثمر الزرع تأتي عملية رعاية الزرع والحماية من الطيور التي تهاجم عذوق الزرع للحصول على الطعام، فيضع صاحب المزرعة عشة بوسط أو بالقرب من المزرعة يتواجد بها الحامي والعشة تحمية من أشعة الشمس، ويقوم بدوره في حماية الزرع من الصباح وحتى الغروب مستخدماً «المرجمة» وهي عبارة عن حبل له جانبان

وبوسطه موضع للحجارة يرشق به الحامي الطيور التي تغير على الزرع. كما يستخدم صاحب المزرعة «الخيال» وهو عبارة عن قطع من القماش توزع على المزرعة لإخافة الطيور وإيهامه بوجود شخص في المزرعة.

وعند حصاد الزرع يستخدم «المحش» لصرم سيقان الزرع، ثم توضع على الأرض وتسمى «مساطير»لعدد من الأيام وبعدما ييبس الزرع يأتون الصرامة لقص عذوق الحب من القصب. وتؤخذ العذوق وتوضع في موضع نظيف يقال له «الجرين» بالقرب من المنزل، وتترك حتى تيبس تماماً، ثم تداس بالثيران، وبعد ذلك يصفى الحب ويخزن في المنزل. وأما القصب فيجمع على شكل حزم ثم يوضع في بيت للقصب والحيوانات يقال له «الصفة» يخزن فيه القصب ليستخدم بعد جفافه جيداً كعلف للحيوانات. وغالباً ما يكن النساء هن من يقمن بعملية الصرام ويقمن بترديد أبيات من الشعر للتحفيز ومواصلة العمل و النشاط.

يقول النعمي نقلاً عن محمد حسن غريب الألمعي في كتابه أصول قبائل عسير: «ولعل الحضارة الزراعية التي كانت قائمة من مدرجات وغيرها والتي تملأ المنطقة (عسير) من قيعان الأودية حتى أعلى المرتفعات لتدل على أن المنطقة كانت تضم كثافات بشرية كبيرة، وقد سماها (بعض العلماء) بلاد سبأ الثانية.. قلت: (محمد حسن الألمعي): ولا مراء في أن تلك المدرجات التي تتزين بها الجبال لتدل على قوتهم- أهالي منطقة عسير- وتعكس مدى ذوقهم وخبرتهم بالأرض، وتوحي للمتأمل بأن الأيدي التي بنتها أيدٍ موغلة في الحضارة والتاريخ» الألمعي، محمد حسن غريب ، أصول قبائل عسير ، من إصدارات نادي أبها الأدبي ، ص٢٩-٣٠..

وتتوزع المدرجات أو الأحواض الزراعية بجبل ضِرْم بقرى الجبل كالقفيل والفي، والزرايب، والشرف والعتبه والقراة والخضاريات والمقرا وثمران وغيرها من

قرى الجبل، وقد كانت في الماضي تفيض بالحاصلات الزراعية كالبن والتفاح والخوخ والفرسك والعنب والزيتون والتين والبرشوم والرمان والتبغ، والحبوب كالقمح والذرة والشعير والدخن والزعر والسمسم، وكافة النباتات العطرية، ذات الروائح الزكية كالكادي والورد والعرقة والشيح والبرك والريحان والحناء، وقد كانت بشكل أكبر منها اليوم.ولا زال من أهالي الجبل من يمارس زراعة تلك المحاصيل بالإضافة إلى أخرى كالجوافة والمنقا والموز واللوز، وأما التبغ فبفضل الله ثم بفضل الوعي الديني السائد اليوم لم يعد هناك من يقوم بزراعته.

وهناك العديد من الأحواض الزراعية التي أصبحت أراض بور، فقد انتقل أهلها إلى المدن والمراكز التي تتوفر بها سبل العيش الرغيد والمستقبل الزاهر، ولازال بعض من بقي من الأهالي يحيي أراضيه الزراعية، إلا أن دور هذه الأحواض المزروعة غير رئيسي فيما نرى في جبل ضِرْم؛ بسبب توفر المحاصيل في الأسواق بتكلفة أقل وبأنواع مختلفة، وإن كان من شيء فهو للاستخدام المنزلي ولكنه بشكل غير ثابت.

يقول الدكتور عبد الرحمن صادق الشريف: «ومن أقدم القبائل العربية التي استطاعت استنبات الأرض والاستقرار حولها، أولئك الذين سلكوا في تجوالهم – ابتداءً من اليمن – الطريق الجبلي.إذ اقتضت طبيعة الأرض أن تكون حركتهم بطيئة، وأن يكون اتصالهم بالفئات الأخرى صعباً، وفي نفس الوقت كان تحولهم إلى الزراعة مجدياً؛فسكنوا الجبال وآثروا الانعزال انتظاراً لجني محاصيل الإنتاج، ومع الزمن أطلقوا أسماء قبائلهم أو فروعها على المواقع كالوديان والجبال، ثم على القرى والمدن ومواقع المياه.وبقى التوزيع القبلي والعادات والعلاقات القبلية هي السائدة في تلك المواقع..»[١].

(١) أ.د الشريف، عبدالرحمن صادق.جغرافية المملكة العربية السعودية،الجزء الثاني إقليم جنوب غرب المملكة.دار المريخ.طبعة قديمة.الرياض.ص٥٣.(مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).



موعد الصرام وقد وضع الزرع على هيئة " مساطير"كما يقول الأهالي



حوض يزرع فيه العنب



شجر البرشوم بقرية الفي



شجر الرمان



حقول الذرة البيضاء



ذرة بيضـــاء



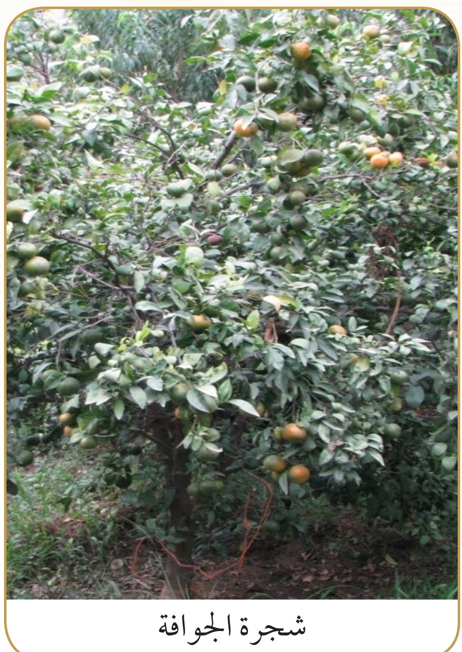
شجر البن الضرمي



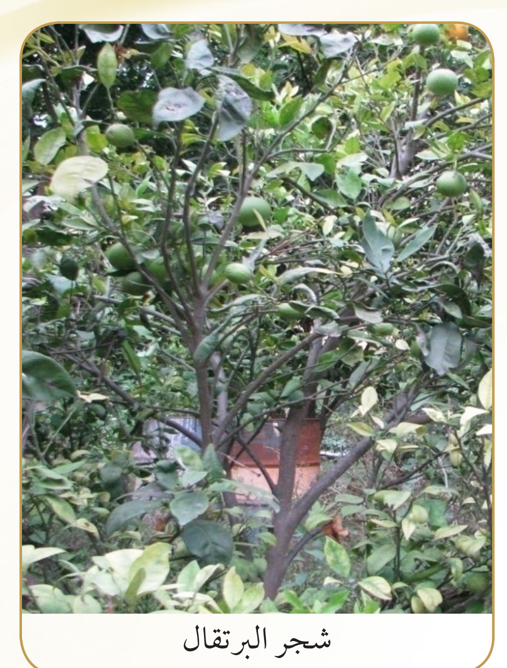
شجر المنقا



شجر الموز



شجرة الجوافة



شجر البرتقال



اللوبيا (الدجر)



ثمر التين والعنب والكمثرة

الرعي

قال تعالى: ((وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (٧))) سورة النحل.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم! كنت أرعاها على

قراريط [١] لأهل مكة»[٢].

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنا مع النبي ﷺ بمر الظهران ونحن نجني الكباث [٣] فقال النبي ﷺ: «عليكم بالأسود منه ». قال فقلنا يا رسول الله: كأنك رعيت الغنم؟ قال: «وهل من نبي إلا وقد رعاها؟»[٤].

تعتبر حرفة الرعي من أهم الأنشطة الاقتصادية التي مارسها الأهالي في الماضي إلى جانب الزراعة، وقد ساعد على قيام تلك الحرفة وفرة المياه ووجود الغطاء النباتي بكثافة بجبل ضِرْم، فقد وجد فيه الأهالي المساحات الرعوية الواسعة التي تنطلق إليها حيواناتهم الرعوية من أغنام «ضان- ماعز»، وماشية «بقر- إبل» مع الرعاة الذين يعتنون بها منذ الرواح في الصباح الباكر، وبعد الإفطار حتى قرب صلاة المغرب.

وهذه الحيوانات الرعوية تختلف من حيث الحجم فيأتي الماعز في الدرجة الأولى عدداً، ثم الضأن، ثم البقر، ثم الإبل. أما الماعز فنجد أنها في الترتيب الأول لدى أهل ضِرْم لوجود الغطاء النباتي والمساحات الواسعة التي تلبي حاجة وطبيعة قطعان الماعز. وأما الضأن فتوجد بأعداد أقل من الماعز، وهي غالباً ما ترعى بالقرب من المنازل في الأحواض القريبة، بخلاف الماعز التي تنطلق بعيداً في الجبال ثم تعود قبيل الغروب. وأما البقر فتكون أقل حجماً فيمتلكها كل أهل منزل، فهي من الضروريات لاعتمادهم عليها في إنتاج اللبن والسمن وهي تُترك ترعى في الجبال والأودية، وإن كان منها الحلوب وقريبة الولادة تُجلب لتبقى بالقرب من المنزل، ويطرح لها الطعام المناسب ويعتنى بها ليستفاد من حليبها، ويأتي بعد ذلك الجمال من حيث الترتيب،

---

(١) قراريط: جمع قيراط، والقيراط جزء من أجزاء الدينار.

(٢) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإجارة ٣/ ٤٨.

(٣) الكباث: النضيج من ثمر الأراك، والأراك شجر معروف طيب الريح، يستاك به.

(٤) الإمام مسلم، صحيح مسلم ٣/ ١٦٢١ حديث رقم (٢٠٥٠).

ونادراً ما يمتلك الأهالي الجمال، لغلاء أسعارها، وهي قديماً عند القلة من رجالات القبيلة، ممن يمتلكون المال والثراء.

وهذه الحيوانات الرعوية تتعدد صور الاستفادة منها، فبالإضافة للاستفادة من لحومها وحليبها، يتم إنتاج السمن واللبن من حليبها، ويستفاد منها في عمليات الزراعة كالثيران، وفي النقل وحمل الأشياء كالإبل. كما يشتغل سكان الجبل بالبيع من تلك الأغنام والماشية في الأسواق المحلية، فيكون منها العائد المالي.وتعتبر المتاجرة في الحيوانات الرعوية من أهم وأنشط الأنشطة الاقتصادية التي يمارسها الأهالي في ضرم، وهي مصدر الدخل الرئيسي للعديد من سكان الجبل، ونجد غير المقيمين بالجبل حالياً، كبعض المقيمين بالمدن من الأهالي يملكون حظائر بالقرى، وهم إما هواة أو مستثمرون في حرفة الرعي، يملكون كمّاً كبير من الماعز والضأن أو الإبل أو البقر، قد أعدوا لها الحظائر، واستقدموا بعض الوافدين ليعتنوا بتلك القطعان، وليقوموا بوظائف الرعي والتربية، والملاك أولئك يستغلون عوامل الجبل الطبيعية من غطاء نباتي كثيف ومصادر مياه.وهم يترددون إليها في أوقات الإجازات أو في غيرها، وقد يوظفون بعض الأهالي المقيمين بالقرى للإشراف والمتابعة عند غيابهم، ويكون ذلك بمرتب شهري، فبالإضافة لهواية البعض منهم نجد البعض الآخر يرى في النشاط إستثماراً مربحاً.

وتعد منطقة تهامة والجبال التهامية هي المصدر الأول الذي يلبي حاجة السكان من الأغنام والماشية في الأسواق المحلية بمنطقة عسير، وذلك لاستمرار الأهالي بممارسة حرفة الرعي نتيجة لتوافر الغطاء النباتي وكثرة الأمطار، وجودة وصلاحية تربة تهامة الخصبة.

إنتاج السمن واللبن

يحلب الحليب من البقر أو الغنم عند الغروب وبعد عودة الحيوانات من المرعى، ويوضع الحليب في قدر يسمى «المروبة» إلى الصباح ثم يوضع في المخاض «الشكوة» والتي تصنع من جلد الماعز(وله بديل الآن يسمى المخاضة وتصنع من التوت)، ويخض الحليب في «الشكوة» حتى يتجمع الزبد ثم يستخرج ويوضع في إناء يقال له «المجمعة» - نسبة لتجمع الزبد فيه-، وبعد تصفية الحليب من الزبد واستخراجه يتبقى اللبن ويصبح صالح للاستخدامات المختلفة.تبقى الزبدة في «المجمعة» ويضاف إليها ما يستخرج يومياً حتى تتعبأ «المجمعة» ثم يعمل السمن بالطريقة التالية:

لإنتاج السمن يوضع الزبد في قدر على نار هادئة حتى يغلي، وتوضع كذلك حجرة معدة على نار حتى تحمر، ثم توضع الحجرة في دقيق معد حتى يحمر، ثم توضع الحجرة والدقيق على السمن في القدر، ويختلط ببعضه حتى يستوي ثم يترك حتى يبرد، وبعد ذلك يصفى السمن الصافي لوحده، ويبقى «الحثل» وهو بقيت الدقيق الثقيل، ويسمى كذلك «الخلاصة»، ويمكن أن يستخدم مباشرة في أغراض الطعام.

نسب الحيوانات الأليفة:

داخل المنازل ٥ ٪

حظائر ٩٠ ٪

غير موجود ٥ ٪ (١)

---

(١) تقرير خطة عمل مركز الرعاية الصحية الأولية بجبل ضِرْم لعام١٤٢٨هـ،ص١٣.



مجموعة من الأبقار



قطيع من الماعز يرعى بين المدرجات الزراعية



كلب مُعلم يرفض الاقتراب من قطيع الماعز الذي يحرسه

تربية النحل وإنتاج العسل

قال تعالى: ((وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون.ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس. إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)) [١].

يشتغل أفراد من أهالي جبل ضِرْم بتربية النحل وإنتاج العسل الجنوبي بأنواعه كعسل السدر والشوكي (من شجر الظهيان، والسيال، والسلم، والقرض، والسمر، والطلح)وعسل المجره (وهو عسل أبيض بسبب حداثة بيت العسل)، ليستفاد من عائده المالي عند بيعه أو لإهدائه أو لاستخدامه في التشافي، وفي الطعام مع السمن والخبز أو العصيد أوالعريكة.

ويتمكن مالك النحل «النحال» من العثور على خلايا النحل وملكات الخلايا وبقية النحل بالقرب من المنزل أو بالمناطق ذات الأشجار الكثيفة بالجبل أو ببطون الأودية أو بشقوق الجبل، وتكون الخلية معلقة على الأشجار أو في فتحة مجوفة، وحينها يحاول رؤية

(١) سورة النحل، آيه:٦٦-٦٩.

الملكة حتى ينقلها إلى الزنبيل الذي يحمله، ثم يقوم بحث خلية النحل والنحل لتقع داخل الزمبيل، وإذا ما تحصل النحال على النحل يتم وضعه عادةً بمنطقة تكثر حولها الأشجار، وتكون بالقرب من المنزل لتتغذى النحل من رحيق الأزهار، وليستطيع صاحب النحل من حمايتها ودفع الأذى عنها، ويهيئ النحال بيوتا للنحل تسمى «عيدان» تقص من سيقان شجر الأثب أو الثعب أو القاع أو الأبراة أو السدر، ويشترط أن تكون مجوفة من الأمام والخلف.توضع بها الملكة وبقية النحل ثم تغلق الفتحتان الأمامية والخلفية بـ«الكال» وهو غطاء للعود يصنع من الشجر أو الحجر أو الطين.

وتوجد العديد من المناحل بالقرب من المنازل في الجبل أو عند حواف الجبل، أو بالأودية، ويشترط في موضع تواجد عيدان النحل (أي بيوتها) أن تكون بمكان مرتفع ومغطى اتقاء الشمس والمطر، ويشترط توافر الأشجار التي يتغذى عليها النحل كأشجار السدر والطباق والظهيان والسيال والعرفج والسمر والسلم وغيرها.ويوفر النحالون لنحالهم الماء وربما يدعها البعض تبحث عن الماء، ويعتنون بحمايتها من كل ما يشكل الخطر من الطيور التي تأكل النحل مثل طيور السدان واللقاء وكذلك الأدبور والنمل الأحمر و الوزغ والوحر، وربما اهتموا بتوفير بعض الأدوية لعلاج الآفات التي قد تحيق بالنحل، ويقصد العديد من الزبائن مُلاك النحل في ضِرْم لشراء العسل الممتاز، ولا يأبهون بارتفاع الأسعار لاطمئنانهم بجودة العسل.

ويحدثنا العم محي بن حسين عن وظائف النحل المتعددة من خلال ملاحظته القريبة في تجربته الطويلة مع تربية النحل وإنتاج العسل فيقول:

«هناك الحاميات: وهي التي تحمي الخلية وتتعرض للمقترب منها بالقرص المؤلم.

وهناك المبردات: وتقوم بتحريك أجنحتها داخل العود أوقات الحرارة المرتفعة حتى تُبرد على الخلية.

وهناك المستطلعة: وتخرج مع الأذان (أذان الفجر)وتذهب في جميع الجهات لتبحث عن مكان وجود الأزهار والرحيق حتى إذا وجدته عادت لتخبر بقية النحل.

وهناك الملكة: وهي التي تبيض وتقود المجموعة، فإذا ماتت أو كانت عقيمة استبدلت بملكة جديدة، وعادةً ما تكون الملكة الجديدة في «المقفص» لتبقى لوقت الحاجة لأنها لا تجتمع ملكتان في خلية ».



عيدان النحل وقد ازدحم النحل عند فتحاتها الصغيرة



مجموعة كبيرة من بيوت النحل

التجـارة

عرف أهالي جبل ضِرْم التجارة منذ القدم، من خلال بيعهم لبعض المنتجات كالماشية والأغنام والحبوب، وغيرها في أقرب الأسواق لهم، كسوق «خميس مطير» و«ثلوث المنظر» و«ربوع الجبالية» (جنوب جبل هادا) بتهامة، و«سوق الاثنين» في السراة، وسوق «الفاضية» بضِرْم.

وقد كان القادم للسوق ينتظر حلول قدوم يوم التسوق، ففي يوم الخميس يقام السوق في خميس مطير، وفي يوم الثلاثاء يقام سوق الثلاثاء بثلوث المنظر، وفي يوم الأربعاء يُقام سوق ربوع الجبالية جنوب جبل هادا، وفي يوم الإثنين يقام السوق باثنين بَلْلَّسْمَر، ويفد إليها أهل ضِرْم لبيع ما يحملون من سلع وبضائع، أو لشراء ما ينقصهم.

ويلعب السوق قديماً أدواراً سياسية واجتماعية ودينية إضافة إلى التجارة، فتقام فيه الحدود على المجرمين، وتعلن فيه الأخبار، وتلقى المواعظ ويدعى فيه بنزول المطر، ويلتقي فيه الأصدقاء، فيتبادلون أخبار بعضهم البعض، وأخبار الثمار، ويتساءلون عن الأهل والأولاد، وهو مكان لإعلان الثأر والانتصارات القبلية، أو لمدح قبيلة لموقف مشرف فعلته أو هجاء أخرى.وقد تستخدم الأسواق كمكان للمشورة، وفض المشكلات والمنازعات(١).

ولا بد على القادم إلى السوق أن يعي ما دار في السوق من أخبار، وأن يحيط بالأسعار، فالجميع بانتظاره ليخبرهم بما جرى وبالأوضاع هناك، سواء من أهل ضِرْم أو من يجده في طريق عودته من غيرهم.ويبدأ السوق من الصباح إلى قبيل المغرب، ويفد إلى هذه الأسواق القبائل من المنطقة والمناطق المجاورة والتجار من مختلف الأماكن.

(١) د.جريس،غيثان علي،عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية،الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.ص١٦٩.

وكانت كثير من السلع تعرض في هذه الأسواق..من البلدة نفسها أو من القرى القريبة أو البعيدة، وتعرض فيها المنتجات من «المواد الغذائية والجلود والماشية، والعسل والألبان والأعشاب وبعض المنتجات اليدوية من الخصف والصوف والأواني الفخارية وغيرها.

أما السلع الأخرى مثل الأقمشة والعطور والبهارات والصابون والملح والكبريت.. فكانت القوافل تأتي محملة - بها-.. من الخارج للبيع لأهل المنطقة في الأسواق المختلفة، ثم تحمل ما تنتجه المنطقة من الحبوب والجلود والعسل[1].

وقد استخدمت في هذه الأسواق عملات.كالريال الفرنسي [أبو بلسنة أو أبو طيرة] وكذلك العملة التركية التي جاءت مع الحملات، والجنيه الإنجليزي والعثماني إضافة إلى ما يعرف بالمقايضة كأن يأخذ سلعة بسلعة أخرى[2]. وهناك مكاييل للحبوب والبن والسكر تسمى المد (والنص) والرُبعة والصاع والثمنة بل قد تستخدم قبضة اليد (الكفين) وتسمى الحفنة فيقال مد وحفنة مثلاً والفَرَق وهو اثنا عشر مداً، وللوزن يستخدم الكيلو والأقُية (والرطل)، ولقياس الأطوال الشبر والذراع والباع والفتر والهنداسة[3].

وفي الوقت الحاضر لا زال بعض المتواجدين بجبل ضِرْم يتاجرون في بيع الحيوانات من ماشية وأغنام وبيع العسل، ومنهم من يملك العقار ويتاجر فيه، وقد انتقل كثير من سكان الجبل إلى مركز خميس مطير للقرب من الخدمات الكثيرة المتوفرة فيه، والتي تفتقد بالجبل، كقرب المدارس في المراحل التعليمية للبنين والبنات، ووجود الأسواق والهاتف والمياه، وساعد ذلك على انخراطهم في التجارة بمراكز خميس مطير

---

(١) كتاب أبها. المنطقة الجنوبية. ص٢٤٢.

(٢) الأسمري. عبد الله بن حسن. بَلْلَّسْمَر. طبعة جامعة الملك سعود.ص٨٤-٨٣.

(٣) الأسمري. عبد الله بن حسن. بَلْلَّسْمَر. طبعة جامعة الملك سعود . *والهنداسة:قطعة حديد مثل التي يستخدمها أصحاب الأقمشة ولكنها أطول من المتر قليلاً.

وثلوث المنظر وبمحافظة محائل، كما أن هناك من ذهب إلى المدن، واستطاع الكثير منهم أن يستثمر في التجارة.

الوظائف الحكومية

نستطيع أن نقول بأن الوظائف الحكومية هي من أكثر الأنشطة السكانية التي ينخرط بها أبناء جبل ضِرْم، فيعمل أبناء جبل ضِرْم اليوم في الأعمال الوظيفية والأجهزة الحكومية، وقد اتجه الكثير منهم إليها، لأنها. ذات دخل ثابت منتظم يضمن لهم حياة أفضل ومكانة اجتماعية أرفع، وحالة نفسية أكثر استقراراً[1]. خاصة بعدما توفر التعليم، وأصبح الكثير من الشباب يحمل المؤهلات العلمية التي تمكنه من الحصول على الوظيفة، فمنهم من يعمل في حقل التعليم ومنهم من يعمل في الصحة، ومنهم مَنْ يعمل في السلك العسكري، وغيرها من المجالات والوظائف الحكومية والأهلية الأخرى.



(١) القرني، عبد الله محمد. سبت العلايا. طبعة جامعة الملك سعود. ص٥٢.



الفصل الثامن

الناحية الاجتماعية

- الأسرة والقبيلة
- العادات والتقاليد



المبحث الأول:
الأسرة والقبيلة

الأسرة هي الخلية التي تقوم ببناء المجتمعات، وقد كانت في الماضي أكبر حجماً منها اليوم، فقد كانت تضم الأب والأم والأبناء والبنات، وزوجات الأبناء والأحفاد، وربما أزواج البنات، ويعيشون تحت سقف واحد، ويأتمرون ويطيعون لقائد، وهو رب الأسرة أو ما يسمى كبير الأسرة.وقد كانت ظروف الحياة الصعبة، وقلة الدخل سبب لاجتماعهم وعدم تفرقهم، حتى يتمكنوا بتعاونهم من العمل بالزراعة والرعي، وإيجاد الدخل الذي يسير شؤون حياتهم.

ولعل بقاء الأبناء بعد زواجهم في منزل الجد أو الأب، عادة اجتماعية لها قداستها ما بقي الجد أو الأب وما بقي الأخ الأكبر، فقد اعتادوا لهم من الصلاحيات والمكانة ما يجعلهم تحت إمرتهم وطاعتهم ورهن رؤاهم ونظرتهم.

وكان كبير الأسرة في الماضي هو المسؤول عن الأسرة، من حيث الإنفاق على أسرته صغارهم وكبارهم وكسوتهم، وتوفير احتياجات الزواج والختان، فيدفع المهر ويتولى تكاليف المناسبات، وهو المسؤول عن تزويج البنات والأولاد أو حل مشكلاتهم، وكانت مسؤولية كبير الأسرة هذه تبقى حتى وفاته، فيكلف بها الابن الأكبر وتناط به التكاليف، ويُحفظ له الاحترام والتقدير والهيبة التي كانت للجد أو الأب.

واليوم يتفرق الأبناء بسبب ظروف الحياة المعاصرة، ويستقل كل أحد منهم ليشكل هو وزوجته وأبناؤه أسرة مستقلة، فتكون أصغر حجماً من الأسرة في الماضي، ويبقى لكبير الأسرة مكانته وقيادته واحترامه، ولكنه يفقد كثير من صلاحيات الماضي.

وتختلف الأسر في الحاضر والماضي وتتفاوت في الكبر والصغر، ويتكون من مجموع الأسر القبيلة.وطابع مجتمع جبل ضِرْم هو الطابع القبلي، وهو يتكون من قبائل، ولكل قبيلة شيخ أو نائب، وعادةً ما يكون من أسرة معينة يتوارثها أبناؤها،

ويبقى للقبيلة التدخل في اختيار ابن من أبناء هذه الأسرة، ممن يتصفون بحسن السيرة والحنكة والذكاء والحكمة في التعامل مع الدولة، و الناس والقبائل والظروف والمشكلات، والأسرة لا تنوب من أبنائها من ترفضه القبيلة.

ويكون دور النائب بتكليفه في السعي لجمع القبيلة، وتمثيلها في المناسبات، وتمثيلها أمام الدولة، فيكون حلقة وصل بين الحاكم الإداري أو المسؤول وبين القبيلة، ولا يكون دوره الترأس على أفراد عشيرته فقط.

وفي الماضي كان يرأس مجموع مشايخ أو نواب القبائل والقرى «شيخ الشمل»، وكان يقوم بأدوار ووظائف مختلفة، وكانت مشيخة الشمل في قبيلة بَلْلَّسْمَر قبل توحيد البلاد على يد المؤسس الملك عبدالعزيز رحمه الله منقسمة على مشيختين، فقد كانت بتهامة مشيخة شمل، وفي السراة مشيخة شمل أخرى. يجمع هاتين المشيختين مجلس الثمانية، وهو مجلس يضم ثماني ممثلين عن كافة قبائل بَلْلَّسْمَر من الشيوخ والأعيان، يتم من خلاله التحاور والتشاور في كثير من القضايا والشؤون الداخلية والشؤون الخارجية. ويكون لشيخ الشمل وشيخ المشايخ أدوار عديدة يقوم بها خدمة لقبائله وقُراه. منها: الإصلاح بين الناس واستخدام الوجاهة كوسيلة في التوسط بين الأطراف المتخاصمة، وإقامة الحدود والعقوبات، وجمع الزكاة، وتمثيل القبائل، والتواصل مع مشايخ قبائله والأعيان، ومع مجلس الثمانية بالقبيلة، والتواصل مع مشايخ القبائل الأخرى، والتواصل مع أمير المنطقة.

وقد كانت مشيخة شمل قبائل تهامة بَلْلَّسْمَر قديماً في أسرة آل شفلوت من قرية الشرف بجبل ضِرْم، وقد كانت في السراة متنقلة حتى استقرت في أسرة آل دعياء من قرية المضفاة، وبعد توحيد البلاد على يد المؤسس الملك عبدالعزيز رحمه الله عُين الشيخ عبدالله بن علي بن جرمان شيخ شمل قبائل بَلْلَّسْمَر كافة، واستمر ذلك حتى عام ١٣٩٠هـ.

المبحث الثاني:
العادات والتقاليد

تقاليد الضيافة والكرم:

عُرِف عن العرب حبهم للكرم وحرصهم على الاتصاف بخصلة الكرم في الجاهلية، وقد جاء الإسلام ليبقي وليؤكد على خصال الخير ومنها الكرم، وليحذر من خصال وصفات الشر، قال تعالى « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه» سورة سبأ [1].
وقال تعالى «وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم» سورة البقرة [2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير؟ قال «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» متفق عليه.

تطعم الطعام: على وجه الضيافة أو الصدقة أو الهدية ونحو ذلك[3]. وقد أفاد الحديث الحض على الإنفاق الممدوح، وهو كما قال النووي: الإنفاق في الطاعات وعلى العيال والضيفان والتطوعات[4].

وقد مَدَحَ العرب في أخبارهم الكرم والكرماء، وذكر في ذلك الروايات، ودونت الصفحات.

---

(١) آية٣٩ .

(٢) آية٢٧٣ .

(٣) الخن،الدكتور مصطفى سعيد وآخرين.كتاب نزهة المتقين شرح رياض الصالحين.المجلد الأول. مؤسسة الرسالة .الطبعة السادسة والعشرون.ص٤٠٣.

(٤) الخن،مصطفى سعيد وآخرين.كتاب نزهة المتقين شرح رياض الصالحين.مؤسسة الرسالة . الطبعة السادسة والعشرون.ص٤٠٢.

قال الشاعر:

ونـكــرم ضيفنا ما دام فـينـا   ونتبعهُ الكرامة حيثُ مالاَ [1]

وقد درج بين رجال الحجر المثل القائل « بَلْلَّحْمَر أهل الشجاعة، وبَلْلَّسْمَر كرام، وبنو شهر حكماء، وبنو عمرو فقهاء».فقد وصفت قبيلة بَلْلَّسْمَر بغلبة الكرم عليها، وهم كرماء يبتهجون عند رؤية الضيف، ويتسابقون على ضيافته، ويعتنون بضيوفهم.

وقد ذكر الشاعر حسن بن حطام الأسمري -رحمه الله- من عقلاء جبل ضِرْم بَلِّسْمَر يمتدح كرمهم:

بَلْلَّسْمَر أهل الملازم بالـمـروة   للضيف صبيان الكرم والجود

وللقوم في قرى الضيف مراسم وتقاليد، فقد جرى قديماً أن الضيف عندما يقدم على المضيف، تستقبله القبيلة في المسجد أو في موقع يقال له «المرحب» وهو مكان معروف في القرية، أو في أقرب الأحواض الزراعية الواسعة المقاربة لمنزل المضيف، فيقدم الضيوف بأهازيج العرضة وحركاتها يثنون على المضيف وقبيلته، ويصطف المضيف وأفراد قبيلته الذين يحضرون سنداً ومعونة لصاحبهم وفرحاً واحتفاءً بالضيوف، فيصطفون في أحسن الملابس، وقد تحزموا بالخناجر والجنبيات، حتى يقترب الضيوف، فيتوقفون ويتقدم كبيرهم ـ الضيوف، ويتقدم المضيف وكبير القبيلة واثنان آخران، فيرحب كبير القبيلة بالضيوف بقوله: « ارحبوا يا رجال ارحبوا»، فيرد الضيوف بشكل جماعي: (سلمتم السلام عليكم)، فيرد المستقبلون قائلين: (وعليكم السلام والرحمة)، فيتقدم أحد الضيوف لإلقاء «الردودة» وهي عبارة عن كلمة يبدؤها كبير الضيوف بحمد الله والصلاة على نبيه ﷺ ثم يبين الهدف الذي وصلوا من أجله. فإن كانت المناسبة زواجاً أو ختاناً - كما في الماضي-، قاموا

(١) الهاشمي،السيد أحمد.جواهر العرب في أدبيات وإنشاء لغة العرب.دار المعرفة.الطبعة الأولى. ص٩٠٤.

بتقديم مبلغ مالي، ثم يختم ردودته بعبارة: «هذا من قد سيرنا وسلامتكم».فيرد عليه كبير القبيلة بالترحاب بألفاظ مختلفة والشكر، كقوله: «مرحباً ألف» و«مرحباً عداد السيل» و«مرحباً عداد الحيا».فيقابل الضيوف بالبهجة والسرور وحسن الاستقبال وطيب الكلام، ومن ثَمَّ يقدم المضيف الضيوف إلى المجلس فيجعلهم في صدره، وهم يطرونهم بالثناء والمدح، ويقابلونهم بالبشاشة والبشر، والحفاوة والخدمة، وتقدم لهم القهوة العربية، وأنواع التمور، ويتبادلون الأحاديث، ثم ينتقل المضيف بضيوفه إلى مجلس خاص، أُعِدَّ لهم فيه صحاف المقرص والسمن والعسل واللحم، فيتغذى الضيف ومن معه حتى إذا انتهى أشعر المضيف بقوله: «زادك، زادك الله من فضله»، فيلح عليهم المضيف وكبار القبيلة بالزيادة، ويعتذرون عن القصور، ثم ينتقل بالضيوف إلى المجلس، ويقدم المضيف أفراد قبيلته على الموائد.كما يقدم للضيوف بعد صلاة المغرب العشاء وهو من الرز واللحم «الكبسة» حتى إذا فرغوا من الطعام اجتمع كبير القبيلة بأفراد قبيلته لتشاور في أمر الضيفان. ومن ثم يكلف البعض بإبداء رغبة القبيلة في تقديم الضيافة الجماعية للضيف «أو الضيوف» ويعبر عن سعادتهم بتحقق هذا الطلب، وإذا لزم الأمر قاموا برمي غترهم وعقلهم أمام الضيوف، فيقوم الضيوف بإعادتها على رؤوسهم، ومن ثم يخبر بالموافقة أو الاعتذار، وقد تمارس الألعاب الشعبية مع الضيوف في العصر وبعد وجبة العشاء، كما قد تمارس منافسة في الرماية بعد استقبال الضيوف وتناولهم القهوة العربية.

وقد كانت الضيافة في الماضي تستمر لثلاثة أيام يقتسم فيها أفراد القبيلة ضيوفهم ويحسنون ضيافتهم وخدمتهم، بعد استقبالهم في منزل المضيف الأول.

وللضيف حقوق منها:

١. دعوته المباشرة وإظهار الحرص على استضافته لإزالة الحرج عنه.

٢. الحفاوة بالضيف وإظهار التقدير له وإجلاسه في صدر المكان والبشاشة في وجهه وخدمته ومؤانسته.

٣. إكرام الضيف وتقديم كل ما لدى المضيف من إمكانيات لضيفه على حسب قدر هذا الضيف.

٤. ألا يسأل الضيف عن اسمه أو حاجته أو جهة سفره أو مدة إقامته.

٥. حماية الضيف أثناء إقامته وبعد رحيله[١].

وهذه حقوق للضيف يُعتنى بمراعاتها، وهي مسلمات عند أفراد العشائر تؤخذ بعين الاعتبار عادةً.

تقاليد الزواج:

يمر الزواج بمراحل، أولها: البحث عن المرأة، وثانيها: الخطبة والمهر، وثالثها: مناسبة الزواج وما يتعلق به.وقد كان الأجداد في الماضي يحرصون على تزويج أبنائهم خوفاً عليهم من مغبة العزوبة، وحرصاً على الحفاظ على مجتمعهم من انتشار الفساد، وقد كان الزواج في الماضي من أيسر الأمور، لم يكن فيه تكلفة، وكان انتشاره بارتفاع أمر معلوم مقارنة بالحاضر، فما أكثر تسامع الناس بخبر الزواج.وقد كان الرجل يتزوج بقطعة قماش أو بشمله أو بعباءة، أو بشاة، أو ببقرة أو قرش أو قرشين. وقد جاءت فترات متأخرة ارتفعت فيها المهور، وأدى ذلك بالعديد من قبائل جبل ضِرْم إلى تحديد المهور، وغالباً ما يكون فيما إذا كان الزوجان من أبناء القبيلة، ويختلف الأمر بالنسبة لمن يأتي من خارج القبيلة، فحدد عند أكثر القبائل بـ٤٠ ألف ريال.

ويتعين على الراغب في الزواج أن يبحث عن المرأة، وربما كان ذلك بواسطة الأهل، هذا إن كانت المرأة من الأقارب أو القبيلة.

---

(١) آل حامد، عبد الرحمن بن عبد الله. العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، من إصدارات نادي أبها الأدبي٣٢٠-٣٢١.

وإن كانت المرأة من قبيلة أخرى، قام الرجل بالسؤال عن المرأة وأهلها من خلال الوسطاء ومن يعرفهم، فيسأل عن دينها وغير ذلك ، ومن ثم يتمكن من التعرف على مخطوبته، فإن قبلها، جاء دور أهل المرأة في السؤال عن دين الرجل وخلقه وسيرته في مجتمعه، عن طريق المعارف، أو أقارب الرجل والوسطاء، ومن ثم يرد على الرجل بالموافقة أو الرفض وللمرأة كامل الحرية في قبول الرجل أو رفضه، ولا تلحق بلوم أو تثريب، كما يحدث ذلك عند بعض قبائل الجزيرة، والتي ربما لا يشاور ولي المرأة المرأة، وإنما يفرض على المرأة القبول. وقد يكون للولي صلاحية الرفض إذا علم من الرجل ما يجرح في عدالته، أو ما يعرف من سيرته، وهذا مقبول لدى الجميع.

وبعدما يصل الرد بالقبول للرجل، يستعد للحضور إلى منزل ولي المرأة، بمرافقة والده أو أحد أقاربه، ويتم استقبالهم بالبشاشة والحفاوة والترحاب كعادة أهل ضِرْم في حسن الضيافة.ويتاح للخاطب فرصة النظر للمخطوبة، ومن ثم الاتفاق على المهر، وهو ما يسمى (الصلح) ، وقد يعقد القران في تلك الليلة بحضور مطوع القرية، أو الفقيه، ويقدم ولي المرأة ما يستطاب من الطعام في تلك الليلة، ويحدد مع أنسابه ليلة يعلم فيها ارتباط فلان بكريمته فيما يسمى (الملكة)، ويحضر فيها أهل الرجل، وأقاربه، ويولم والد المرأة لضيوفه بذبيحة أو ذبيحتين لإشهار العقد، وتحتفل المخطوبة في ذلك اليوم مع النساء. ويتعين على الرجل في فترة ما قبل الزواج كسوة زوجته وإهداء الهدايا لوالديها.ويتفق ولي المرأة مع الخاطب على موعد الزواج، وتكون تكاليف الزواج منقسمة ما بين الزوج وولي المرأة.

وفي ليلة الزواج يتقدم الرجل بوالده وإخوته وأقاربه أو قبيلته إلى مضيفيه بعد العصر بممارسة حركة (المدقال) على هيئة عرضة في أبيات يثنون بها على ضيوفهم،

ويبينون سبب قدومهم، فيقابلون بطريقة استقبال الضيف التي أخبرنا بها من قبل، ومن ثم السلام على بعضهم البعض، ويقدم لهم بدايةً صحاف مما يسمى (المقرّص) وهو عبارة عن القرص المصنوع من البر والمعروك، والذي يقدم مع السمن والعسل على عادة أهل جبل ضِرْم، ومن ثم يمارسون العرضة الشعبية وبعد صلاة المغرب يُقدم العشاء من اللحم والأرز والفواكه، وبعد العشاء تمارس الألعاب الشعبية الأخرى إلى جانب العرضة، فهي ليلة فرح واحتفال وسرور، وتكون بالنسبة للرجال يوماً واحد، وتمتد عند النساء إلى ثلاثة أيام، ويكون آخرها مع يوم الرجال، تحتفل فيها النساء، ويعشن الفرحة والابتهاج، وفي تلك الليلة يأخذ الرجل زوجته وينتقل بها إلى منزله. وأما اليوم فلم تعد للنساء ثلاثة أيام وأصبحت ليلة واحدة مع الرجال.



مناسبة زواج



إلقاء السلام وتبادل التحايا



كبار الضيوف ومشاركة صغار السن في استقبالهم

الخِتَان:

كان لأهالي منطقة عسير ولأهالي ضِرْم خاصة عادات متعلقة بعملية الختان، فعندما يبلغ الفتى سن البلوغ أو قبله بقليل يحين موعد إجراء مراسيم الختان، والختان مع مجموعة ممن هم في سنه ممن يترقبون نفس الموعد. وفي حشد من الناس يتوافدون بعد تناقلهم خبر الختان إلى الختان بالقرية الفلانية، وقد كانت هذه المناسبة ذات حضور صاخب من القبيلة نفسها والقبائل القريبة والبعيدة، إذ الختان يعني رؤية الثبات أو الخور الذي يبدو في لحظات الختان قبلة وبعده، وموعد لأداء العرضات، وأكل ما يستطاب من المطعومات.

وبين جمع غفير من أخواله وأقارب أسرته جميعاً، سواء كانوا من قبيلته أو من غيرها، يختن الفتيان أمام الأشهاد، ويردد الفتى قبل إجراء عملية الختان أبياتاً من الشعر تسمى (القاف) تتضمن مديحاً لأهله وأخواله وإظهار محاسنهم وإبداء مناقبهم، كقولهم: اختن يا ختان وأنا ولد فلان من قبيلة وعشيرة كذا – ويذكر اسم عشيرته وفخذه – أهل المدح والناموس في وقت المكربة، وأخوالي آل فلان، ثم يذكر أسماءهم.

وقد كانت تمارس في الختان صور من القسوة، عندما لا يحسن من يقوم بعملية الختان، أو عندما يضمد المختون بعد الختان بخرقة من قماش مليئة بسمن مغلي بالنار، ليتوقف نزيف الدم، وربما استمر النزف مع أحدهم أياماً، وقد كانت احتمالية الوفاة خاطرة لدى المختون، والحضور لحدوث مثل ذلك في المنطقة، وبفضل الله اضمحلت هذه العادة بعد وجود المستشفيات وارتفاع الوعي الديني والصحي.

السُّمُوَة:

عندما يولد لرجل مولود جديد يقوم بتسميته بمن يعز عليه من قبيلته أو من قبيلة أخرى، ويُخبر المسمى بهذه التسمية، فيحضر بعدد من أقاربه وبذبيحة أو اثنتين،

وبكسوة للمولود الجديد المسمى به ولوالدته، ويقوم بالدعاء له بطول العمر وحسن العمل، والتوفيق والعافية، وتتجدد هذه الزيارة من المسمى به لأهل المولود تحت حفاوة بالغة من أهل المولود، ويقدم فيها المسمى به هديةً كسلاحٍ أو مال، وإن كان من قبيلة أخرى تبقى هذه التسمية رابطة بين القبيلتين.

وعند ذكر السموة تجدر الإشارة بأن قبائل منطقة عسير تتميز عن بعضها البعض في الأسماء، فنجد أن أهل جبل ضِرْم في الماضي يشيع فيهم التسمية بـ محي و هيازع وزاهر وعامر وعوض ومشبب وغرامة وشفلوت وزايد وجابر وحسين وحسن، بينما يندر أن تجد ظافر، حمود، شار، و عوضة، وعطية، وغرمان، وظافر، ومعاضة، خلوفة.

الدَّوَل:

وهي عادة وضعت للمساعدة في ترتيب إكرام الضيف، ويُسَمَّى الشخص المكلف بتوزيع الدول «المدول»، ويقوم بدوره في تكليف رجل أو منزل من منازل القبيلة للاستعداد أو لضيافة الضيف الذي سيقدم على القبيلة. وفي حالة حضور ضيف إلى القبيلة، يتعين على من عنده الدول، أداء واجب الضيافة والحفاوة والإكرام.

وبعدما ينتهي من القيام بدوره، يقوم المدول بإخبار أحد رجال القبيلة بوصول الدول عنده، فيستعد لضيافة ضيف القبيلة القادم. وهذه العادة تدل على كرم الناس، ورعايتهم وخدمتهم لضيوفهم، كما تدل على التعاون والتشاور والنظام والمروءة والشهامة.

الفَرْقَة:

مبلغ مالي يتم جمعه من أفراد القبيلة عن طريق ضمناء الفخوذ للمصلحة العامة ولسد حاجة الأفراد في بعض الظروف عند وقوع الكوارث الطبيعية أو عند الحوادث، تقدم لمن عليه دين من أفراد القبيلة أو دم، أو لمن يكون عليه غرامة مالية

أو حصل له حريق في منزله، أو ربما يقدم من (الفرقة) مساعدة لقبيلة أخرى. وهي اختيارية عند البعض وإلزامية عند قبائل أخرى، ومن لا يتعاون يحرم من المساعدة أو تكون مساعدته في نكبته اختيارية.

الرِفْدَة:

وهي مبلغ مالي يقدم من أقارب المتزوج وأفراد القبيلة إلى المتزوج يوم الزواج، لمساعدته في زواجه.وهي تختلف بين قبائل جبل ضِرْم ما بين الإلزام والاختيار، كما أن (الرفدة) تختلف ما بين القبائل في تحديد المبلغ أو تركه بلا تحديد.

الشجاعة:

لا يختلف سكان جبل ضِرْم عن غيرهم من أهالي منطقة عسير - سكان المناطق الجبلية الوعرة - في شجاعتهم وخشونتهم وقوتهم الجسمية.فقد أكسبتهم طبيعة أرضهم الجبلية الوعرة وعاداتهم القبلية، التي تحض على الرجولة والمنافسة في ركوب الصعاب، تلك الشجاعة التي نلمسها في حب الكثير منهم للجندية، وانخراطهم في السلك العسكري في الدولة السعودية الحالية.

فقد شارك منهم عدد غير يسير في الفصول الأخيرة من توحيد البلاد مع جيوش الملك عبدالعزيز، ومع الجيش السعودي النظامي بعد ذلك، وذلك طاعةً منهم لولي الأمر، وإيماناً منهم بواجب الدفاع عن المقدسات الإسلامية، والوطن، والمال، والعرض، وتلك الصفات ورثوها من الأجداد الذين كانت لهم المشاركة من قبل في الفتوحات الإسلامية وفي دفع ومقاومة الغزاة.كما نلمس ذلك في مشاركتهم في الحروب المحلية قديماً من خلال القلاع المنتشرة في أرجاء ضِرْم. وقديماً تجد الرجل يقطع الآفاق في ظلمات الليل البهيم مصطحباً البندقية أو الخنجر أو العصا في أقل الأحوال. ثابت الجأش حاضر البأس بالرغم من انتشار الحيوانات المفترسة والضارة في بيئته، وبالرغم من وجود قطاع الطرق.

الوجـه:

وهي عادة عربية قديمة توجد لدى أغلب قبائل الجزيرة العربية، ومفادها أن الرجل قديماً عندما يتعرض لمشكلة يلتجئ إلى من يطمئن إليه من أفراد القبيلة قائلاً: «أنا في وجهك يا بو فلان»، وحينها يضمن له الحماية و استيفاء الحق، ولا يجوز للآخر أن يتعرض للرجل مادام في حمايته ووجهه، وإلا قد تحصل للمتعدي مقتله، ولا يبت المتوجه إليه في أمر إلا بعد استشارة الرجل طالب الوجه.

الجـوار:

وهي كذلك عادة عربية قديمة قريبة من عادة الوجه، إلا أن الرجل هنا يلجأ عند حصول مشكلة أو عند قيامه بتعدي ما إلى قبيلة مجاورة يلوذ بها ويطلبها الجوار، وحينها يكون في حماية تلك القبيلة لا يمكن لأحد التعرض إليه حتى يخرج من جوارهم وحدودهم.وإلا يعتبر التعدي عليه وهو في الجوار تعدي على تلك القبيلة بأسرها.

العـوض:

عوض مالي أو عيني يعوض به الرجل الذي تعرض لخسارة ما، ولو كانت تلك الخسارة في الأشياء البسيطة، فيقول الرجل للآخر المتعرض للخسارة: «أبشر بالعوض»، فيرد: «راسك العوض ».

الكسـوة:

وهي هدية يقدمها العائد من السفر أو الحج لأهل منزلة وأقاربه، دلالة على المحبة والمودة والاهتمام، وإدخالاً للسرور عليهم، وهي عادة قديمة لا يزال الأهالي في جبل ضِرْم متمسكين بها.وقد كان يُقدم في الماضي للرجال الغتر والثياب والعطورات، والنساء تكون كسوتهم قطعة من القماش والحناء وبعض العطورات، وربما مع مبلغ

مالي لأن النساء قديماً لا يمتلكن المال.

تبادل العلوم (الأخبار):

عادة قديمة بدأت تقل بين الأجيال التي لم تعش في الديرة مفادها أن الرجل عندما يقدم على صاحب الدار وبعد أن يجد الترحيب والاستقبال يبدأ الضيف بذكر علمه قائلاً: «العلم سلامتكم...» ثم يبدأ الضيف بسرد هدف قدومه وأخباره وأخبار أهله وجماعته ، وصحتهم وأخبار المكان الذي قدم منه وأخبار المطر.وبعدما ينتهي يشير إلى ذلك بقوله: «هذا قد سيرنا وعفاكم»، فيرد صاحب البيت قائلاً «تعافون»، ثم يبدأ صاحب المنزل بذكر أخباره وأخبار أهله وجماعته والأوضاع المعيشية والصحية لهم كما يخبر بالأمطار، ويكون هذا التبادل للعلوم سبب لإثراء الجلسة ولأخذ صورة متكاملة عن أفراد الجماعة وظروفهم فيكون التواصل والتوافق النفسي والاجتماعي، وقد كانت عمليات التواصل في الماضي صعبة لعدم توفر وسائل الاتصال الموجودة اليوم فتكون هذه الزيارات ذات أثر وأهمية لأنها تفيد في تلقي الأخبار والإحاطة بأحوال القبيلة، كما أنها تمثل شكل من أشكال الاتصالات في الماضي، ولا زالت هذه العادة ممارسة لدى كبار السن، وقد تكون شبه غائبة عند الأجيال الجديدة، بعد توفر وسائل الاتصال المختلفة بأنواعها.

الصلح والخسارة:

عندما يحصل شجار أو خلاف بين اثنين من القبيلة في أمر ما يتوجه أحدهم أو كلاهما إلى عقال القبيلة، ويضعون «معدال» وهو عبارة عن شيء ثمين سواءً سلاح أو مبلغ مالي، ويطلبون الصلح بينهما، ويكون على المتخاصمين بعد طلب حكم القبيلة الرضا بالحكم الذي ينتج عن الصلح. وإذا تم الصلح يُخسر المخطئ بذبح شاة أو بدفع مبلغ مالي ويطلب منه الاعتذار على مشهد من الجماعة، وإذا طلب صاحب الحق

رضوه إضافة إلى ذلك ربما يصطلح المصلحون على مبلغ مالي يقدمه الجاني إلى المجني عليه كرد اعتبار، وأما المعدال فيرد إلى صاحبه بعد الصلح.

المزاور:

مبلغ مالي يقدمه الرجال والنساء لمن يزورون من الأقرباء والأصدقاء كهدية تعبيراً عن المودة والاهتمام.

المعايدة:

تقوم الأسر بزيارة بعضها البعض في أوقات الأعياد للتهنئة والفرحة بأعياد المسلمين كعيد الفطر بعد شهر الصيام وعيد الأضحى بعد أداء الحجاج لفريضة الحج ومناسكه ؛فيجتمع الرجال بالرجال والنساء بالنساء والأطفال بالأطفال، في أحوال من السرور والفرح، ويعايد كل منهم الآخر بقولهم: «من العايدين»، فيقول الآخر: «من الفايزين ».

وفي عيد الأضحى يحضر كل منهم شيء من أضحيته في مناسبات عشاء يجتمع فيها أفراد القبيلة في ليالي العيد، واليوم أصبح الناس في المدن يجتمعون في أوقات الأعياد في الاستراحات لمدة يومين أو ثلاثة أيام يلتقي فيها أفراد القبيلة ليتبادلوا التهاني ويتشاركوا الفرحة بالعيد، وتقام فيها موائد غداء وعشاء، وقد تمارس العرضات الشعبية.

اقتناء السلاح:

هي من العادات الاجتماعية لدى أهل جبل ضِرْم، وقد جاء هذا الارتباط الاجتماعي بالسلاح نتيجة لاستخدامه في الماضي في الحروب وفي الصيد، ولارتباطه بزينة الرجل الشخصية أثناء المناسبات والاحتفالات، ولاستخدامه أثناء العرضات الشعبية للتلويح كالسيف والخنجر والجنبية، أو للرمي كالبنادق، والأخيرة عادة

تستعمل ضمن سيناريوهات استقبال الضيوف.

ومن أنواع السلاح الأبيض الذي كان يستخدم في الماضي «الخنجر» ويكون على هيئة عامودية على المحزم المعترض، و«الذريع» وتكون هيئتها معترضة، و«المعيرة» وتكون أكبر من الذريع وهي معترضة على الحزام ولها زينة من الجلد تكون مدلاة في مؤخرة الغمد، والأطفال الصغار يلبسون حزام صغير به سكين يقال لها «سبتة».

ومن البنادق التي تقتنى في الماضي «أبوفتيل أو العربية» وهي عبارة عن بندقية طويلة، و«المعشر» وهي تأخذ عشر طلقات، لذا سميت بالمعشر، و«الهطفاء»وتتميز برصاص أكبر من البنادق الأخرى، و«المحدش» وتأخذ إحدى عشرة طلقة، ولذا سميت بالمحدش و«ابوثلاث» و «ابوحلقتين»، واليوم تقتنى بنادق كالـ «الرشاش» و«البلجيكي» و«الشوزل».

الفنون الشعبية:

تمارس في الأعراس والأعياد وفي الختان-قديماً- والسموة، وفي العزائم، بأداء وأهازيج وحركات تختلف من رقصة شعبية إلى أخرى، ولكل شعب ومنطقة وقبيلة رقصاتها الشعبية التي يمارسها الناس في مناسباتهم للأنس، والفرح.

ويوجد لدى قبائل جبل ضِرْم رقصات شعبية كالعرضة واللعب والخطوة والدمة والسحلة وهي ما بين جماعية وفردية، ويشارك في إحياء هذه الحفلات شعراء من جبل ضِرْم وخارجه، يشاركون بالقصائد والبدع والرد، في جميع الفنون الشعبية.

ومن أهل جبل ضِرْم من أبدع في هذا المجال في الماضي والحاضر، كالشاعر حسن بن حطام الأسمري -رحمه الله- من جبل ضِرْم، والشاعر محمد بن قصير الأسمري – رحمه الله- من جبل ضِرْم، والشاعر يحيى بن عامر الأسمري، وغيرهم الكثيرين.



الفصل التاسع

الموروثات الشعبية

- الأكلات الشعبية
- أدوات الشرب
- أدوات المياه
- أثاث البيت
- أدوات الطبخ
- أدوات صنع القهوة
- أدوات النظافة
- الأمثال الشعبية.



الفصل التاسع
الموروثات الشعبية

الأكلات الشعبية:

تتميز كل منطقة بأكلاتها الشعبية التي يتوارثها الناس ممن سبقهم، ويعتنون بالمحافظة على طريقة صناعتها وأسلوب تحضيرها، وتبقى تقدم في المناسبات كالأعياد والزواجات كأطعمة رئيسة، وفي الوجبات اليومية.

وتكتسب هذه الأطعمة الشعبية الموروثة مكانة في نفوس الناس لارتباطها بالعادات والتقاليد القديمة، ولاستحسان الأهالي طعمها وذوقها، وبالرغم من تعدد الأطعمة والمشروبات الحديثة والجديدة، إلا أن هذه الأطعمة والمشروبات الشعبية ذات حضور في موائد الناس وحياتهم اليوم.

وتشترك منطقة عسير في أنواع من الأكلات والمشروبات الشعبية كالعصيدة والعريكة، وتتميز بعض القبائل عن بعض بأكلات أخرى لا يصنعها الآخرون، وفي القبيلة الواحدة ربما يكون التمايز ببعض المأكولات، ففي بَلْلَّسْمَر البادية الأقط الذي يصنع من اللبن المجفف، والذي لا يصنعه إخوانهم في تهامة بَلْلَّسْمَر. كما لاحظنا اختلاف مسميات المأكولات والمشروبات بين القبائل بالرغم من اتفاق الأكلة والمشروب في العناصر المعمولة منها.

وتصنع الأكلات الشعبية عند أهل جبل ضِرْم من الحبوب التي تنتج من مزارع الجبل، وهي تتمثل في البر والذرة والشعير والدخن والزعر، ويستخدم في صناعة هذه الأكلات أدوات «كالمخوض» و «الميفا»، فأما المخوض فهو عود خشبي له قرنان صغيران مفترقان في نهايته، يصنع من بعض الأشجار ليحرك به العجين ويفرك، وأما الميفا فهو عبارة عن تنور كان يصنع في الماضي من الفخار المحروق، ويصنع اليوم من الحديد.

ومن هذه الأكلات والمشروبات:

١-المقرص: ويصنع من دقيق البر فقط. ويوضع على الدقيق الماء المغلي ويحرك بالمخوض على نار هادئة حتى ينضج، ثم يقدم على شكل دائري في الصحفة، مع السمن والعسل والمرق في المناسبات الكبيرة كالزواج والأعياد، ويكون موعد تقديمه بعد صلاة العصر. وتسمى هذه الوجبة كذلك بـ «الطفاة».

٢-العصيدة: وتصنع من دقيق البر أو الذرة، أو مخلوط البر مع الذرة، أو الزعر أو الدخن، ويوضع عليها اللبن وتحرك على النار حتى تتماسك ثم تقدم في الصحفة على شكل دائري، ويوضع بوسطها السمن والعسل، ويقدم معها المرق.



بعض الأكلات الشعبية: المقرص والعريكة وخبز الذرة وخبز البر

٣-العريكة: وتصنع من البر أو الذرة أو مخلوط البر والذرة. وتوضع عجينتها على شكل أقراص مستطيلة في الميفا حتى تنضج ثم تُخرج وتعرك وهي حارة، وتقدم معروكة ويوضع في وسطها السمن والعسل.

٤-خبز الميفا: وهو يصنع من الذرة أو الشعير أو الدخن أو الزعر، بخلط الدقيق بالماء مع شيء من الملح، ويترك قبل وضعه في التنور لمدة طويلة حتى يتماسك، ثم يلصق في التنور على شكل مستطيل حتى ينضج، ثم يقدم.

٥-المهشوشة: تصنع من دقيق البر أو الزعر.وتوضع العجينة في التنور على شكل مستطيل، وبعدما تستوي تفتت وتجعل على شكل كور ويصب عليها المرقة ثم تقدم.

٦-الرغف: يصنع من الذرة، وهو يغلى مع اللبن ويرش عليه قليل من الدقيق، ويبقى على النار مع تحريكه حتى يتماسك، ثم يحضر ويصب عليه السمن والعسل، ويتسم بالرخاوة واللين.

٧-الطبيخة: توضع اللوبيا -الدجر- أو القمح في ماء مغلي مع قليل من الملح، وتغلى حتى تنضج ثم تقدم.

٨-السويقة: يصنع العجين من الشعير، ثم يوضع في التنور، وبعد أن ينضج يفتت، ثم يسكب عليه ماء حار ثم تقدم.

٩-الرقش: يصنع عجينة من دقيق البر أو الذرة ويخلط بالماء المغلي، ويميل إلى السائل، ثم يصب سائلة في طش حتى يحمر من الجهتين، وتتسم بالنحافة وقلة السماكة.

١٠-الفروق: يصنع من اللبن وقليل من الدقيق ثم يحرك جيداً مع الماء المغلي حتى ينضج، ويقدم سائلاً.

١١-المرق: عندما يطبخ اللحم في الماء ثم ينضج، يتحول الماء الأول إلى سائل له نكهة خاصة يسمى المرق، تضاف إليه البهارات، ثم يقدم هو والسمن والعسل مع القرص والعريكة والعصيدة كإدام، أو يقدم لتناوله بالفنجان كمشروب.

وهناك المشروبات كالقهوة والقشر واللذان كانا من إنتاج جبل ضِرْم، فقد كان الأهالي يزرعون البن في مرتفعات جبل ضِرْم، فيصنع من حب البن القهوة ومن قشر البن شراب القشر، وأما الشاي فقد كان يباع في الأسواق المحلية فتشتريه الأهالي. وهناك مشروبات أخرى كالحليب المنتج من البقر المحلي، والحلبة والحسوة والعبيلة والمرق.



الميفا "التنور" الذي يوضع فيه العجين ويوقد بالحطب

أدوات الطبخ:

وتصنع من الفخار والنحاس وتباع في الأسواق المحلية، وفي فترات متأخرة قام بعض أهالي القرى بصناعتها وبيعها على الأهالي بعدما خفت حدة الازدراء نحو من يمارس حرفة الصناعة، وعادةً ما يقوم الأهالي بصناعة وتوفير أدواتهم المنزلية، ولكن الازدراء في زعمهم لمن يمارس الصناعة كمهنة، وهي من العادات القديمة السيئة والتي اضمحلت بحمد الله، فقد كان من الأنبياء النجار والخياط والله المستعان.

ومن أدوات الطبخ في السابق «الجحل» وتطبخ به الذبيحة ويصنع من الفخار، و«القدر»ويصنع من النحاس وتطبخ فيه الذبائح، و«البرمة»وهي أصغر من الجحل ويعمل فيها العيش والعصيد والمقاريص وطبخ اللحم إذا كان قليلاً، و«التورة» وهي أصغر من البرمة وهي من الفخار ويصنع بها الطعام.وهناك «المسهى» ويقلى فيه حب الشعير، ويصنع من الفخار، و«المنخل» والذي يوضع به الدقيق وينخل وصنع من جلود الغنم ويعمل على شكل سيور متقاطعة، وتصنع جوانبه من أخشاب الأشجار.و«المخوض» وهو عبارة عن عود من الخشب في رأسه قرنان قصيران، يستخدم لحرك العجين، ويؤخذ من شجر العتم والنشم والشوحط والصدر، وهناك«الميفا» أي التنور ويصنع من الفخار، ويعمل على عدة مقاسات منها الكبير والمتوسط والصغير، وهو يصنع من الطين ثم يحرق على النار.

وأما أدوات الشرب فتتمثل في:

«القدح» ويصنع من الخشب ويستخدم لوضع السمن والعسل والمرق والماء فيه، و«المقدح» يستخدم كملعقة للمرق، و«الغضار» ويصنع من الخشب ويوضع فيه السمن والعسل والمرق ليقدم على المائدة وللضيوف، و«المدرة» وهي أصغر من الغضار وتستخدم للسمن والعسل.

وهناك الأدوات التي يحضر فيها الطعام وتتمثل في التالي:

-«الصحن»: وهو من أكبر أنواع الصحاف، وله أربع أرجل من نفس الخشب الذي صنع منه، ويكون مرتفع عن الأرض، ويوضع له حلق في جوانبه لتساعد على حمل الطعام.

-«الصحفة»: وهي أصغر من الصحن وتصنع من الخشب كذلك.

-و«المرحلة»: وهي أصغر من الصحفة وتصنع من الخشب، ويحضر فيها طعام الأسرة.

وتصنع الثلاث من خشب شجر الغرب والتالق والإبراة والأثب والسدر، وتفضل الصحاف المصنوعة من الغرب والتالق والإبراة لخفة الوزن.



صحاف من الخشب

أدوات صنع القهوة:

-«المجرفة»: أي المحماس، وتصنع من الحديد وتباع في الأسواق المحلية، وهي عبارة عن قطعة حديد دائرية ذات عمق بسيط ولها يد طويلة ومحراك طويل يستخدم لتحريك البن داخل المجرفة.

-«المهراس»: يصنع من الخشب، و«ودي المهراس» وهو الذي يستخدم لطحن القهوة داخل المهراس، ويصنع من حجر مستطيل من حجر الأودية.

-«الخمرة»: تطبخ القهوة في الخمرة، وهي مصنوعة من النحاس، وهي عبارة عن دلة كبيرة تستخدم لطبخ القهوة بها ثم بعد نضجها تحول في «المصفاة».

-«المصفاة»: وهي دلة صغيرة تصنع من النحاس، وتباع في الأسواق المحلية، وتقدم فيها القهوة.

-«الحيسي»: وهي عبارة عن فناجيل تصب فيها القهوة، وتصنع من الفخار، توضع عليها نقوش وتلون ويضاف إليها لمعة.

أدوات المياه:

«القربة» وتصنع من جلود الغنم، ويكون حجمها بحسب جلد الذبيحة، يوضع بها الماء ويجلب للمنزل، وهي تكسب الماء البرودة، كما يستخدم القدح والغضارة والمدرة لشرب الماء (سبق شرحها).

أدوات النظافة:

«المحوقة» أي المكنسة، وتأخذ من فروع بعض الأشجار لتنظيف البيوت، وهذه الأشجار كالطباق والشث وعسوب النخل والعرعر.

«صخارة البيت» تقوم المرأة بعملية صخارة البيت، وهي عبارة عن وضع الطين على جدران المنزل كعملية التلييس، ثم تضع مادة «النورة» وهي عبارة عن

تربة بيضاء تؤخذ من أماكن معينة من الجبل ثم تخمر ويوضع عليها الملح وتقوم المرأة بوضع النورة على جدران البيت ليصبح ذا لون أبيض فاتح، ثم تقوم المرأة بعد ذلك باستخدام عصارة أوراق بعض الأشجار لتلوين الحيطان بعدة ألوان – حسب لون الورق–، ورسم رسومات للأشياء كالدلة والمهراس والجنبية والسيف أو رسم أشكال بعض الأشجار أو أوراق الأشجار، كما تقوم المرأة عند تنظيف المنزل بمسح أوراق الشجر على الأرض وإعطائه اللون الأخضر الفاتح.

وفي النظافة الشخصية كان يستخدم لتنظيف الأسنان فروع لينة وذات رائحة طيبة من بعض الأشجار كالعتم، وقد كان يستخدم لتنظيف الشعر والجسم رغوة كالصابون يغسل بها الرأس والجسم، وتستخرج هذه الرغوة من أوراق السدر بعد دقه. أما الملابس فتغسل من رغوة أوراق شجر العفار بعد دقه واستخراج سائله، وكذلك رغوة شجرة الشوراء، وكلتا الشجرتين ذات رائحة جميلة.

أثاث البيت:

–«القعايد»: وهي كراسي مصنوعة من الخشب، وحبالها مصنوعة من عسوب النخل.

–«الفرو»: وتصنع من جلود الضأن أو الماعز التي لها شعر كثير، وتوضع على القعايد أو على الأرض، وتكون صغيرة.

–«الملحف»: يصنع من جلود الغنم بعد دبغه، وهو أكبر من الفرو إذ يجمع فرو أكثر من ذبيحة ليشكل الملحف.

–«الزمبيل» «السعف» «المنوفة» «السطلة» «المنسف» «المكتل»: وجميعها يصنع من عسب النخل، وتستخدم لوضع الأشياء بها كالقهوة واللحم والدقيق وغيرها. وهي مختلفة الأحجام فالزمبيل أكبر من السعف، والسعف أكبر من المنوفة، وهكذا مرتبة من الأكبر إلى الأصغر.

-«المُغَلّفة»: يكون شكلها مستطيل ولها غطاء، إذا أرادت المرأة أن تقوم بزيارة أخذت المُغَلّفة لتضع بها الهدايا والمزاور، وللمُغَلّفة يد تمكن المرأة من حملها.

-«الحلف»: ويصنع من جلود الماعز الصغير بعد دبغه، ويستخدم لحفظ أشياء المرأة، وتضع فيه المرأة الزوارة من بن أو دقيق وغيرها.

-«الخرج»: ويصنع من جلود الغنم، وينقل فيه المحصول الزراعي من المزرعة إلى البيت.

-«المخدة»: وهي عبارة عن كيس يعبأ مما يسمى «الرفة»، وهو التبن الذي يجمع من بقايا الشعير والقمح.

-«المجمر»: أي المبخر، وهو يصنع من الفخار.

-«المجمعة»: وهو ماعون له غطاء يصنع من الخشب ويوضع فيه الزبد.

-«العكة»: وتستخدم لحفظ السمن، وتصنع من جلد الماعز الصغير.

-«الشكوة»: وتستخدم لخض اللبن، وتصنع من جلد الماعز والضأن.

-«الهندول»: وهو عبارة عن قماش يعلق بين خشب القعايد لهز الطفل الصغير وليقيه من الحيوانات الضارة.

-« السلم»: وهو الدرج الذي يستخدم للصعود، ويصنع من شجر العرعر وغيره.

اللباس والزينة:

لباس وزينة الرجال:

يلبس الرجال ملابس خاصة تشترى من الأسواق المحلية، ومنها «الثوب» ويكون ذا لون أبيض، و«المعطف» ويلبسه كبار الشخصيات زينة في الحفلات والمناسبات

الكبيرة، و«الفراق» أي الغترة، و«الحدرية» أي الطاقية، و«المقصب» أي العقال، و«العباءة الغامدية» وتصنع من صوف الغنم ووبر الإبل الخالص، وهي ثقيلة وتزين بالألوان على الصدر واليدين، ويلبسها الأغنياء في فصل الشتاء، كما يتزين الرجال بلبس الخنجر والجنبية والبندقية، والأطفال بحزام قصير توضع به سكين صغيرة تسمى «سِبتَةْ».

لباس وزينة النساء:

- «المزند»: وهو عبارة عن ثوب من قماش ذا لون أسود، وله زينة من خيوط الحرير الملونة على الصدر واليدين.

- «الفتقة»: وهي عبارة عن قماش تلفه المرأة على جسمها أسفل الثوب.

- «الوزرة»: وهي عبارة عن قماش مخطط بعدد من الألوان وهو من الحرير وتلبسه المرأة فوق الثوب في المناسبات.

- «القطاعة»: وهي كالشيلة تلبسها المرأة على الرأس.

- «المريشة»: وهي شيلة يكون على أطرافها زينة من خيوط الحرير الملون وأشكال كالزهور ملونة.

- «المنديل»: وهو عبارة عن قماش مثلث كالغترة ويأتي على عدة ألوان أشهرها الأصفر وتلبسه البنات.

- «المِسكة» وجمعها مِسَكْ، وهي عبارة عن سوارة من الفضة توضع زينة على اليدين بعد الكف.

- «الخاتم»: وهو عبارة عن خاتم من الفضة وله زينة بارزة من الفص، وتلبس في أصابع اليدين.

- «الفتخة»: وهي كالدبلة وتصنع من الفضة وتلبس في أصابع اليدين.

-«الحزام»: وهو عبارة عن حزام من الفضة وله خلاخل وحبيبات مدلاة كزينة وتلبسه المرأة في المناسبات.

الأمثال الشعبية:

يقول علماء اللغة العربية: إن كلمة المثل مأخوذة من قولك هذا مثل الشيء، ومثله كما تقول: شَبَهُهُ ؛لأن الأصل في التشبيه، ثم جُعلت كل حكمه سائرة مثلاً[(١)].

والمثل كلام تولد من قصة أو موقف أوحدث وعبر عن حالة معينة، وجرى على الألسن عبر الأزمان والعصور، ووظفه الناس في التوجيه والإرشاد والنصح، وقد يكون منه ما هو صحيح، ومنه ماهو غير صحيح، إذ هو من كلام عامة الناس، ولذا فالأمثال الشعبية يمكن أن تساعد في فهم المجتمعات، وذلك من خلال دراسة دلالات الأمثال: الفكرية والاجتماعية و الاقتصادية، ويمكن أن يتعرف على طبائع المجتمعات وعاداتها وسلوكها وبيئاتها الطبيعية. فالأمثال قد تكون أكثر صدقية في وصف واقع العامة؛إذ هي تنبع من نظرتهم الخاصة للأمور، ومن أجل هذا عبر بعضهم عن المثل بأنه «صوت الشعب »، ومن أجل هذا كانت دلالة الأمثال على لغة الشعب أصدق من دلالة الشعر.

يقول أحمد أمين: للأمثال من هذه الناحية ميزةٌ على الشعر ذلك أن الشعر تعبير طبقة من الناس يعدون في مستوى أرقى من مستوى العامة، فالشعراء يعبرون بألفاظ مصقولة صقلاً يستوجبه الشعر.أما الأمثال فكثيراً ما تنبع من أفراد الشعب نفسه، وتعبر عن عقلية العامة، ولذلك تجد كثيراً منها غير مصقول.. والمثل لا يستدعي إحاطة بالعالم وشؤونه، ولا يتطلب خيالاً واسعاً، ولا بحثاً عميقاً، إنما يتطلب تجربة محلية في شأن من شؤون الحياة[(٢)].

---

(١) أمين ،أحمد .فجر الإسلام .طبعة دار الشروق الأولى ٢٠٠٩.القاهرة.مصر.ص٨٩.

(٢) نفس الكتاب ص٩٠ .

والأمثال يكون منها ما هو شائع بين المجتمعات المختلفة، ويكون منها ما هو مختص بمجتمع دون غيره، ويرجع سبب ذلك إلى الاختلاف في الأنشطة الاقتصادية والعادات الاجتماعية والموروثات الشعبية واللهجات وغيرها.

فتجد المجتمعات الزراعية قديماً لها أمثال مشتقة من أنشطتها الاقتصادية، فالزراعية كقولهم: «إذا لم يبق من الفقر إلا مد شعير فاكفه»، والتجارية لها أمثال مشتقة من تجارتها كقولهم في قريش قديماً: «لا في العير ولا في النَّفير»، والمجتمعات ذات الطابع القبلي لها أمثال مأخوذة من عاداتها وتقاليدها كقولهم في بَلْلَّسْمَر: «البخيل عدو المرجله» و«الضيف في حكم المضيف»، وهناك من الأمثال ما هو مشتق من البيئة الطبيعية كقولهم: «الحماط ابن عم التين»، و«العصا للداب وألا للعقاب»، وتكون الأمثال منطوقة باللهجة المحلية للمجتمع كقولهم في تهامة: «إذا قد خصمك القاضي فما أنت قاضي»، وكقولهم: «أصبحنا من حيث أمسينا».

فهناك نوع من الأمثال تشترك فيه الكثير من المجتمعات كـ: «الجار قبل الدار»، و«العجلة من الشيطان» و «ذنبك على جنبك»، وهناك أخرى ينفرد ويختص بها مجتمع محدد كما ذكرنا.

وفي الأمثلة الدارجة عند أهالي ضِرْم نلحظ الآتي: علاقتها ببيئتهم الطبيعية وباللهجة الجنوبية، وبالعادات والتقاليد، وتجد ذكر النبات الطبيعي، والحيوان البري والرعوي بالمنطقة، والمحاصيل الزراعية التي تنتج، والأدوات القديمة، والأطعمة الشعبية التي تصنع، ويكثر الحديث عن الكرم والرجولة، والإرادة وذم الذل، والحث على العمل، وبعض الأحكام الشرعية، والأخلاق الدينية، ورسائل الحكمة، كما تشير إلى أمور كالجوع والمرض والجهل، وتتناول تصحيح بعض آفات النفوس وأمراض القلوب.وهي في الغالب تأخذ صبغة ترتبط بخصائص محددة لا تتوافر إلا في منطقة عسير، كما يوجد هناك المشترك مع المناطق الأخرى كقولهم: «أهل مكة أدرى بشعابها».

ولا يستطيع أحد اليوم أن ينسب إلى قبيلة محددة مجموعة من الأمثال الشعبية المشهورة بكثرة والمتداولة في كافة منطقة عسير ؛لأنها في غالبها مستخدمة ومتداولة عند الجميع منذ زمن طويل ولم ترتبط بعد شيوعها بقائلها أو بمناسبة معينة.

وهناك أمثلة شعبية لها مناسبات خاصة حدثت في أماكن معينة، وهي موجودة بالفعل ومشهورة.إلا أن هذا النوع أقل بالنسبة للأمثلة الشعبية التي لا يعرف لها قصة أو نسبة.

ولعلنا الآن نأتي على الأمثال الشعبية الدارجة عند أهالي جبل ضِرْم وقد جمعت على النحو التالي:

حرف الألف:

١- اضرب العيبة يسمعك الجمل.

٢- اذا لم يشرب الفتى بيمينه - فشربه بيد الرجال حرام.

٣- اذا لم يبق من الفقر الا مد شعير فأكفه

٤- اذا كنت كبير لكم فقوموا واقعدوا.

٥- اقنع بالقليل ياتيك بالكثير.

٦- اذا كثرت همومك فارقد.

حرف الباء:

٧- البخيل عدو المرجلة.

٨- بالشيمة والا بالقيمة.

٩- بغينا إبلهم فأخذوا غنمنا.

١٠- بغاها سبعة فعودت ضبعة.

حرف التاء:

١١- تزول الجبال ولا تزول الطبايع.

١٢- تمسكن حتى تمكن.

١٣- تعرف الخيل من أثمانها.

١٤- تكبر وتنسى.

١٥- تيس ما ينطح جبل.

حرف الثاء:

١٦- ثور فى أرض الله.

١٧- ثوب العارة ما يكسيني.

١٨- الثور يضحك من عملك.

حرف الجيم:

١٩- جات منك يا مسيد ما هى مني.

٢٠- جاء يكحلها فأعماها.

٢١- الجود من الموجود.

٢٢- الجار قبل الدار.

٢٣- جعل ضرابه ما يعثر.

حرف الحاء:

٢٤- الحياة تجارب.

٢٥- حزَم ما تحزم فسيفشلك.

٢٦- حج وبيع مسابح.

٢٧- الحماط ابن عم التين.

٢٨- حاميها حارميها.

حرف الخاء:

٢٩- الخير فيما اختاره الله.

٣٠- خلها على مبنى الشايب.

٣١- خذلك هبلك.

٣٢- خادم القوم سيدهم.

٣٣- الخيل تعرف ركابها.

حرف الدال:

٣٤- الدراهم تفض الحبوس.

٣٥- الدنيا طارد ومطرود.

٣٦- دخلته بأيدي فأخرجني برجلي.

٣٧- درب السهل ولو طال.

حرف الذال:

٣٨- ذنبك على جنبك.

٣٩- ذيب عس ولا ذيب ربض.

٤٠- ذلة غابية ولا ذله بادية.

٤١- ذنبك على جنبك.

حرف الراء:

٤٢- راحت الغنم في العطية.

٤٣- الرمح على أول زرقته.

٤٤- راح مثل كحل باكيه.

٤٥- رمضان عند من لا يصومه.

٤٦- الرفيق قبل الطريق.

حرف الزاي:

٤٧- زاد على البلاء علة.

٤٨- زاد تكله وزاد ياكلك.

٤٩- زلة الرجل ولا زلة اللسان.

حرف السين:

٥٠- سمننا في إنانا.

٥١- سق الحمار ولا يهمك نهيقه.

٥٢- سافرت عامين ودابلت مثلها.ولا مال الا ماليات الحقائب.

حرف الشين:

٥٣- شيخ ولا يشاخ عليه.

٥٤- شيء بلاش ربحه بين.

٥٥- الشيب ولا العيب.

٥٦- شوره فى راسه.

٥٧- شل عباتك تدفيك.

حرف الصاد:

٥٨- صك بابك ولا تتهم جارك.

٥٩- صدفة خير من ميعاد.

٦٠- الصباح رباح.

٦١- صحنا من أحمد فجاله ولد.

٦٢- صاحب صنعتين كذاب.

حرف الضاد:

٦٣- ضربه في جنب غيري كنها إلا في امزبير.

٦٤- الضيف فى حكم المضيف.

٦٥- الضحك من غير سبب قلة أدب.

٦٦- ضيف الجود يعزم.

٦٧- ضعيف ما ينجي ضعيف.

حرف الطاء:

٦٨- الطمع في رحمة الله.

٦٩- الطول طول الخشب والقصر قصر الذهب.

٧٠- طريق سدته لا ردته.

٧١- طارت الطيور بأرزاقها.

٧٢- الطير على أشباهها تقع.

حرف العين:

٧٣- العجلة من الشيطان.

٧٤- العصى للداب والا للعقاب.

٧٥- عود من طرف حزمه.

٧٦- العين الرمده الكحل فيها خسارة.

٧٧- العاقل تكفيه الإشارة.

٧٨- عادت حليمة على عادتها القديمة.

٧٩- عينك تدلك ورجلك تشلك.

حرف الغين:

٨٠- الغنم تنطح خيارها.

٨١- غبن القبور ولا غبن الصدور.

٨٢- غبنى على لوله.

حرف الفاء:

٨٣- فرَاع وبيده فاس.

٨٤- في رجب ترى العجب.

٨٥- فقير ومتكبر.

٨٦- فم ساكت ما دخله ذباب.

٨٧- فى الجمل ولا فى الجمال.

حرف القاف:

٨٨- قلنا يكحلها فأعماها.

٨٩- قدم الغشيم والحقه.

٩٠- قلبك دليلك.

٩١- قدر الصانع مخروق.

٩٢- قال من شاهدك يا أبو الحصين قال ذيلي.

حرف الكاف:

٩٣- كل حزه لها لبوس.

٩٤- كن ذيب وإلا أكلتك الذياب.

٩٥- كل مطرود ملحوق

٩٦- كل تأخيره فيها خيرة.

٩٧- كثرة الخصام تورث العداوة.

حرف اللام:

٩٨- لو كان به شمس كان من أمس.

٩٩- ليا فاتك البر فارقد فى الرفه.

١٠٠- لا تقل لغايب ويش أخرك.

١٠١- لا صديق إلا حزة الضيق.

١٠٢- لا تدخل رأسك إلا فى خلاصك.

حرف الميم:

١٠٣- من كثر هدره قل قدره.

١٠٤- ما كل بيضاء شحمه ولا كل سوداء فحمه.

١٠٥- ما مات من خلف ولد.

١٠٦- من كبر لقمته غص.

١٠٧- ما يمدح السوق إلا من ربح فيه.

حرف النون:

١٠٨- نباح الكلاب ما يضر السحاب.

١٠٩- نصيبك يصيبك.

١١٠- نفسه في رأس خشمه.

١١١- نحسبك يا عبد المعين تعين واثرك يا عبد المعين تعان.

حرف الواو:

١١٢- الوجه من الوجه أبيض.

١١٣- ويش عرف الثور أني عنتر.

١١٤- وقع الفاس في الرأس.

١١٥- وص ولد إلا في الذل.

حرف الهاء:

١١٦- هبهب بلا مذهب.

١١٧- هات وهاك.

١١٨- هني من شاف.

١١٩- همز في لمز.

حرف الياء:

١٢٠- يد واحدة ما تصفق.

١٢١- يد ما تسرق لا تخاف القطع.

١٢٢- يا غريب كن أديب.

١٢٣- يرزقني رزاق الطير.







الفصل العاشر

الناحية اللغوية

- أصالة اللهجة.
- أصالة اللغة.



المبحث الأول:
أصالة اللهجة

قال تعالى: ((ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين)) [1].

اللهجة هي لغة الإنسان التي جُبل عليها واعتادها ونشأ عليها وقد أطلقت اللهجة على اللسان أو طرفه فهو أداة التحدث بها، «مأخوذة من لَهَجَ».

وفي جزيرة العرب تعددت اللهجات التي يتحدث بها الناس منذ الجاهلية وحتى يوم الناس هذا، مما دعا علماء العربية في عصور الإسلام المختلفة لرصد هذه الظواهر الصوتية وحصرها في عدد من اللهجات قيدوها، و أطلقوا عليها التسميات: كلهجة الكشكشة والكسكسة والطمطمانية والشنشنة والفحفحة والعنعنة وغيرها، مع ذكرهم للقبائل التي تنطق بتلك اللهجات، وقد دونوا ذلك في كتب الأدب وفقه اللغة.

وقد لاحظوا في رحلاتهم لجمع لغات العرب ولهجاتهم لهجة الكشكشة والطمطمانية في قبائل الأزد، فدونوا تلك المعلومة وورثونا ذلك التحقيق، ولازالت هاتان الظاهرتان الصوتيتان – الكشكشة والطمطمانية –حاضرتين ومتداولتين كلهجات في أحاديث قبائل الأزد عامة في السراة وتهامة، ومنهم قبائل جبل ضِرْم بتهامة بَلْلَّسْمَر محل بحثنا.

ولتوضيح ذلك و تقريبه، فإن الكشكشة: هي إبدال كاف الخطاب في المؤنث شيناً في حالة الوقف وهو الأشهر. وبعضهم يجعل الشين مكان الكاف ويكسرها في الوصل، ويسكنها في الوقف فيقولون في مررت بك اليوم: مررت بش اليوم، وفي مررت بكْ في الوقف: مررت بشْ وانشدوا على ذلك قول المجنون «مجنون ليلى»:

---

(١) سورة الروم ،آية :٢٢.

فعيناش عيناها وجيدش جيدها
ولكن عظم الساق منش دقيق

وقول الآخر:

يا دار حييت ومن ألمَّ بش
عهدي ومن يحلل بواديش يَعِيش

يريد: بكِ، ، وبواديك[1].

وقرأ بعضهم: قد جعل ربش تحتش سريا. لقول القرآن: (قد جعل ربك تحتك سريا)[2].

والطمطائية أو (الطمطمانية): هي إبدال لام التعريف ميماً، وقد جاء على اللهجة قول النبي ﷺ: ((ليس من امبر امصيام في امسفر)) أي ليس من البر الصيام في السفر[3].

وكقولهم: طاب امهواءُ يريدون: طاب الهواء[4].

وفي حديث أبي هريرة: أنه دخل على عثمان وهو محصور فقال: الآن طاب «امضرب» أي حل القتال.. أراد «طاب» «الضرب» فأبدل لام التعريف ميماً[5].

ويروي ثعلب عن الأخفش أنه سمع قائلاً يقول: - قام امرجل، يريد قام

(١) الحمد، محمد بن إبراهيم، فقه اللغة، دار ابن خزيمة، ص٩٨-٩٩.

(٢) النيسابوري، الإمام أبي منصور إسماعيل الثعالبي، كتاب فقه اللغة وسر العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص١٠٧.

(٣) الحمد، محمد بن إبراهيم، فقد اللغة، دار ابن خزيمة، ص١٠١.

(٤) النيسابوري، الإمام ابن منصور إسماعيل الثعالبي، كتاب فقه اللغة وسر العربية، دار الكتب العربية، بيروت- لبنان، ص١٠٧.

(٥) النهائية ٣/ ١٥٠ .

الرجل، قال ثعلب هذه لغة الأزد مشهورة[1].

كما أن قبائل جبل ضِرْم يجعلون النون «راء» حيث ينطق «ابن» ابر «وابنة» «ابرة».

فيقال مثلاً: أحمد ابر عبد الله، يريدون: أحمد بن عبد الله وهي لهجة قديمة إذ عثر على ما يسمى خوران ويقال أنه يرجع إلى سنة ٥٨٦م أي أيام ولد النبي ﷺ، حيث يقول هذا النص: أنا شرحبيل بر ظلموا[2].

كما تستعمل كلمة «قد» بدلاً من كلمة «أصبح» مثل ذلك» قد في الرجل مرض.



(١) مجالس ثعلب ١/ ٥٨، نقلاً من كتاب آل فائع القحطاني.

(٢) نفس المرجع .

المبحث الثاني:
أصالة اللغة

قال تعالى: ((وعلّم آدم الأسماءَ كلّها)) [1].

لقد أخبرنا الله تعالى أن آدم عليه السلام تعلم الأسماء كلها، أسماء جميع الأشياء على الأرض قبل أن ينزل من الجنة إلى الأرض، بعد أن أمره الله سبحانه وتعالى أن يهبط من الجنة بعد أن أزله الشيطان منها، وعلماء الإسلام القدامى قالوا إن آدم كان يتكلم العربية، وظلت تتطور إلى أن كان أول من تكلم العربية الفصحى إسماعيل عليه السلام.

وقد كانت الناس على زمن الرسول ﷺ تتكلم العربية الفصحى، ومع تقادم الزمان و اختلاط غير العرب من العجم الذين دخلوا الإسلام بالعرب، استحدثت لغة ولهجة عامية لا تمت للعربية بصلة، فتغلب استخدامها على استخدام المصطلحات العربية، وبدت تأخذ حجم يتجاوز حجم اللغة العربية الفصحى، وفشت هذه الظاهرة بأغلب العرب، ولكن بقيت جهات لاحظ فيهم المتخصصون القدامى والمثقفون المعاصرون تناولهم الألفاظ العربية بنفس معانيها ودلالاتها عند العرب في القرون الأولى من الإسلام، و بشكل كبير مقارنة بغيرهم، واحتفظت بحجم كبير من مصطلحات العربية الفصحى، كما تستخدم بلا تكلف، وتأتي على السليقة العربية من أفواههم، ومن هذه الجهات منطقة تهامة وسرات الأزد بمنطقة عسير، ولا غرابة فقد كانت لغة الأزد من اللغات المعتمدة عند علماء العربية، وقد اهتموا بتدوينها وبالاستشهاد بها في عصر الاحتجاج اللغوي، وقد شهدوا لهم بالفصاحة، فقد حدد اللغويين الأمكنة والقبائل التي يحتج بلغتها في جمعهم اللغوي ومنه ما ذكره

---

(١) سورة البقرة،آية :٣١

الفارابي [1] في كتاب الحروف حيث قال: «فتعلموا لغتهم والفصيح منها من سكان البراري منهم دون أهل الحضر ثم من سكان البراري من كان في أوسط بلادهم ومن أشدهم توحشاً وجفاء وأبعدهم إذعاناً وانقياداً وهم قيس وتميم وأسد(الأزد) وطيء ثم هذيل فإن هؤلاء هم من نقل عنه لسان العرب والباقون فلم يؤخذ عنهم شيء لأنهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المحيطة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام وأهل مصر».

وقد ساهمت أسباب عدة في منع تأثرهم بلغات العجم وغير العرب وبالتالي بقاءهم على استخدام الكلمات العربية الفصحى وبحجم كبير يضاهي غيرهم في أرجاء الجزيرة العربية، والذين كان لاختلاط العجم بهم أثر على ضعف حجم العربية الفصحى في حديثهم وكلامهم.ومن تلك الأسباب: وعورة التضاريس في منطقة أزد السراة وتهامة والتي تفرض عدم مرور التجار والحجاج إلا من طرق محددة - وحتى طرق الحج والتجارة التي تمر بديارهم لم تكن لتؤثر عليهم لتقاليدهم الصارمة في جانب النسب والتمسك بعاداتهم وتقاليدهم -، ولمنعتهم وبأسهم الذي ساهم في تصديهم للعديد من الغزاة، ولبعدهم عن المناطق التجارية الكبيرة والأماكن المقدسة التي تفرض وجود الأجانب والعجم، ولعاداتهم القبلية المتشددة إزاء الحفاظ على النسب من الاختلاط أو الزواج من غير العرب، ولأن موقعهم موقع داخلي غير ساحلي، فالمناطق الساحلية مناطق اختلاط وتجارة وبالتالي كانت عرضة لذلك التأثير على العربية الفصحى، ولعدم مجاورتهم للعجم وبعدهم عن المناطق المجاورة للعجم.

وقد أكد هذا المعنى الدكتور عبد الله آل فائع القحطاني في معرض حديثه عن القبائل التي اشتهرت بالفصاحة، فذكر الأزد وأهل تهامة فقال: كذلك ينطبق

(١) هو أبونصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي التركي الحكيم توفي سنة٣٣٠هـ(وفيات الأعيان ٥/ ١٥٣-١٥٦)نقلاً عن كتاب لهجة الأزد في عصر الاحتجاج اللغوي لـ جمعان بن عبدالكريم الغامدي،ص٣٤١.

على سكان كنانة وأزد الجنوب ومذحج، فسكان هؤلاء المناطق يعيشون بعيداً عن الأمم الأعجمية أو غير العربية، ولم تتعرض بلادهم لأية هجرات أعجمية، لذا فإن لغتهم ولهجتهم هي أساس اللغة العربية ولا زال سكان هذه المنطقة يتحدثون باللغة واللهجة العربية الفصحى، مثل: قبائل ربيعة ورفيدة وسكان تهامة..[1].

وقد امتدح فؤاد حمزة في كتابه (قلب جزيرة العرب) حيث كتب يقول: أفصح اللهجات وأقربها إلى الفصحى – فيما نعتقد- هي اللهجات اليمانية الواقعة بين جنوبي الحجاز وشمالي اليمن، وكثيراً ما سمعنا أهل هذه البلاد يلفظون الكلمات من مخارجها الصحيحة، ويتكلمون بما هو أقرب إلى الفصيح من سواه، وبعض البداة من أهل المنطقة يُخرجون جملاً يظن منها الإنسان أنهم تمرنوا في المدارس على إخراجها على ذلك النحو، بينما الحقيقة هي بخلاف ذلك، لأنهم يتكلمون بالسليقة وعلى البديهة فيجيء كلامهم فصيحاً معرباً لا غبار عليه، ويستعملون ألفاظاً نظنها في الأقطار العربية المتمدنة مهملة ومتروكة ولكنهم هم يستعملونها على البداهة[2].

ومن قبائل الأزد سكان جبل ضِرْم بتهامة بَلْلَّسْمَر، وقد لمست في حديثهم وتخاطبهم كثيراً من الكلمات العربية الفصحى التي نجد لها أصلاً في الكتاب والسنة وكتب فقه اللغة، ولعلنا نأتي على ذكر بعض هذه الكلمات العربية الفصحى التي لا تزال متداولة بين أهالي جبل ضِرْم إلى يومنا هذا. مستعيناً في هذا الصدد ببحث منشور للأستاذ محمد آل سهيل بعنوان «اللهجات المحلية للمنطقة الجنوبية» [3]. منتقياً منه الكلمات المستعملة عند أهالي جبل ضِرْم، حرصاً مني على التوثيق والتوعية.. فمنها قولهم:

---

(١) القحطاني، عبد الله بن سالم آل فائع، معجم العادات والتقاليد واللهجات المحلية في منطقة عسير (مقدمة الكتاب).

(٢) حمزة، فؤاد، قلب جزيرة العرب، ص٩٩، دار اليقين .

(٣) آل سهيل،محمد بن سهيل بن صالح،كتاب اللهجات المحلية للمنطقة الجنوبية. مطابع الجزيرة. الطبعة الأولى١٤٢٦هـ.

أزم:

وهو الضيق وتداني الشيء من الشيء بشدة والتفاف. والأزم شدة العض، والفرس: يأزِم على فأس اللجام. قال طرفه:

هيكـلات وفحول حـصـن أعوجيـات على الشأو أزم

بحث:

يدل على إثارة الشيء، بحث عن الأمر بحثاً ؛أي استقصى عن الأمر وبحث في الأرض بمعنى حفرها. قال تعالى: ((فبعثَ الله غراباً يبحثُ في الأرض)). سورة المائدة آية ٣٠.

بصر:

يدل على العلم بالشيء، أبصر الشيء وبصر به وقد بصر بعمله إذا صار عالماً به.

وبصرته به، إذا علمته إياه، ويقال أبصر الطريق أي استبان ووضح – ومالك بصيرة أي طريقة.قال تعالى: ((ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير)). سورة الشورى آية (١١).

بهت:

يدل على الدهشة والحيرة، وبهته قذفه بالباطل وافترى عليه بالكذب. قال تعالى: ((ولولآ

إذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتانٌ عظيم)).. سورة النور آية ١٦.

تور:

إناء صغير وهو مذكر عند أهل اللغة، وكان رسول الله ﷺ يتوضأ بالتور، ويقال

إن مأخذه من التارة، لأنه تارة عند هذا وتارة عند هذا.

ثلم:

وهو تشرم يقع في طرف الشيء.يقال ثلمت الحائط ثلماً وثلمته وحائط مثلوم.

وقد انثلم. قال زهير بن أبي سلمى:

أثافي سفعاً في معرس مرجلٍ ونؤياً كجذم الحوض لم يتثلم

جذ:

يدل على الكسر أو القطع، يقال جذذت الشيء كسرته، قال تعالى: ((فجعلهم جُذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون)) أي كسرهم.وجذذته قطعته، قال تعالى: ((عطاءً غير مجذوذ)) أي غير مقطوع.

جز:

وهو قطع الشيء القوي.يقال جززتُ الصوف جزاً، وهذا زمن الجزاز، والجزوزة: الغنم تُجز أصوافها.

جفر:

الجفر من ولد الشاة، ماجفر جنباه أي اتسعا قال ابن الأنباري في تفسير حديث أم زرع:

الجفرة الأنثى من ولد الضأن والذكر جفر، والجمع جفار، وقيل الجفر من ولد الماعز ما بلغ أربعة أشهر والأنثى جفرة.

جلم:

يدل على القطع، يقال جلمت الشيء جلماً أي قطعته فهو مجلوم وجلمت الصوف والشعر قطعته.

جنى:

وهو أخذ الثمرة من شجرها، ثم يحمل على ذلك.تقول جنيت الثمرة أجنيها واجتنيها وثمر جني، أي قطف لوقته، قال تعالى: ((وهزي إليك بجذع النخلة تُساقط عليك رُطباً جنيا)).

جبذ:

يدل على تحويل الشيء عن موضعه أو سحبه عن موضعه، يقال جبذت الشيء بمعنى جذبته.

حت:

وهو تساقط الشيء كالورق ونحوه.يقال حتَّ الرجل الورقة أي أزالها، وحت الورق عن الشجرة فأنحت بمعنى سقط.

حدب:

يدل على ارتفاع الشيء، الحَدَب هي الأرض المرتفعة قليلاً. قال تعالى: ((وهم من كل حدبٍ ينسلون)) ثم قال كعب بن زهير بن أبي سلمى:

يوماً تظل حداب الأرض ترفعها   مــن اللوامع، تخليــط وتزيـيـل

حرز:

يدل على الحفظ والتحفظ، وهو المكان الذي يحفظ فيه، وأحرزت المتاع جعلته في الحرز، وأحرزت الشيء بمعنى حفظته.قال الطرماح بن حكيم:

ولا تعور وأستحرز وإن تعوعية   تصــادف قرى الظمأ وهو شنيع

حقن:

وهو جمع الشيء.يقال حقن اللبن في السقاء بمعنى جمعه ويقال لكل شيء جُمع

من لبن وغيره وشد حِقين، ولذلك سمي حابس لبن حاقناً، ويقال اللبن الحَقِين الذي صب حليبه على رائبه.

حنذ:

وهو إنضاج الشيء، يقال شواء حنيذ، أي منضج وذلك أن تُحمى الحجارة وتوضع عليه حتى ينضج.قال تعالى: ((ولقد جاءت رُسُلُنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلامٌ فما لبثَ أن جاءَ بعجلٍ حنيذ)).

حبك:

وهو إحكام الشيء في امتداد واطراد، حبكت العقدة بمعنى وثقتها، وقال ابن الأعرابي شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد احتبكته. قال تعالى: ((والسماءِ ذات الحُبُك)).

حثى:

حثا الرجل التراب يحثوه حثواً ويحثيه حثياً بمعنى رمى، إذا هاله بيده وبعضهم يقول قبضه بيده ثم رماه، قال أبو النجم:

حثا في وجوه الشك تربا لمزمع   يقطـــع أقران الأمور الخوالج

حمى:

حميت المكان منعته أن يقرب، فإذا امتنع عز، قلت أحميته أي صيرته حمى. فلايكون الأحماء إلا بعد الحماية. قال ذو الرمة:

يقطن الحمى والرمل منهن محضر   ويشـــربن ألبان الهجان النجائـب

خرط:

يدل على مضي الشيء وانسلاله.ومن ذلك خرط الورق قشره عن الشجرة

اجتذاباً له، وخرط العود قشر لحيه، والخريطة الكيس.

خمش:

وهوالخدش وماقاربه، يقال خَمَشْتُ خَمْشا والخُمُوش، جمع خَمْش قال مجمع بن هلال:

وكـــائن تركت من كريمة معشر　　عليها الخموش ذات حزن تفجع

خبن:

يدل على قبض ونقص، يقال خَبَنْت الثوب خبناً أي عطفت ذيله ليقصر، وخبَنْت الشيء خبناً أي أخفيته.

دعك:

يدل على تمريس الشيء ومساكاً، ويقال مال حائطه فدعمه بدِعامة، والدَّعمة ترفع السقف.

دوس:

وهو دوس الشيء، ويقال داس الرجل الحنطة يدوسها دوساً ودياساً، وهو مأخوذ من داس الأرض دوسا إذا اشتد وطؤهُ عليها بقدمه.

ذرأ:

وهي الشيء الذي يبذر ويزرع، وذرأنا الأرض أي بذرناها، ومن هذا الباب: ذرأ الله الخلق يذرؤهم قال تعالى: (ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه).

رفد:

وهو المعاونة والمظاهرة بالعطاء وغيره، ورفده وأرفده أعانه بعطاء أو قول، قال عمرو بن كلثوم:

أتنسى رفدنا بعويرضاتٍ غداة الخيل تخفر ما حويتا

رهو:

الرهو ما اطمأن من الأرض وارتفع ماحوله، والرهوة مثله يقال طلع رهواً ورهوة وهو نحو التل، قال ذو الرمة:

يجلـــى كما جلى على رأس رهوة من الطير أقنى ينفض الطل أزرق

رحى:

وهو أداة طحن الحبوب وهي مصنوعة من الحجر. قال ذو الرمة:

تفض الحصا عن مجمرات وقيعة كـــأرحاء رقد زلمتها الـمـناقـر

ردم:

يدل على سد ثلمة، يقال ردمت الباب والثلمة بمعنى سددتها. قال تعالى: (قال مامكني فيه ربي خيرٌ فأعينوني بقوةٍ أجعل بينكم وبينهم ردما).

زكن:

يقال هو اليقين، ويقال زكنت منك كذا أي علمته، قال قعنب بن أم صاحب:

ولـــن يراجع قلبي حبهم أبــــداً زكنت منهم على مثل الذي زكنوا

زفر:

تدل على صوت من الأصوات. قال تعالى: (إذا رأتهُم من مكان بعيدٍ سمعُوا لها تغيظاً وزفيراً). ثم قال عبيد الراعي

جوابةً طويت على زفراتـها طي القناطر، قد بزلن بزولا

زرب:

وهو يدل على بعض المأوى، فالزرب زرب الغنم وهي حظيرتها ويقال الزريبة.

سطا:

يدل على القهر والعلو، يقال سطا عليه بسطو، وذلك إذا قهرهُ ببطش، ويقال فرس ساط، إذا سطا على سائر الخيل.

سفل:

وهو ما كان خلاف العلو، فالسُّل سِفْل الدار وغيرها، والسُّفُول: ضد العلو، والسَّفِلة: الدون من الناس، يقال هو من سفلة الناس ولا يقال سفلة.

سلم:

ضرب من الشجر واحدته سلمه، وله ثمار تشبه ثمار الطلح، وهو من الأشجار المعمرة.

سدح:

هو يدل على بسط على الأرض، وذلك كسدح القربة المملوءة إذا طرحها بالأرض.

سرح:

وهو يدل على الانطلاق، يقال سَرَّحت المرأة أي انطلقت، قال الله تعالى: (أو سرحوهن بمعروف).

شطر:

الشطر هو النصف، والشطر القصد والجهة. قال تعالى: (فولوا وجوهكم

شطره). أي قصده وجهته. ثم قال طفيل الغنوي:

إذا ما أتته الريح من شطر جانبٍ إلى جانب حاز التراب مجاوله

شفر:

يدل على حدة الشيء وحرفه، من ذلك الشفرَة المدية وهي السكين العريض والجمع شفار. قال المتنبي:

يقسم الفارس المدجج لا يسلم من شفرتيه إلا بداده

شيط:

يدل على ذهاب الشيء، إما احتراقاً وإما غير ذلك، فالشَّيْط من شاط الشيء، إذا احترق، يقال شَّيطت اللحم، ويقولون: شيَّطَه إذا دخنه ولم ينضجه.

شيم:

الشّيمة: هي الغريزة والطبيعة التي خلق الله عز وجل الإنسان عليها، قال المتنبي:

وقد تحدث الأيام عندك شيمةً وتنعمر الأوقات وهي يباب

شتر:

يدل على خرق في شيء، ومن ذلك الشتَر في العين وهو انقلاب في جفنها الأسفل مع خرق يكون، وسمي بذلك الأشتر النخعي أحد قواد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

شذب:

يدل على تجريد شيءٍ من قشره، ثم يحمل عليه، والشَّذْب ما يقطع من أغصان الشجرة المتفرقة، وقيل الشذب الشوك والقشر، وشذبته بمعنى قطعته. قال ذو الرمة:

فأصبح البكر فرداً من صواحبه　　يرتـــاد أحليةَ أعجازها شـذب

شرع:

الشريعة هي مورد الناس للاستقاء، سميت بذلك لوضوحها وظهورها، وشَرَعت في الماء شروعاً شربت بكفيك أو دخلت فيه. قال تعالى: (إذ تأتيهم حيتانُهُم يوم سبتهم شُرعاً). ثم قال امرئ القيس:

ولـما رأت الشريعة وردهـــــا　　وأن البياض من فرائصها دامي

صفح:

يدل على عَرْض وعِرَض، والصَّفْح من كل شيء جانبه يقال صفحك أي خدك، وصفح الجبل أي جانبه. قال تعالى: (أفنضربُ عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين). ثم قال عروة بن الورد:

ولله صعلـوك صفيحة وجهه　　كضوء شهاب القابس المتنور

صلم:

يدل على قطع واستئصال، يقال صَلَمتُ الأذن صلماً من باب استأصلتها قطعاً، واصطلمها كذلك.

صول:

يدل على قهر وعلو. وصال الفحل يصول صولاً أي وثباً، قال أبو زيد: إذا وثب البعير على الإبل يقاتلها قلت استأسد البعير، والصُولة في لهجة أهل المنطقة تطلق على الحرب أو الاجتماع وعلى غيرها. قال عمر وبن كلثوم:

فصالوا صولة فيمن يليهم　　وصلنـــا صولةً فيمن يلينا

صحف:

يدل على انبساط في شيء وسعة، والصَّحفة إناء كالقصعة والجمع صحاف، قال الزمخشري: الصحفة قصعة مستطيلة، وهي مصنوعة من الخشب. قال تعالى: (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون).

صدر:

يدل على خلاف الورد، وصَدَرَ القوم وأصدرناهم إذا صرفتهم، وصدرت عن الموضع بمعنى. رجعت. قال ابن مقبل:

وليلة قد جعلت الصبح موعدها صدر المطية حتى تعرف السدفا

صرع:

يدل على سقوط شيء إلى الأرض عن مراس اثنين، ومن ذلك مِصْراعا الباب مأخوذان من هذا، أي هما متساويان يقعان معا.

ضف:

يدل على الاجتماع.وهو اجتماع الناس على الشيء، ويقال ماء مضفوف، إذا كثر عليه الناس، وطعام مضفوف، وفي الحديث (أنه عليه السلام لم يشبع من خبز ولحم إلا على ضفف) يراد بذلك كثرة الأيدي على الطعام، وقال الشاعر في الماء:

لا يستقي في النزح المضفوف الإمدارات الغروب الجوف

ضلع:

يدل على ميل واعوجاج، يقال فلان ضَالعَ عن الحق، إذا كان مائلا عنه، وضلَعت الدابة أي مالت وعرجت في مشيها، قال الصلتان العبدي:

فأقسم لا آلو عن الحق بينهم فإن أنا لم أعدل فقل أنت ضالع

ضرف:

الضَّرف من شجر الجبال واحدته ضَرِفة، ويوجد في تهامة وهو من الأشجار المعمرة.

ضري:

يدل على الإغراء بالشيء واللهج به، وضَرِيَ بالشيء اعتاد عليه، ويقال أيضاً أضريته وضرى به بمعنى لزمه وأولع به، قال زهير بن أبي سلمى:

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذا ضريتموها فتضِرْم

طلق:

يدل على التخلية والإرسال، والمطلّق معناه أنهم يسمون الرجل الذي يسابق بفرس: المطلّق، فالأهوال تعتريه، لأنه لا يدري أيسبق أم يسبق، وهي تطلق هنا على الشجاع.

طوف:

يدل على دوران الشيء على الشيء. وطوف بالبيت يطوف طوفاً وطوافاً استدار به، وأطاف بالشيء أحاط به، قال تعالى: (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون).

ظلع:

يدل على ميل في مشي، يقال دابة به ظَلْعُ إذا كان يغمز فيميل، ويقولون هو ظالع أي مائل عن الطريق القويم، قال ذو الرمة:

إذا انجابت الظلماء أضحت رؤوسهم عليهن من طول الكرى وهي ظلع

عك:

يدل على الحبس، والعُكة أصغر من القربة، والجمع عُكك وعِكاك، وسميت بذلك لأن السمن يجمع فيها كما يحبس الشيء.

عقر:

يدل على الهزْم، عَقَرت الفرس أي كسعت قوائمه بالسيف. قال تعالى: (فعقُروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب). ثم قال لبيد:

لـمـا رأى النسور تطايــرت   رفع القوادم كالعقير الأعزل

عتل:

يدل على شدة وقوة في الشيء، والعَتَلة حديدها كأنها رأس فاس، أو العصا الضخمة من حديد لها رأس مفلطح، يهدم بها الحائط.

غبراء:

يدل على لون من الألوان، والغبراء الأرض، ومنه اشتق اسم الغابرة وهي الأرض التي لا نبات فيها.

فصح:

يدل على خلوص في شيء ونقاء من الشوب. ومن ذلك اللسان الفصيح. ويقال أفصح الصبي في منطقه فهم أي ما يقول في أول ما يتكلم، قال تعالى: (وأخي هارون هو أفصح مني لساناً).

فضخ:

تدل على الشدخ. يقال صك رأسه ففضخه وضرب بالبطيخة الأرض ففضخها.

فغر:

يدل على فتح وانفتاح، من ذلك فَغَر الرجل فاه: فتحه، وفَغَر فوهُ، إذا انفتح. قال ربيعة بن مكدم:

ومنحـــــت آخر بعده جياشةً نجلاء فاغرة ً كشدق الأضجم

قر:

أصلان صحيحان يدل أحدهما على تمكن، قال تعالى (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى). والآخر على برد، قال لبيد:

وغـــداة ريحٍ قد وزعت وقرةٍ إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

قرع:

يدل على ضرب الشيء. والرجل المقروع هو الذي قُرع بكلام قبله، فإن كان لا يقبله قيل فلان لا يُقرع.

كد:

تدل على شدة وصلابة، ومنه الكد وهو الشدة في العمل وطلب الكسب والإلحاح في الطلب، والكُدَادة: ما يُكدُّ من أسفل القدر، وكَدَدْتُ رأسي إذا حككته بالحاح. قال الكميت:

غنيــت فلم أردكم عن بـغــيةِ وجعت فلم أكددكم بالأصابع

كشط:

تدل على تنحية الشيء وكشفه، يقال كَشَطَ الجلد عن الذبيحة. قال تعالى: (وإذا السماء كُشطت).

كفت:

يدل على جمع وضم، من ذلك قولهم: كفَتُّ الشيء إذا ضممته إليك، قال تعالى: (ألم نجعل الأرض كفاتاً).

لحظ:

اللحظ: لحظ العين وهو الانتباه، قال المتنبي:

مطاعة اللحظ في الألحاظ مالكة لمقليتها عظيم الملك في المقل

لذع:

تدل على الإحراق والحرارة، من ذلك اللَّذْع، لذع النار، وهو إحراقها الشيء، ويستعار ذلك فيقال: لذَعتُه بلساني، إذا آذيته أذىً يسيراً.

لفح:

يقال لفحَتْه النار بحرها والسموم، إذا أصابه حرها فتغير وجهه، قال تعالى: (تلفحُ وجوههم النار وهم فيها كالحون) ثم قال الرمة:

يرقد في ظل عراصٍ، ويلفحه حفيف نافحةٍ عثنونها حصب

لفع:

يدل على اشتمال الشيء، وتلفَّعَت المرأة بمرطها: اشتملت عليه ولَفعَّ الشيب رأسه شمله. قال أوس بن حجر:

وعزت الشمال الرياح وإذ بـــات كميع الفتاة ملتفعا

معط:

يدل على تجرد الشيء وتجريده، ومَعِطَ: تمرط شعره، ومعطت السيف من قِرابِهِ: جَردَّتهُ.

نهس:

تدل على عض على شيء: ونَهَسَّ اللحم: أخذه بمقدم أسنانه، والنهس هو أيضاً طائر يصطاد العصافير.

نتر:

تدل على جذب شيء، والنتر جذب فيه جفوة، والطعن النتر.

نثل:

يدل على استخراج شيء من شيء أو خروجه منه. منه نَثَلْتُ البئر أخرجت ما فيها من تراب.

هلم:

تدل على دعوة إلى شيء، يقال: تعالى هَلُمَّ بمعنى تعال إلى هنا. قال تعالى: (والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً).

وهد:

وهو من الأضداد. والوهَدْة: المكان المطمئن من الأرض، ويطلق أيضاً على المكان المرتفع، والجمع وِهاد. قال المتنبي:

مــا لبسنا فيه الأكالـــيـــل   حتى لبستها تلاعه ووهاده

فهذه أمثلة لبعض الكلمات التي يتداولها أهالي جبل ضِرْم في حديثهم، وقد وجدنا أنها من العربية الفصحى، ولم نستقصي في ذكر المزيد.





الخاتمـة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، وبرضاه يسعد من في الأرض والسماوات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم... وبعد

أشكر الله العليم العظيم على توفيقه وتسديده، وما أتم لي من عناية بهذا الجزء الغالي من وطننا الحبيب ؛للتعريف به، وللتعرف عليه، وأخذ صورة شاملة إلى نحو مرضٍ، فهذا الجزء من وطننا الغالي يعني للكاتب الشيء الكثير، فهو مسقط الرأس، ومنازل الآباء والأجداد، وبقعة الجمال والطبيعة، وديار الكرم والطيب.

كما أشكر في نهاية هذا البحث جهود الدولة المقدمة لخدمة المواطن والوطن، وأشكر جهود الأجداد الأوائل وتاريخهم الحضاري، وأتمنى أن أكون بهذا العمل قد قدمت مادة طيبة للأجيال؛لإحياء العناية بتراث الديار، وثرواتها الطبيعية، وعاداتها ومكتسباتها، وكل ما أشرنا إليه، ولا أحسب أنني أوفيت جبل ضِرْم الدراسة، ولكنني أتمنى أن يكون الكتاب قد عبد الطريق للمهتمين من أبناء الجبل وغيرهم في إيجاد دراسات أخرى متخصصة وشاملة وعميقة ؛لكشف الكثير مما تخبئه مواضع وقرى ومراكز منطقة تهامة من: تراث وتاريخ وأنساب، وجوانب طبيعية وبشرية جغرافية، وعادات وتقاليد اجتماعية، وملامح لغوية وغيرها.

وقد استفدت في كتابة هذا البحث من العديد من المراجع ، ومن آراء بعض القراء الفضلاء والأهالي ، ولمن كان له نصيب الأسد من الامتنان والإفادة والدي العزيز / راشد بن حسين بن أحمد الذي أخصه بالشكر على ما أسداه لي من وافر معرفته ودرايته وأشكره على سعة صدره، وكريم تجاوبه، وحسن جوابه في كل مرة أنشده ؛ للإجابة على التساؤلات، ولشرح بعض الموضوعات، وأشكر كل من وجه

وأفاد، ولا يطيب لي إلا أن أبعث للجميع باحترامي لشخصهم ، وتقديري لتعاونهم.

وفي الختام فإن هذا العمل جهد بشري فما كان فيه من صواب فمن توفيق الله، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، وآخره أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.



المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.

- الألباني، محمد ناصر، الأحاديث الصحيحة، مجلد واحد.

- الخن، الدكتور مصطفى سعيد وآخرين.كتاب نزهة المتقين شرح رياض الصالحين.مؤسسة الرسالة.الطبعة السادسة والعشرون.

- ابن كثير، الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، تحقيق عدد من العلماء.

- لسان العرب لابن منظور. من خلال الانترنت.محرك البحث قوقل.

- مسعود، جُبران، الرائد معجم ألفبائي في اللغة والأعلام، الطبعة الأولى، شباط/ فبراير ٢٠٠٣م، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان.

- الهاشمي، السيد أحمد.جواهر العرب في أدبيات وإنشاء لغة العرب.دار المعرفة.الطبعة الأولى.

- موسوعة أسبار للعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية.

- أ.د الشريف، عبد الرحمن صادق، جغرافية المملكة العربية السعودية، طبعة جديدة من جزء واحد، دار المريخ، الرياض.

- أ.د الشريف، عبدالرحمن صادق.جغرافية المملكة العربية السعودية، الجزء الثاني إقليم جنوب غرب المملكة.دار المريخ.طبعة قديمة.الرياض.

- أ.د الوليعي، عبد الله بن ناصر، المدخل إلى الجغرافيا الطبيعية والبشرية، توزيع الدار الصولتية للتربية، الطبعة الثالثة١٤٢٧-١٤٢٨هـ..

- د.الـزوكـه، محمد خميس.كتاب جغرافية العـالم العـربي.دار المعرفةالجامعية.١٤٢٥هـ..

- الراشد، حسين، إلى من يقرأ عن النبات، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، مطابع البتراء.

- ابن خميس، عبدالله بن محمد، معجم جبال الجزيرة، الجزء الثالث (ر-ظ)، طبع على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.

- الحربي، علي بن ابراهيم بن ناصر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، منطقة عسير، الجزء الثاني، أبها ١٤١٧هـ،.

- د.وهيبه، عبدالفتاح محمد.كتاب في جغرافية العمران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٠م.

- شاكر، محمود، شبه جزيرة العرب-عسير-، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ-١٩٨١م.

- الأسمري، الشيخ سعيد بن عوض آل رداد، تاريخ رجال الحجر المسمى نافذة الفكر على وطن ونسب رجال الحجر، نشر مكتبة السوادي، البعة الأولى ١٤١٧هـ.

- الأسمري، عبد الله بن حسن بن علي، (هذه بلادنا) بَلْلَّسْمَر، مطابع جامعة الملك سعود، ٢٠٠٠م.

- العمروي، عمر غرامة، بلاد رجال الحجر، الجزء الثالث، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الطبعة الأولى عام ٩٧-١٣٩٨هـ..

- حمزة، فؤاد، قلب جزيرة العرب، دار اليقين للنشر والتوزيع.

- النعمي، هاشم بن سعيد بن علي، أبها (سلسلة هذه بلادنا)، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، الرياض، مطابع جامعة الملك سعود.

- النعمي، هاشم بن سعيد، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، طبعة الأمانة العامة للأحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

- بلاد عسير (أبها)، من منشورات الأميرة نورة بنت محمد بن سعود بن عبد الرحمن آل سعود، والسيدة الجوهرة بنت محمد بن عبد العزيز العنقري، والسيدة مديحة محمد المجروشي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، طبع في المملكة المتحدة.

- أ.د جريس، غيثان علي، عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤ م.

- أ.د جريس، غيثان بن علي.كتاب دراسات في تاريخ تهامة والسراة.الجزء الأول.الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

- الشهري، صالح بن علي أبو عراد، تنومة بني شهرن مطابع جامعة الملك سعود، ١٤١٥هـ..

- القرني، عبد الله محمد بن عبد الرحمن، سبت العلايا، مطابع جامعة الملك سعود.

- موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية.هيئة المساحة الجيولوجية السعودية. طبعة دارة الملك عبدالعوزيز.الجزء الثاني.الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

- أ.د أبو داهش، عبد الله بن محمد بن حسين، أهل السراة في الجاهلية والإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، إصدار نادي أبها الأدبي، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

- ابوداهش.عبدالله بن محمد، كتاب الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية.

- ابوداهش.عبدالله بن محمد، حوليات سوق حباشة، الجزء الثاني، إصدارات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٧-١٤١٨هـ.

- د.الفريح، عبدالعزيز.تحفة النبية فيمن ادعا لغير قبيلته وأبيه.

- الحقيل، عبدالكريم بن حمد.أسر تحضرت في الجزيرة العربية.الجزء الأول. الطبعة الثانية.١٤١٩هـ-الموافق١٩٩٨م.

- الخزاعي دعبل بن علي، وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود، برواية على بن محمد بن دعبل الخزاعي، وتحقيق الدكتور نزار أباظة، دار صادر، بيروت.

- العمروي، عمر بن غرامة، قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام، إصدار نادي أبها الأدبي.

- الحريري، محمد بن علي بن حسين، قبيلة الأزد من فجر الإسلام إلى قيام الدولة السعودية الأولى، إصدار نادي أبها الأدبي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

- الألمعي، محمد حسن غريب، أصول قبائل عسير ودورهم في الفتوحات الإسلامية، إصدار نادي أبها.

- د. قشاش، أحمد بن سعيد بن محمد، الأزد ومكانتهم في العربية، موجود على القوقل.

- د. القحطاني، عبد الله بن سالم بن موسى آل فائع، معجم العادات والتقاليد واللهجات المحلية في منطقة عسير، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- د. القحطاني، عبدالله سالم بن موسى آل فائع، التراث الشعبي في منطقة عسير، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

- آل حامد، عبد الرحمن بن عبد الله. العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، من إصدارات نادي أبها الأدبي.

- آل سهيل، أحمد بن سهيل بن صالح، اللهجات المحلية للمنطقة الجنوبية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، لايوجد دار نشر.

- النيسا بوري، الإمام أبي منصور إسماعيل الثعالبي، كتاب فقه اللغة وسر العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الحمد، محمد بن إبراهيم، فقه اللغة، دار ابن خزيمة.

- د. عبد التواب، رمضان، ظواهر لغوية من لهجة طيء القديمة، موجود على القوقل.

تقارير:

- تقرير حصر التربة بالمملكة العربية السعودية، موقع وزارة الزراعة.

- تقرير خطة عمل مركز الرعاية الصحية الأولية بجبل ضِرْم لعام١٤٢٨هـ.. الشؤون الصحية بمحايل عسير.

-تقرير يحتوي معلومات عن قرى وقبائل بَلْلَّسْمَر تهامة. إعداد شفلوت محمد.

-تقرير شركة الكهرباء السعودية بمحايل عسير.

لقاء:

- لقاء خاص مع مهندس مشروع إنشاء عقبة ضِرْم المهندس محمد نوفل في ١/ ٩/ ١٤٣٠هـ مساءً.

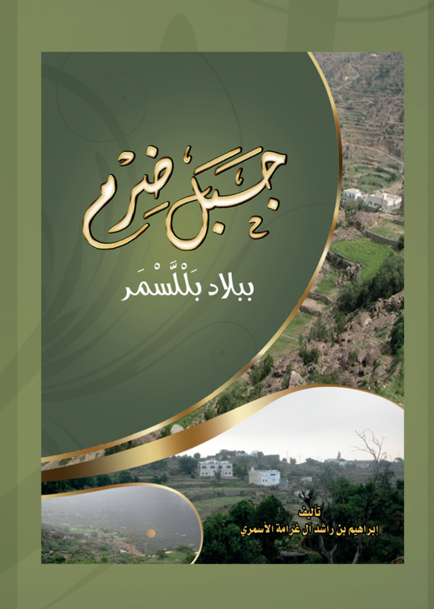
- لقاءات واتصالات شخصية مع شخصيات من بَلْلَّسْمَر.





جبل ضرم ببلاد بَلْلَّسْمَر

إبراهيم بن راشد آل غرامة الأسمري



E: ALfawaed35@gmail.com
جوال : 0504384866